دكتور

عبد العزيز شرف

المدخل الى

علم الاعلام

اللغوى



دكتور
عبد العزيز شرف

المدخل الى

علم الاعلام اللغــوى

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟
فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟
يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

المجادلة ١١

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى الأستاذ والصـــديق

الدكتور شوقي ضيف

الفكـــر

و

المنهـــج

عبد العزيز شرف



يشهد عالم اليوم اهتماما متزايداً بالاعلام ووسائله ، وايمانا صادقا برسالته ووظائفه ، وعملا جادا فى سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن تنظيمات يعود اليها وقواعد تحكمه ٠

وينطلق هذا الكتاب نحو تأسيس دعائم علم الاعلام اللغوى لأول مرة فى لغتنا العربيـة من أن ما حدث من تطور مذهل فى ميـدان الاعلام ما هو الا امتداد للانتصارات التى حققتها اللغة فى سبيل تحقيق اتصال جماهيرى على امتـداد واسع ٠٠ اصبحت اللغة فى ظل الاعلام ذات قوة وسلطان ، لما لهـا من تأثير هائل على تفكير الافـراد والجماعات أو على شعورهم وسلوكهم وآرائهم ٠

فأثر اللغة فى عصرنا الحاضر قد ازداد قوة ، وأخذ الناسُ يعنون بوسائل الاتصال فيما بينهم ٠ وازداد خطر اللغة المنطوقة والمكتوبة بانتشار الصحافة والاذاعة المسموعة والمرئية والسينما والأساليب العصرية لفنون الاعلام ٠

ولقد ذهب أصحاب النظرية اللغوية فى معظم الاحوال الى أن البناء اللغوى لاحدى اللغات التى ينشأ عليها الناس ويلقنونها من أمهاتهم وآبائهم ويخلق لديهم كذلك بناء فكريا سلوكيا قائما بذاته وكان من رأيهم أن اللغة انما هى « عالم لغوى وسط » يقوم بين الواقع الموضوعى وبين الناس ، ويتربى عليه الفرد أثناء تعلمه لغة الأم ، أى أن اللغة هى التى تحدد للأفراد رؤيتهم للعالم وتجربتهم له ، كما تحدد موقفهم منه وأسلوب تعاملهم معه ٠

وأيا ما كان أمر هذه النظرية ، فان اللغة مكتوبة ومنطوقة ، قد أصبحت فى عصر الثورة التعليمية والتقنية ، أبرز ملامح العصر الذى نسميه عصر الوسائط الجماهيرية الحديثة ٠ لقد بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه وأضخم أبعاده ٠

ولذلك فقد كان من الطبيعى أن ينشأ فى السنوات الأخيرة علم متخصص فى تاثير اللغة على الجماهير وهو « علم المنفعة العملية للغة » أو ما نحاول تأصيله فى لغتنا العربية بهذه المحاولة المتواضعة تحت عنوان « الاعلام اللغوى » الذى يرتكز على كل ما كانت تقول به علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تاثير الكلمة ، ويتوفر من الناحية اللغوية على البحث فى قوة الكلمة وسلطانها · ومن الناحية الاعلامية على الخصائص الدقيقة التى تميز المستويات اللغوية فى كل جنس اعلامى على حدة ، ووضع حدود دقيقة بين الاستعمالات الاعلامية الخالصة والدعائية الصارخة للغة ·

وعلم الاعلام اللغوى ، يعد أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث من جهة ، ولعلم الاعلام ونظرياته من جهة أخرى وهو علم مايزال يتحسس طريقه الى النور ، ذلك أن دراسة « النفع العملى » للغة ما بطريقة علمية منهجية تحتاج بالضرورة الى مناهج لغوية اعلامية متكاملة ، واطار نظرى تستند اليه ، وأسلوب محدد تتوخاه فى الوصف والتحليل ، وهى أمور لم تستوف دراستها بعد ·

على أن فصول هذا البحث ليست الا اضافة يسيرة الى جهود سابقة لأساتذة جيلنا ، ممن اشتغلوا بالدراسات اللغوية من المحيط الى الخليج ، وتركوا لنا ثمار جهودهم العظيمة منارا على الطريق ·

وقد حاولت فصول هذا البحث ، فى عنايتها بتأصيل علم الاعلام اللغوى ، أن تؤكد على صلة اللغة العربية بالعصر والحضارة ، ولذلك تعرضت لبعض القضايا اللغوية التى تواجه الاعلام العربى المعاصر · وهى بذلك تسير نحو منحى جديد من أنحاء الدراسة اللغوية يريد بها المؤلف أن يشق له طريقه أولا ، ثم يوصل هذا الطريق بعد ، فى سبيل استكمال دراسة لغة الاعلام العربى المعاصر ، والاحاطة بها ، والوقوف عند جزئياته وكلياتها ·

وعلى ذلك فان مهمة هذا البحث لم تكن فى متابعة طرق الدراسة اللغوية ، بقدر ما كانت فى شق هذه الارض ، فى سبيل التعرف اليها ، طريقا آخر ، يحاول هو أيضا أن يصل الى هذا الهدف البعيد فى تمثل اللغة العربية ومزاياها فى الفن والاعلام والتعبير · أو على الاصح يعين على الوصول الى هذه المزايا ·· اننا نحاول أن نرسم خطا جديدا لا يتوازى مع الخطوط السابقة وانما يقطعها مخالفا لاتجاهها ، ليظفر بما لم تظفر به

من جزئيات ، أو من أحداث أو من تفاصيل ، وقد يوضح ما كانت وقعت عليه أو يغنيه ، وهو ـ هذا الخط الجديد ـ سينتهى على كل حال الى الغاية الأولى ، وسيكون رفدا غنيا للدراسة اللغوية ـ الاعلامية ٠

وقد حاول هذا الكتاب اذن، وهو يتجه نحو علم جديد ، أن يكشف عن مزايا الفن والتعبير الاعلامى ومزايا التعبير على العموم فى لغة الضاد ، لأنه فى مبدأ الأمر بحوث دعت اليها المناقشة فى موضوع الاعلام وتطوره أو تطور قواعده ونظرياته ، ومستقبله فى العالم العربى ، وناسبته بحوث أخرى عن المزايا الاعلامية فى لغتنا ترتبط بها ، وتصلح أن تكون مثالا للمزايا التى تثبت للغة ٠

ولعل فيما تقدم ما يبرز لماذا اخترنا مزايا التعبير الاعلامى فى اللغة العربية فى هذا الكتاب ٠ ويمكننا أن نوجز الأسباب التى تدفعنا الى الاستمرار فى هذا الطريق ، فى أن اللغة العربية اليوم أحوج ما تكون الى كل عمل علمى : لابراز مزاياها الفنية والتعبيرية فى مواجهة حضارة العصر ، ومن جهة اخرى فان الدراسة الاعلامية للغة تسعى الى حل المشكلات الكبيرة والصغيرة فى هذه اللغة ، لتكوين وعى لغوى صحيح يساير الوعى السياسى والفكرى للأمة العربية ، سعيا الى الوحدة اللغوية والتحرر اللغوى والقضاء على التجزئة والشعوبية أو النفوذ الأجنبى فى ميدان اللغة والفكر ٠

وبعد ، فنرجو أن نكون قد وفقنا فى شق طريق هذا العلم الجديد ٠٠ فجل من لا يخطىء تمييزا أو تصورا فى عالم البشر ٠

عبد العزيز شرف

الفصل الأول

اللغة والرأى العام

يبذل العلماء جهودا متواصلة لدراسة اثر اللغــة فى تكوين الرأى العام واعتبارها اهم عنــاصر القوميات ، دراسة علمية حتى يمكن التنبؤ بنتائج آثار الاعلام والتحكم فيها ٠

على أن فهم طبيعة الرأى العام ركن أساسى يســاعد على كشــف العلاقات التى تقوم بين عناصره المختلفة ، فاذا كان الرأى العام ظاهرة تلقــائيا اطلقوا عليها « عقل الجمــاعة » أو الضــمير الجمعى ، على نحو ما ذهب اليه العالم الفرنسى « اميل دركيم » فان « اللغة » ليست من صنع الافراد ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران ٠ وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع اذ يقررون انها من « نتاج العقل الجماعى » ٠

وقد عرف البعض مضمون عقل الجماعة بانه نظام خلقى ينشأ نتيجة تفاعل نشاط الأفراد وتبادل العلاقات الاجتماعية فيما بينهم ٠ وفى النهاية يصبح هذا العقل الجماعى هو القوة المسيطرة لاعماله الجماعية وتصرفاتها، بحيث انه عندما يقوم الأفراد بأى نشاط اجتماعى فانهم يدخلون فى اعتبارهم ويضعون فى صلب ضمائرهم اهــداف المجتمع واغراضــه ، وبذلك تندمج ذواتهم الفردية فى الجماعة التى ينتمون اليها ، ويتحدد سلوكهم وتنضــبط علاقاتهم وفقا للعقل الجمعى (١) ٠

فاللغة فى كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد فى اتباعه ويتخذونه اساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم وفى تفاهمهم بعضهم مع بعض ، وعلى ذلك فاننا لا يمكن أن ندرس تأثير اللغة الاعلامية فى الرأى العــام دراسة موضوعية عن طريق دراسة سلوك الأفراد باعتبارهم ذرات منفصلة ، كما

---

١) الدكتور عبد العزيز عزت : العقل الجمعى ورأى فى طبيعة المجتمع البشرى ص٩٦ ٠

لو حاولنا دراسة صفات الماء بالرجوع الى صفات كل من الهيدروجين والاوكسجين اللذين يتالف منهما (٢) ٠

فاللغة ليست من الامور التى يصنعها فرد معين أو افراد معينون ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية ، على حد تعبير الدكتور على عبد الواحد وافى (٣) وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للافكار ٠ وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعلم والتقليد ، كما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الأخرى ، ويصب اصواته فى قوالبه ويحتذيه فى تفاهمه وتعبيره ٠

والرأى العام ـ كما يقول الدكتور امام (٤) ـ هو المنبع الذى تصدر منه أحكام الجماهير ، كما انه القوة التى يسعى الاعلام ـ عن طريق اللغة ـ الى التاثير فيها ٠ ومع أن الرأى العام وجود معنوى لا نراه ، فان ذلك لا ينقص شيئا من قوته ، شأنه شان الضغط الجوى الذى لا نـراه ولكنـه موجود بمعدل عشرين رطلا على البوصة المربعة كما يقول جيمس رسل لاول٠

واللغة من الامور التى يرى كل فرد نفســه مضطرا الى الخضوع لما ترسمه (٥) وكل خروج على نظامها ولو كان عن خطأ أو جهل يلقى من الرأى العام مقاومة ، تكفل رد الأمور الى نصابها الصحيح وتأخذ المخالف ببعض أنواع الجزاء ٠

فاللغة اذن ظاهرة اجتماعية ، وهى بوصفها هذا تؤلف أهم عناصر تكوين الرأى العام الذى يسعى الاعلام بوسائله المختلفة الى التاثير فيه ٠

وهذا يعنى افتراض وجود علاقه قوية بين اللغة والرأى العام ٠٠ ولقد درج العلماء على الكلام عن « الرأى العام » وكيف انه : الفكرة السائدة

---

٢) د٠ ابراهيم امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٠٤ ٠
٣) د٠ وافى : اللغة والمجتمع ص٣ ٠
٤) د٠ امام : العلاقات العامة والمجتمع ص١٣٧ ٠
٥) د٠ وافى : المرجع نفسه ص٤ ٠

بين جمهور من النـاس تربطهم مصلحة مشـتركة ازاء موقف من المواقف او تصرف من التصرفات او مسالة من المسائل العامه التي تثير اهتمامهم ، او تتعلق بمصالحهم المشتركة • فالراى العام يمثل محصلة الاراء والاحكام السائدة في المجتمع • وهذه الظاهرة تكتسب صفة الاستقرار وتختلف في وضوحها ودلالاتها في عقول الافراد ، ولكنها تصدر عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم رغم اختلافهم في مدى ادراكهم لمفهومها ومبلغ تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة (٦) •

على ان العلماء من امثال : بارك وبيرجيس وروس وغيرهم يؤكدون أن الاجتماع العام او الراى السائد يكون في اغلب الاحوال مبنيا على العرف والتقاليد والعادات • اما الراى العام فاساسه الحوار والنقاش واحتكاك الافكار وتفاعل الآراء ، والراى السائد او الراى الاجتماعي قد يكون مبنيا على تقاليـد موروثة او على عادات كانت آراء في الماضي ولكنها اصبحت كالبديهيات المسلم بها •

اللغة والاتصال الانساني :

ومع ان الراى العام من المصطلحات الحديثة التي لم تعرف الا في أواخـر القرن الثـامن عشر ، ابان حرب الاسـتقلال الامريكيـة والثـورة الفرنسية ، فلا يمكن القول بأن الحضارات القديمة كانت خالية من المفاهيم المشابهة للراى العام •

فلو اخذنا الحضارة او الثقافة كما يفضل الانثروبولوجيون تسميتها• على انها هي حصيلة النشاط البشرى خلال تاريخه الطويل ، والتي تتمثل فيما انتجه عقل الانسـان الخالق المبدع من فنـون وآداب وآلات وادوات وصناعات واخلاق وعادات وقيم ، وفيما حققه من مهارات في كل هـذه الميادين ، لظهر لنا ان الخاصية الرئيسية التي تميز الحضارة هي خاصية الاستمرار ، والقدرة على الانتقال من جيل لآخر ، بحيث ياخذ كل جيل عمن سبقوه ، ويضيف الى ما اخذه منهم ، ثم ينقلها بعد ذلك للأجيال التي تاتي

---

٦) د• امام : المرجع السابق ص٦٤٧•

بعده • فخاصية التراكم ـ كما يقول الدكتور احمد ابو زيد (٧) ـ اذن هى التى تجعل هنـاك فارقا اساسيا بين الحضارة الأنسـانية ومختلف أنواع النشـاط التى تصادفها عند الجماعات الحيوانية الأخرى ، واداة هـذا التراكم هى اللغة ، والذى يمنع الحيوانات والقردة العليا من ان تكون لها حضارة ، هو فى المحـل الأول افتقارها الى اللغة ، وبالتالى عدم وجود قدرة كلامية وفكرية على مواصلة تجاربها وخبراتها ، فما يكتسبه القرد مثلا من « معرفة » فى حل مشكلة ما يظل خبرة استقرارية راكدة مقصورة عليه هو وحده وقد يتذكرها حين يصادف نفسه ازاء مشـكلة مشـابهة أو موقف مماثل ، ولكنه فى الفترات التى تتخلل ذلك لا يعكف على التفكير فى تلك الخبرة أو التجربة بقصـد تحسـينها أو اسـتخلاص اية نتائج منهـا للاستفادة منها فى حل المشاكل الأخرى مثلما يفعل الأنسان الذى يناقش فى العاده المشكلة عن طريق اللغة ، ويفكر فيها بعد انتهائها ليرى ما اذا كانت هناك تطبيقات أخرى لتلك المعرفة • فعن طريق اللغة والتفكير تكون خبرات الأنسان وتجاريه مسـتمرة ومتصلة ، وهذا يسـاعد بالتالى على تطويرها وتنميتها • ومن هنا كانت الميزة الكبرى التى يتميز بها الانسان ، هى القـدره على نقل تلك الخبرات التى تؤلف فى آخـر الامـر التراث الحضارى أو الثقافى من جيل لآخر عبر الزمن (٨) •

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال • والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية أو الحالية ، أى أنها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هى اهم عنصر فى الحضارة الانسانية (٩) •

تكوين الراى العام :

على ان العوامل التى تؤدى الى تكوين الرأى العام كثيرة ومتشابكة ، كما انهـا تتفـاعل مع بعضـها البعض ، وفى رأى ماكدوجال ان اهم هذه العـوامل هى : الثقـافة والاحداث ، والزعـامة ، والاتصـال الجماهيرى والاتصال الشخصى والشائعات •

٨،٧) مجلة « عالم الفكر » ـ المجلد الثانى ـ العدد الاول ـ ١٩٧١ ـ الكويت ص١٤ • Hoijer «Language and writing» pp. 197

٩) د• ابو زيد : المرجع السابق ص١٥ •

ومن ذلك يتبين ان اللغة هى معامل الارتباط بين هذه العوامل جميعا .

ولقد درج العلمــاء على اعتبــار الثقافة ، ذات اثر كبير فى تكوين الرأى العام ، وذهب بعضهم فى دراستهم للعلاقة بين اللغة والثقافة الى الاكتفاء بتبين العلاقة الخــارجية الواضحة بين مفردات اللغــة ومحتوى الثقافة ، كما كانوا يحرصون على ان يبينوا ان هذه المفردات تعكس الى حد كبير اهتمامات المجتمع والجوانب التى ترتكز عليها والتى تشغل بال اعضائه مثل التقنية أو التنظيم الاجتماعى أو الدين أو الروابط القرابية ، وما الى ذلك من المسائل التى تحتل مكانا مركزيا فى بناء المجتمع ، وتدور حوله بالتالى أوجه النشاط الاجتماعى المختلفة .

وكل هذا يوضــح ان ثمة صــلة قوية بين مفردات اللغة وكثير مــن جوانب الثقافة غير اللغوية (١٠) ولكن الشىء الذى لم يهتم به معظم هؤلاء العلماء اهتماما كبيرا على الاقل ، هو ان اللغة قد تتدخل فى تحديد وركيب أنمــاط الفكر فى المجتمع الذى تســود فيه ســواء ادرك الناس ذلك أم لم يدركوه . فكما ان الفنان وعالم النبات قد ينظران الى الاشجار والنباتات والزهور مــن ناحيتين مختلفتين ، كذلك الحال بالنســبة للجماعات التى تتكلم لغــات مختلفة وتنظر الى العــالم نظرات مختلفة ، وتدركه بطرق مختلفة (١١) وهذا معناه ان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافى لا تعنى شــيئا اكثر مــن ان اللغة لها اســاس ثقافى أو حضــارى ، وانه لن يمكن بالتــالى تحديد مفردات اللغــة تحديدا دقيقا الا بمعرفة بقية مظاهر الثقافة .

ولذلك يؤكد اوديجارد انه من المستحيل ان نفهم الرأى العام فى أمة من الامم ما لم ندخل فى اعتبارنا تلك القوى المــادية والادبية التى تشــكل شــخصية هذه الامة ، ولكى نتعرف على اتجاهاتها وآرائها ، يجب علينا ان نهتم بدراسة المنظمات الاجتماعية التى تعطى للفرد معتقداته وتشــكل اتجاهاته ، فالانســان فى المجتمع يتأثر بالأسرة والدين والتقاليد ونظــام

---

١٠) د. احمد أبو زيد : نفس المرجع ص١٥ .

Peacock, J.L. Ikitsh, A.T. «The Human Direction» p. 16

C. Macdougall, Curtis D. «Undertonding Public Opinion» (1955) New York

١١) مجلة « عالم الفكر » ـ المجلد الثاني ـ العدد الاول ـ ١٩٦١ ـ الكويت ص١٦ .

الدولة والاصدقاء والاقران والصحف واجهزة الاعلام ، والجماعات ذات النفوذ كالنقابات والاحزاب والهيئات ٠ ففى خلال هذه القنوات المتشعبة تمر التاثيرات المختلفة كل يوم لكى تكون اتجاهات الرأى ٠

ويرى ليمان ان المسائل العامة هى التى تهمنا من سلوك الناس وهذه المسائل العامة تتاثر بما يتصوره الناس أو بتلك الصور التى يكونونها فى رؤوسهم عن انفسهم وعن حاجاتهم واهدافهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض ٠ ويقول ليمان ان هذه الصور التى توجد فى رؤوس الناس عن أنفسهم وعن الآخرين ، هى آراؤهم العامة ومجموعة هذه الآراء تكون بدورها ما يسمى بالرأى العام ٠

فالناس لا يعيشون فى العالم الموضوعى الخارجى وحده ، كما انهم لا يعيشون فى عالم النشاط الاجتماعى فقط ، كما يظن الكثير من العلماء وانما هم خاضعون الى حد كبير لرحمة اللغة التى يتخذونها اداة ووسيلة للتعبير ٠ « فعالم الواقع » أو الحقيقة يرتكز إلى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لغتان متشابهتان تشابها كافيا ، بحيث تعتبران ممثلتين لنفس الحقيقة أو الواقع الاجتماعى ٠ فالعوالم التى تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متميزة اذن وليست عالما واحدا اضفيت عليه اسماء وعناوين مختلفة (١٢) ٠

ويذهب بنيامين فورف (١٣) الى اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغاتنا ٠ وهذه الفئات والانماط التى نفصلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها الا انها تواجهنا او لا ، لانها امور واضحة امام اعيننا وانما الامر على العكس من ذلك تماما . بمعنى ان العالم الخارجى أو الواقعى هو مزيج من العناصر والعلاقات والظواهر المختلفة المتباينة ، الى ابعد حدود التباين ، وان العقول الانسانية ، هى التى تتدخل لتكشف عما فيه من تنظيم ووسيلتها الى ذلك هى الانماط اللغوية التى توجد فى تلك العقول الانسانية، ذاتها ٠ فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة ، وتجزئتها وتنظيمها فى شكل مفهومات وتصورات ونعطيها بذلك أو اثناء ذلك معانى محددة تحديدا دقيقا ٠

---

١٢) Sapir «Language» p. 162

١٣) Whorf, B.L. «Science and Linguistics» the Technology Review Vol. 42, 1940, p. 231.

الانماط والراى العام :

وتتضافر قوى التاثر الاعلامية والثقافية بما فى ذلك العلوم ذاتها والموسيقى والنقد الادبى وغيرها ، لتشكيل الانسان الجديد الذى يجد نفسه فى وسط شبكة من التاثيرات المتقاطعة ٠ فالخطب والافلام والاغانى وصحف الحائط والرسوم البيانية ، وغيرها ، تكون فى مجموعها خطة محكمة لجذب اهتمام الناس والتاثير فيهم ذلك ان الانسان ليس فردا منعزلا عن المجتمع ٠ ولكنه يخضع فى نفس الوقت ـ الى حد كبير ـ لرحمة اللغة التى يتخذها وسيلة للتعبير والاتصال ٠

فالشخص فى المجتمع الحديث لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يصبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة وقيمه ومبادئه ٠

والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى فنحن لا ندرك ما نراه ، وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا ـ من قبل ـ فى شكل انماط جامدة ٠ فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بيئتهم وثقافتهم (١٤)٠

ولا يعنى ذلك ان الانماط اللغوية تعمل على تحديد المدركات الحسية والتفكير ، ولكن عملها هو توجيه الادراك والتفكير فى اتجاهات معينة مالوفة مستعينة فى ذلك بالانماط الثقافية الاخرى ٠

وتختلف طرائق واساليب التفكير فى المجتمعات المختلفة بالنسبة للمذاهب ، وليست المذاهب نفسها فليست الماركسية هى المؤثرة ، ولكن النمط السائد عنها والذى يقدمه المفسرون لها هو المؤثر الحقيقى (١٥) ٠٠٠ الخ ٠

الاتصال والراى العام :

وتاسيسا على هذا الفهم نحاول ان نلتمس اثر الاعلام فى تكوين الراى العام ، فنجد ان الاتصال الاعلامى يقوم بوظيفتين هامتين هما : استخلاص الراى ، وحمايته ٠

---

١٤) د٠ امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص٢٥٢ ٠
١٥) د٠ امام : نفس المرجع ص٢١٨ ٠

وسيلة الاتصال الاعلامى فى تحقيق هاتين الوظيفتين هى : اللغة ، التى لا تصبح مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار أو مجرد رموز لما يدور فى الاذهان ، وانما تصبح تلك الوسيلة التى امتزجت بها عقولنا ونفوسنا ، وندين لها بتلك القوة التى ساعدتنا على التعاون مع رفاقنا ومنحتنا السيطرة على مخلوقات اقوى منا جسما •

فاذا كان للرأى العام وجود حقيقى أو مفهوم محدد ، وجب ان نلتمسه فى تلك الرابطة الوثقى التى تؤلف بين افراد المجتمع وتوحد بين افكارهم واحاسيسهم وعواطفهم والتى تسمى باللغة او اللسان •

فاقوى رباط يجمع اواصر الأسرة هو اللغة التى يشعر معها افراد الأسرة انهم يفكرون بطريقة موحدة ، ويحسون باحساس واحد وينطقون نطقا متماثلا • فللأسرة صفات خاصة فى النطق والأداء واختيار الالفاظ وايثار بعضها على بعض • وهكذا تكون القومية بمعنى الرباط الوثيق بين افراد المجتمع ذات مستويات وذات احكام ، واصغرها حجما ما نسميه بالأسرة ثم ما نسميه بالقرية ثم ما نسميه بالمدينة ثم ما نسميه بالدولة التى لها لغة مشتركة تنتظم كل المناطق ، ويعمد اليها كل افراد المجتمع •

وقبل ان نحاول دراسة علاقة اللغة بالقومية ، سنحاول علاج كيفية تاثير الاتصال فى الرأى العام •

سبق ان ذهبنا الى ان الاتصال يقوم بوظيفتين : استخلاص الرأى وحمايته فالرأى الفردى الكامن لابد وان يتحول الى رأى علنى ظاهر ، وليس معنى ذلك ان الاتصال لابد ان يسرى فى اتجاه واحد من القيادة الى الجماهير ، اذ أن الاتصال يتخذ ثلاث مسارات (١٧) :

اولا : الاتصال الهابط من القيادات الى القواعد وهو يشتمل على التوجيهات والتعليمات والبيانات والتفسيرات وغيرها •

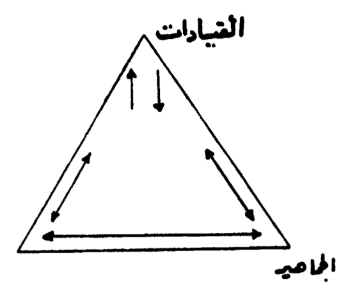
ثانيا : الاتصال الصاعد من الجماهير الى القيادات وهو يشمل الملاحظات والشكاوى والخطابات التى تمثل اتجاهات الجماهير •

---

١٦) د• ابراهيم انيس : اللغة القومية والعالمية ص١٠٢ •
١٧) د• امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص٢٢٨ •

ثالثا : التيار الأفقى الذى يسرى بين فئات الجماهير فى مستوياتها المختلفة ٠

وقد صور « هانز سباير » هذه التيارات الاتصالية على النحو التالى :



ولكن هذه التيارات جميعا ، لا بد وان تتفاعل وتتسق اتساقا متكاملا ، مما يساعد على تكوين الرأى العام ٠

وفى رأى ماكدوجال (١٨) كما سبق ان اهم عوامل تكوين الرأى العام هى : الثقافة والاحداث والزعامة والاتصال الجماهيرى والاتصال الشخصى والشائعات ٠

على ان الاتصال بالجماهير من اقوى هذه العوامل فى تكوين الرأى العام سواء عن طريق اجهزة الاعلام او عن طريق حملات الهمس ، أو الشائعات ، وقد فطن خبراء الدعاية والاعلام من خلال تجارب الحربين العالميتين الى ان تاثير الاتصال فى الرأى العام يزداد قوة باستخدام الاخبار بدلا من المقالات الجدلية والكتابات الانشائية ، فقد اكتشفت قيمة الخبر فى التوجيه والتاثير واصبح الخبر هو العامل الذى يحدد صورة الأحداث فى أذهان الجماهير ، وكفت الدعاية عن انتهاج الاساليب البلاغية والجدلية ، ليحل محلها الاسلوب الاخبارى الاعلامى ٠

(١٨
C. Macdoogall, curtis D., «Understanding Public Opinion p. 25

وحتى عندما تقل الاخبار او ينضب معينها لا يجد الاعلاميون بأسا من خلقها أو اختلاقها (١٩) ٠

ويستغل خبراء الدعاية طبيعة الانسان بادراكه المحدود للعالم ومعرفته للاشياء بطريقة غير مباشرة ، أى عن طريق المعلومات والصور التى تنقل اليه بدلا من الخبرة الموضوعية والادراك المباشر ، فيعملون على خلق الصور الذهنية التى تحقق اغراضهم ، ويسعى الداعية دائما عن طريق التحكم فى المعلومات التى يعرفها الناس الى خلق الاتجاهات العامة التى يريدها ان تنتشر بين الجماهير ٠

ومع ذلك فان هناك حدودا لا يستطيع الداعية ان يتجاوزها مهما كانت قدرته ، ومهما كانت سلطته فى الرقابة على الاخبار والمعلومات ، لان الفرد يتمتع بقدرة على انتقاء ما يتعرض له من مواد اعلامية ، كما ان هذا الانتقاء يمتد الى قوى الادراك والتذكر ، يضاف الى ذلك مجموعة القيم والمبادىء التى يعتنقها الفرد ويتاثر بها من خلال الجماعات الاولية التى يعيش فيها ٠

فالانسان العادى بمعتقداته الراسخة ـ دينيا او سياسيا او اقتصاديا ـ لا يمكن ان يتقبل أى مناشدة دعائية تتعارض مع معتقداته ٠ وقد أوضح « ألدوس هكسلى » (٢٠) انه ليس من الصعب اغراء الناس على فعل ما يتوقون اليه ٠ كما انهم لا يسلكون كما يسلكون نتيجة لصفحات قرأوها أو خطب سمعوها ، وانما تكون تصرفاتهم نتيجة لتعرضهم منذ الطفولة الى تربية معينة ، وتوجيه سلوكى متراكم ٠

على ان ذلك لا ينفى ان اساس الرأى العام ، هو الاتصال الفكرى وحرية المناقشة فعندما يقارن الناس خبراتهم ويعبرون عن وجهات نظرهم فى مسالة من المسائل الجدلية ، ويعلنون ذلك بوسائل الاعلام المختلفة وعن طريق المنظمات الاجتماعية ، فان هذه المسالة أو المشكلة تصبح موضوعا للوعى العام أو الادراك الاجتماعى ٠ فاذا تيسر الاتصال بين الناس تيسر صدور الرأى العام ، أما اذا تعذر الاتصال فان الرأى العام يصبح متعذرا ٠

---

١٩) د٠ امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص٢٥١ ٠
٢٠) نفس المرجع السابق ص١٤٥ ٠

ذلك ان الاتصال يتيح للمناقشات والجدل بين الافراد ان تتبلور فى راى عام • ولابد فى الاتصال الاعلامى من وجود طرفين او عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) الاول : هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات او الاخبار الى القارىء او السامع سواء كان فردا او جماعة ويختلف الافراد بعضهم عن بعض فى استقبال المعلومات • لانهم يختلفون من حيث امزجتهم وقواهم العقلية وطريقة فهمهم للاشياء ، ومن التاثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الراى العام فى العادة ، ذلك ان الفرد فى المجتمع الحديث لا يملك من الوقت او الجهد او المال او العلم ما يمكنه من الوصول الى مدلولات دقيقة لجميع المعارف او تكوين صور حقيقية للعالم الذى حوله • وفى معظم الاحيان يكون المحصول اللغوى للقارىء او المستمع او المشاهد محدودا فلا يفهم ما يقال له •

ومن ناحية اخرى تلجا اجهزة الاتصال بالجماهير الى التبسيط نتيجة لظروف الجماهير ، ولضغوط الحيز الضيق فى المطبوعات والزمن المحدود فى الاذاعة والتلفزيون ، كما يلعب عامل الوقت دورا رئيسيا فى تغطية الانباء وتحريرها واخراجها •

والجماهير ـ كما يقول الدكتور امام ـ لا تتخذ التحليل الموضوعى والدراسة العلمية سبيلا للوصول الى الحقائق ، فالاشياء لا ترى من خلال المصالح والثقافة السائدة بتاريخها وتجاربها وقيمها • ومع ان الشخص فى المجتمع الحديث لا يحصل على الحقائق مجردة عن الهوى ، كما ان فرصه الشخصية والاجتماعية للمراجعة والنقد قليلة ومحددة ، فانه لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه • والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا ـ من قبل ـ فى شكل انماط جامدة • فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بنيتهم وثقافتهم • معتمدين فى ذلك على ما تمدهم الثقافة واجهزة الاعلام من رؤى واخيلة وانماط ، وما يسرى بين الناس من شائعات •

ومن ذاك يتبين ان الاعلام كما يقول « اوتوجروت » ، هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت •

وتتكون عناصر الاعلام من عناصر ثلاثة :

اولا : عنصر المرسل ·

ثانيا : عنصر المستقبل ·

ثالثا : عنصر الاداة أو الوسيلة ·

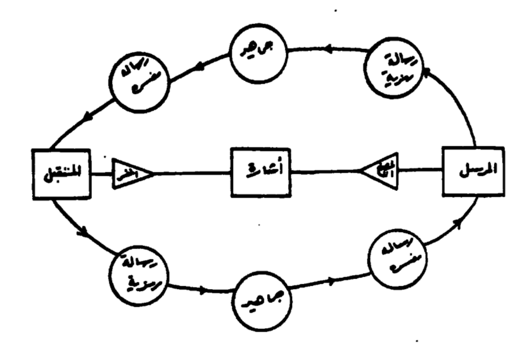
وقد اوضح كلابار الادوار الوسيطة النفسية والاجتماعية والثقافية ، التى تقف بين المرسل والمستقبل فليست هناك علاقة بسيطة ومباشرة بين الاتصال والتاثير ، وانما هناك تفاعل نفسى واجتماعى فى مجال ثقافى بين المرسل والمستقبل ، كما تلعب الدوافع والمدركات والحاجات دورا رئيسيا فى الاتصال الجماهيرى · فالمستقبل لا يتلقى الرسائل الاعلامية تلقيا عشوائيا بانصياع ورضوخ ، كما يظن المفكرون النظريون ـ ولكنه ينتقى منها ما يفيده على ضوء بنائه النفسى الواقعى ، والمحيط الاجتماعى والثقافى الذى يعيش فيه · ومن الثابت ان احكام الآخرين فى الجماعة الاولية التى يتخذها الفرد مرجعا له تقرر الى حد بعيد مدى تاثر الفكر بما يسمع أو يشاهد ·

ويقدم « ويلبور شرام » (٢١) نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه ـ اولا ـ المصدر أو صاحب الفكرة وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون · والعنصر الثانى هو التعبير عن الفكرة وصياغتها فى رموز لتكوين الرسالة ، أو الاشارة والعنصر الثالث هو المستقبل الذى يفك رموز الرسالة كما تتلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة ، والعنصر الرابع هو الاستجابة ورجع الصدى الذى قد يصل وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الأصلية ·

واذا وصلت هذه الارجاع وفسرها المرسل تفسيرا صحيحا فان الدورة الاتصالية تكتمل ، وتتكرر هذه الدورة بطبيعة الحال ـ الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية هى التى تتيح البناء الاجتماعى والثقافى نفسه ·

(٢١ Schramm, W., The Process & Effects of Mass Communication (1954) Urbana Univ. of Illinios.

ويمكن تصوير هذه الدورة الاتصالية على النحو التالى :



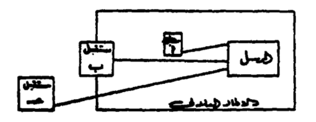
لابد للمرســل اذن ان يضع رســالته فى شــكل معين أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات • ومن الطبيعى ان تحتاج هذه الكلمات الى اجهزة نقل ، أو وسائل اعلام ـ كالصحف والاذاعة والتليفزيون وغيرها ـ لكى تنتشر بسرعة فى اماكن عديدة ، ومع ان الكلمات المسجلة والرموز المعروفة تكون ايضــا من الرموز السمعية فانها اطول وابقى على الزمن كالاثار والاهرام والوثائق والكتب •

ويتوقف ذلك ـ كما يقول الدكتور امام ـ على مدى التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل فاذا كان المرسل ضعيفا فى كتابته ، أو غير واثق من نفسه ، أو ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه ، فان ذلك يؤثر على الاتصال • واذا كانت الرسالة غير مصاغة بالطريقة الفعالة فانها تقف فى سبيل نجاح الاتصــال • كما ان الوسيلة نفسها ، لابد وان تكون من القوة والمرونة ، بحيث تصل الاشارات الى المستقبل فى الوقت المناسب والمكان المناسب مهما حدث من تداخل أو تنافس مع الوســـائل الاخرى • كما ان المستقبل نفسه وقدرته على حل الرموز بالطريقة المطلوبة من اهم العناصر لاتمام الدورة الاتصــــالية • فكفاءة المرسـل وقدرته على معرفة الهدف ، والوصول الى النتائج المطلوبة واتقان الصياغة ، وفعالية وسيلة الاتصال وقدرة المســتقبل على حــل الرموز ، لابد وان ينظر اليها على انها عناصر متعددة لعملية واحدة ، ولا يكفى للتناغم بين المرســل والمستقبل ان تكون

رسالته فى لغة يفهمها الطرفان بل ينبغى ان تكون الخبرات مشتركة ايضا فالمستمع الى محاضرة باللغة العربية عن نظرية النسبية لاينشتين ، لن تعوضه معرفته للغة العربية فى فهم المضمون ، ما لم يكن قد درس علم الطبيعة والرياضيات ، حتى يتمكن من متابعة المحاضرة ·

وهذا ما يعبر عنه بالاطار الدلالى · فكلما كان المرسل والمستقبل يتفاهمان فى اطار دلالى واحد ، كان ذلك اقرب ما يمكن الى الفهم ·

ويعبر عن ذلك على النحو التالى



فالمستقبل (ا) يقع داخل الاطار الدلالى للمرسل ، فهو يفهم كل شىء والمستقبل (ب) كاد ان يقع داخل الاطار الدلالى فهو يفهم اشياء ولكنه لا يفهم اشياء اخرى أما المستقبل (ج) فانه لا يفهم شيئا مما يقوله المرسل لانه يقع خارج اطاره الدلالى تماما ·

اللغة والاتصال :

قال بعض العلماء : ان اللغة افراز مركب ضرورى للفرد · وصالح لان يكيف بالكيفيات الاجتماعية وبهذا يمكننا ان نفسر كلام الفرد الى نفسه وكلامه الى صاحبه ·

وقال هنرى دولاكروا : ان اللغة هى دالة الفكر · والحقيقة ان اللغة فى عمومها ، ذات وظيفة هامة جدا يمكن ان تلخص فى امرين :

الاول : امر فردى : هو قضاء حاجة الفرد فى المجتمع ·

الثانى : امر اجتماعى خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية · فاما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح أن طبيعة التخصص تبدو فى وظيفة كل فرد بحيث لا يمكن ان يكون خبازا ونساجا وحدادا ونجارا وصيادا فى وقت واحد ·

ومن هنا كان على الفرد ان يعتمد فى اموره على غيره من اصحاب هذه المهن وان يتصل بهم لقضاء حاجاته ولا سبيل الى هذا الاتصال ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم · ولا بد للتفاهم من لغة ، ولو راقب المرء نفسه واحدا من حقل الاستعمال اللغوى لرأى كيف يعتمد الى حد كبير على وجود اللغة بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة لاعلى مجرد الاستخدام ·

واما الشق الثانى : من وظيفة اللغة فهو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية ، فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع كالتاريخ المشترك والدين المشترك والادب المشترك والفكر والاحساس والارادة والعمل المشترك ، اذ لا يقوم شىء من ذلك بدون اللغة وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، أو دين بلا لغة أو فكرة بدونها ، أو احساس لا يترجم عنه بها بعد ان يتم تكوينه بواسطتها أو ارادة ، تقوم بغيرها او عمل يتحقق بعيدا عنها ·

ان الشركة فى كل اولئك هى الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (٢٢) · ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر التى تمتاز لما لها من اهمية وخطورة بالغتين ·

وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة فى الاتصال الجماهيرى التى نتمكن بها من ادراك معنى الحياة وتوضيح معالمها ونعت مظاهرها هى اللغة ·

فالوظيفة اللغوية فى الاتصال الاعلامى ، هى تمثيل الرأى العام على مرآة تعكسه وفلسفة اللغة تنطوى على انعاشها وتنسيقها بحيث تصبح مطية للرأى العام ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارة للواقع ·

اللغة والقومية :

وقد دلت الملاحظة الحديثة على انه حين تقوى الصلة بين مناطق مجتمع من المجتمعات وتسهل بينها وسائل الاتصال تتكون لها مع الزمن

---

٢٢) مجلة المجلة ـ العدد ١١٣ ـ مقال الدكتور تمام حسان ـ القاهرة ص٩٥ ·

« لغة مشتركة » تقرب بينهم وتعين اهلها على تفاهم اسرع وايسر ، وتقضى لهم مصـالحهم الدنيوية • ولدينا فى العصر الحديث امثلـة كثيرة للغات المشتركة كالانجليزية المشتركة التى تسود فى مناطق انجلترا وكالفرنسية المشتركة التى تسود مناطق فرنسا ••• الخ (٢٣) •

وتتخذ اللغة المشتركة فى بدء نشأتها مركزا معينا يتاح له من الظروف والفرص ما لا يتاح لغيره فتتطلع اليه المناطق الاخرى ، وتسلم له الزمام فى النواحى السياسية والاقتصـادية والثقافية وينزح اليه الناس من كل صوب ثم تتبلور شيئا الاتصال الى مزيج لغوى منسجم يقبله الجميع وهو ما يسمى باللغة المشـتركة ومراكز اللغات المشـتركة فى العالم هى عـادة العواصـم التى يتهيأ لها من الظروف الاجتماعية والاقتصـادية والثقافية ما لا يتاح لغيرها من المناطق (٢٤) •

ولذلك نرى فريقا من العلماء يذهب الى تفسـير اللغة على أسـاس عقلى أو نفسى ويرى ان اللغة اسـتعمال رموز صـوتية منظمة للتعبير عن الافكار ونقلها من شخص الى آخر ومن مؤيدى هذه المدرسة « سابير » •

ونجد علماء الفلسفة والمنطق ينظرون الى اللغة باعتبارها الوسـيلة للتعبير عن الافكار فيقول الاستاذ جفوتز فى كتابه « مبادىء دروس المنطق »: ان للغة ثلاث وظائف :

اولا : كونها وسيلة للتوصيل •

ثانيا : كونها مساعدا آليا للتفكير •

ثالثا : كونها أداة للتسجيل والرجوع •

وينظر علماء المجتمع اليها باعتبار وظيفتها فى المجتمع فيعرفها أحد العلماء الامريكيين بانها : نظام من رموز ملفوظة بواسطتهايتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية •

ومن ذلك يتبين ان تعريف علمـاء النفس والمنطق يهدف الى ناحيـة واحدة ، لا يتفق والمطلوب من اللغة فى المجتمع الانسانى لانها لا تقف عند حد التعبير عن الأفكار ، وتوصيلها للاذهان كما يقول علماء المنطق لأن

---

٢٣) د• انيس : اللغة بين القومية العالمية ــ ص ١٠٣ •
٢٤) مجلة « اللسان العربى » العدد ٦ ــ ١٣٨٨هـ ــ الرباط ــ ص١٩ •

ذلك يقصر اللغة على طبقة من الناس هم أهل الفكر حال اشتغالهم بأمور فكرية ٠

ولا يمكن أن يقال أن اللغة أداة لنقل الأفكار وانما هى وسيلة للتعاون والترابط بين أفـراد المجتمع فاننـا نتبين كثيرا مـن النـاس يتكلمون فى موضوعات ليس يعنيهم منها نقل افكارهم الى غيرهم وانما يكون القصد مـن حـديثهم الترفيـه والتسليـه أو النظر فى امـور تخصهم فى ادارة شؤونهم (٢٥) ٠

وبذلك يبدو ان رأى علماء المجتمع بتعريف اللغة تعريفا يتناسب مع وظيفتها فى المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة بوجه عام واللغة الاعلامية او لغة الاتصال بالجماهير بوجه اخص

واذا كان ذلك صحيحا فينبغى ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة : وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (٢٦) ٠ وهذا التعريف للجرجانى وابن جنى ومن الملاحظ أن هـذا التعريف قد تمشى مع وجهـة نظر علماء الاتصال بالجماهير والباحثين فى الراى العام تمشيا دقيقا لأن الاصوات ما هى الا الرموز الصوتيه التى تنبىء عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه الأنسان فى حياته سواء كان احتياجا عاديا كشئون الناس فى حياتهم المتمشيه مع احتياجاتهم فى كل اوقاتهم والتى يسعى الاعلام الى تحقيقها عن طريق وظائفه الأساسية : الأخبار أو الاعلام ، والتفسير أو الشرح والتوجيه أو الأرشاد ، والتسليه او الأمتاع والتسويق أو الأعلان والتعليم أو التنشئة الاجتماعية أم كان احتياج الانسان ضروريا كاحتياج الاعلامى او رجل الاتصال بالجماهير للتعبير عن الأفكار القائمة بنفسـه لتوصيلها الى اذهان الجمهور

وعلى ذلك فان اللغة المشتركة ذات اثر قوى فى حياة الرأى العام لانها السبيل لفهم الأشياء المحيطه بالناس والطريق لارتباط الأفراد بعضهم ببعض والموصل للأفكار القائمة بالاذهان والمهيئه لرقى الأمم فى شتى نواحيها ٠

واهم صفات اللغة المشتركة أنها على حد تعبير « هنرى سويت » — تلك اللغة التى لا يستطيع السامع أن يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى اليها المتكلم ٠

---

٢٥) « الخصائص » لابن جنى جـ : ١ : ص٢١ — ط الهلال — (١٩٣١م) ٠

٢٦) د٠ انيس « اللغة بين القومية والعالمية » — ص١٠٤ ٠

واللغة المشتركة هى فى الحقيقة تعبير اخر لما يسميه السياسيون بالقومية · ولذلك لم يكن من المصادفةان القومية حين بدأت تتخذ شكلها فى القرن الثامن عشر لم يكن روادها من العسكريين او السياسيين وانما كانوا من العلماء والشعراء والكتاب الذين حاولوا جهدهم ان يتلمسوا ارواح الشعب فى الاساطير القديمة والأغانى المجهولة الأصل وكانت اللغة فى اعمال هؤلاء المفكرين اداه هذه الذكريات والتجارب المشتركة والسجل التاريخى · فليست القومية الا تلك الصلة الروحية التى اساسها الأفكار والرغبات والشعور ، كلها تنتقل من عقل الى عقل ومن نفس الى نفس فى كلمات شائعه وثيقة الاتصال بتلك العقول والنفوس فالكلام المشترك والتعابير العامة والنغم الكلامى بل المجازات كل هذا يتغلغل فى نفوس ابناء البيئة الواحدة · ويصبح المهاد النفسى للشعب · ثم قد ينفجر فى لحظة من لحظات التاريخ وينشأ عنه ما يسمى بالقومية (٢٧) ·

ولعل « هردر » ، العالم اللغوى ، فى أواخر القرن الثامن عشر كان أول من نبه الأذهان فى كتبه الى علاقة اللغة بنفسية الأمة وشخصيتها اذ يقول : « ان اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذى تتشكل به وتحفظ فيه وتنتقل بوساطته افكار الشعب · واللغة سواء قلنا انها خلقت دفعة واحدة من قبل الله أم ذهبنا الى انها تكونت تدريجيا بعمل العقل ، لا يمكن ان نشك فى انها الآن تخلق العقل أو على الاقل تؤثر فى التفكير تأثيرا عميقا وتسدده وتوجهه توجيها خاصا والأدب الذى يسود بين الطبقات العليا من الأمة يعكس تأثيرات خارجية أو اجنبية ولكن لغة الشعب تتمثل فى كل روح الشعب نفسه ·

ان لغة الأباء والاجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين · ان قلب الشعب ينبض فى لغته ـ ان روح الشعب يكمن فى لغة الأباء والاجداد (٢٨) ·

ويؤكد الفيلسوف الألمانى « فيخته » من بعد « هردر » فى اوائل القرن التاسع عشر ، أن اللغة والقومية امران متلازمان ومتعادلان · أن اللغة ترافق المرء وتحركه حتى اعمق ادوار تفكيره وارادته هى التى تجعل منا نحن الألمان مجتمعا متماسكا يديره عقل واحد · ان الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من انفسهم كتله موحده ربطت الطبيعة بين أجزائها بروابط

٢٧) ساطع الحصرى : « ما هى القومية » ـ ص٥٦ ·

٢٨) د· انيس « اللغة بين القومية والعالمية » ص١٠٨ ·

متينه ، وأن لم نرها ۰ أن الحدود التى تستحق أن تسمى حدودا طبيعية بين الشعوب هى التى ترسمها اللغات ۰

نجد بعد ذلك جماعة من المفكرين يتبنون فكره أن اللغة اساس القومية منهم « ماكس نورداو » الذى كان يقول : ان الفرد يندمج فى المجتمع باللغة وبها وحدها باللغة يصبح عضوا فى الشعب الذى يتكلمها وباللغة وحدها يتلقى كل التراث الفكرى والشعورى والأخلاقى والاجتماعى للأمة سواء منه ما انحدر عن قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين ، السالفين أو المعاصرين »۰

ويتضح صدق الرأى الذى نادت به النظرية الألمانية من ان القومية مرادفه للغة حين نتذكر تلك القوميات التى نشأت فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ۰

فقد اقامت المانيا على أساس اللغة وحدتها بعد ان كانت مجزأة الى دويلات كثيرة وكذلك وحدت ايطاليا على أساس اللغة ايضا ۰ وان استقلال بولندا واتحادها قد تم ايضا على اساس ان الناطقين بالبولندية اصحاب قومية واحده وكذلك استقلال اليونان وبلغاريا ورومانيا والبانيا ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا فكل هذه الدول قامت على اساس ان لكل منها لغة قومية متميزة عن غيرها ۰ أى ان تفكك كل من السلطنه العثمانية والامبراطورية النمساوية انما كان بسبب اختلاف اللغات فيهما ، فانفصلت عن السلطنه العثمانية الشعوب التى تتكلم بغير التركيه وانفصلت عن الامبراطورية النمساوية الشعوب التى تتكلم بغير الألمانية (٢٩) ۰

وشواهد الماضى وتجارب الحاضر فى الشرق والغرب تثبت فى وضوح أن اللغة على الاطلاق هى اقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أهلها حتى لقد ذهب العالم اللغوى سابير الى ان اللغة هى على الارجح اعظم قوه من القوى التى تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ومضمون هذا الرأى امران :

الأول : ان اتصال الناس بعضهم ببعض فى المجتمع البشرى لا يتيسر حصوله بدون اللغة ۰

والثانى : ان وجود لغة مشتركة بين افراد أو أمة من شانه أن يكون هو نفسه رمزا ثابتا وفريدا للتضامن بين الأفراد المتكلمين بها (٣٠) ۰

---

٢٩) د۰ عثمان أمين : « فلسفطة اللغة العربية » ص١٦ ۰
٣٠) مجلة اللسان العربى ـ العدد السادس ـ ص١٩ ۰

فاللغة عنصر ضرورى لبقاء وتماسك وحدات المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادىء تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للأشياء والأفعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هذا الشىء أو الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوى دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة ٠

اللغة والاتصال الاعلامى :

الوجود البشرى ملتحم باللغة فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس فى كل لحظة ، وترافق المجتمعات فى اطوارها التاريخية والمتلاحقة فيصيبها ناموس التغير الحتمى الذى يجعلها اداة صادقة للتعبير باللفظ والرمز والايحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ومعيارا دقيقا لرقيها أو انحطاطها فى ميدان الثقافة والعلم والحضارة ٠

وحاول الكاتب الانجليزى هـ٠ج٠ ويلز أن يكشف العامل الذى يفضل غيره فى حركة التاريخ الانسانى ٠

وبدأ بمزية الأنسان الأولى وهى الكلام او اللغة اللسانية وجعلها المحور الرئيسى لحركة التاريخ الأنسانى بأسره وقسم هذا التاريخ اقساما رئيسية : الأول : عصر الكلام والثانى : عصر الكتابه والثالث : عصر الطباعة والرابع : عصر الأذاعة ٠ وادخل فى اعتباره العوامل المساعدة لهذا المحور الرئيسى ، كاختراع البخار والكهرباء واقتران الطباعه بالانتاج الآلى الكبير ٠

وليس من شك فى ان ويلز كان من المبشرين بلغة جديدة ٠ وفن اعلامى جديد كان من القلائل الذين ادركوا أن التقدم الأنسانى يسير بخطى سريعة ، وبخاصة فى التحكم فى الطاقات الهائلة ٠

على ان ذلك يؤكد أن اللغة لاتعرف التحجر ، وهى قادرة على العمل ، قدرة كاملة وهى لا تفتا تتغير شكلا ومبنى ، تتغير حروفها وأصواتها او صيغتها وبناؤها أو من ناحية معناها فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر أو تضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون أن تترك الأول ٠

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الأقوام التى تنطق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ اقدم العصور ولا سبيل لتفضيل

لغة على أخرى وانما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعه لتنمية اللغات واثراء تراثها التعبيرى •

الامم البدائية حتما لغتها بدائية وغير معقولة ومفتقره الى العديد من العبارات والالفاظ التى تؤدى المعانى الحسيه والمجرده فهى المحدوده وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا وثقافته نموا تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمه لفظا مناسبا (٣١) •

ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثته البيولوجية خطا اخر للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم المعرفة امرا ممكنا •

وقد اتاح العلم الحديث للغة ممكنات ووسائل متعدده للتعبير عن دقائق الأحكام العقلية فى صورها النظرية والتطبيقية كما اتاح للالفاظ المعنوية المجردة طاقات جديدة • مالت بها نحو وضوح اكثر وتخصص ادق واصبحت الكلمات بفضل تقدم الاداب وفنون الاعلام والاتصال بالجماهير غنيه بالمدلولات التى تعمقت فى اغوار النفس البشرية وحاجات الانسان حتى صار عدد من الفاظ اللغة عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعانى المجردة واعمقها (٣٢) •

وكان طبيعيا ان يشتد الاحساس بالحاجه الى لغة اعلامية بعد ظهور وسائل الاعلام وتنوعها الى : وسائل مكانيه ووسائل زمانيه ، ووسائل مكانيه زمانيه •

ويقصد بالوسائل المكانيه تلك التى تشغل حيزا فى مكان كالصحف اما الوسائل الزمنية فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالاذاعة والتلفزيون
امة الوسائل الزمنيه فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالأذاعة والتلفزة
والأحاديث المسموعه وهى وسائل شفوية او سمعية وتعتبر الافلام الناطقة والتلفزيون والمحادثات الشخصية المباشرة وسائل مكانية زمانية لانها تشغل حيزا مكانيا ووقتا زمنيا فى نفس الوقت وهى وسائل سمعية وبصرية •

وادى هذا التطور الى ظهور لغة من نوع جديد غير اللغة الادبية بمستواها التذوقى الجمالى وغير لغة العلم فاللغة الاعلامية الجديدة هى التى تسعى الى جميع فئات القراء والى تحقيق المستوى العملى على الصعيد الاجتماعى للغة •

---

٣١) مجلة « اللسان العربى » ـ العدد الاول ـ ص٢٨ ـ المغرب ـ ١٣٨١هـ •

٣٢) د• امام : المرجع السابق ـ ١٩٩ •

ويبالغ البعض فى تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة وتخيلوا ان عصر التدوين على المنهج القديم قد انتهى وان اللغة اللسانية تستعيد مكانتها وتعود الى طبيعتها المهجورة وبكل ما فى الصوت من نبر وايقاع وان الصورة تتخذ بدورها مكانها الى جانب اللسان ، ويذكر الدكتور عبد الحميد يونس ان هذه الجارحة كانت اكثر وسائل الاتصال مرونة لانها تستطيع أن تسجل الصور الحسية على اختلافها وان تحكى أو ترمز أو تشير الى الصور البصرية والسمعية والذوقية الى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال • والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على بعض الوسائل الاخرى •

وأهم هذه المميزات ان القارىء أو المشاهد يستطيع السيطرة على الوسيلة بطريقة تلائمه ، فالقارىء مثلا : فى حالة الصحيفة أو الكتاب يستطيع ان يقرأ بالسرعة التى تناسبه ، كما يتمكن من اعادة ومراجعة ما قرأه فى أى وقت يشاء • لذلك كانت هذه الوسائل البصرية المكانية صالحة لنشر الموضوعات المعقدة والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة ، وغنى عن البيان أن هذه المطبوعات وغيرها من الوسائل البصرية تمكن الناس من النقد المدروس والعناية بالتفاصيل الدقيقة • فلا غرابة اذن ، ان تتفوق هذه الوسائل فى التعبير عن الدراسات الدقيقة والموضوعات ذات التفاصيل الكثيرة •

ومن أهم مميزات الوسائل المكانية البصرية ايضا انها تخدم الاذواق المختلفة وتعبر عن الاتجاهات المتعددة فمن الممكن مثلا ان تصدر الاقليات صحفا لها كما يمكن للجمعيات المختلفة ان تسجل نشاطها فى صحف ومجلات خاصة بها • ومن الثابت ايضا ان الاتجاهات المتطرفة والحركات الثورية والمذاهب الجديدة لا تجد خيرا من النشرات والمطبوعات الخاصة للتعبير عن مبادئها وارائها •

ويندر ان تستعمل الوسائل الاخرى كالاذاعة فى مثل هذه الاحوال وتتمتع وسائل الاعلام المكانية البصرية باحترام عظيم وثقة كبيرة فى معظم دول العالم ، بحيث تتفوق بذلك على الوسائل الاخرى • ومع ان التجارب التى اجريت فى مصر وسوريا والاردن ولبنان مجتمعة فقد اثبتت ان ٦٣٪ من الجماهير العربية تفضل الاذاعة على الصحافة فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها ولا شك ان مرد ذلك الى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطنى المشرف •

والدليل على ذلك ان كثيرا من الاميين فى مصر يشترون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين أو يجتمعون فى القاهرة أو الدور الريفية للاستماع الى تلاوة الصحف ٠

اما الوسائل الزمانية السمعية كالاذاعة فتتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات البسيطة القصيرة واذا كانت المطبوعات والصحافة تناسب ذوى الثقافة فان الاذاعة تناسب قليلى الحظ منها ، بل والاميين انفسهم ٠ ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متوافرا فى الصوت الاذاعى النابض بالحياة فانه من الطبيعى ان تتفوق الاذاعة على الصحافة فى هذه الناحية ومن نتائج ذلك ايضا ان الاذاعة من اصلح الوسائل للاستهواء والايحاء (٣٣) ٠

ويعلل « دوب » سر القوة الايحائية بانها وسيلة سريعة للنشر بحيث تتفوق على الصحافة ومعظم وسائل النشر الاخرى وبذلك تنفرد الاذاعة بالسبق واولوية النشر والاثر الاول للخبر أو الرأى لا يمحى بسهولة كما تصعب معارضته ، والواقع ان الاحساس الجماعى من اهم مميزات الاذاعة فقد يستطيع المستمع ان يشترك فعلا فى البرنامج أو انه على الاقل يحس وهو فى بيته انه عضو فى جمهور كبير من المستمعين وهذا الاحساس يعمق من قوة الاستهواء ٠ ولما كانت الغالبية العظمى من مستمعى الاذاعة من الاميين ومتوسطى الثقافة فان الاستهواء يكون اسرع واقوى اثرا ولا غرابة اذن ان تلعب الاذاعة دورا خطيرا فى الدعاية السياسية الموجهة الى الشعوب المتخلفة ثقافيا كما يقوم بدور رئيسى فى الترويج التجارى وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية ٠ غير ان الاذاعة ـ والوسائل الزمانية السمعية عموما ـ لا تمنح تلك السيطرة القوية على الوسيلة ، التى يتمتع بها قارىء الصحيفة أو الكتاب ٠ فالمستمع مقيد دائما بموعد الاذاعة المحدد ٠ الذى لا يمكن تغييره ٠ وهو لا يستطيع ان يطلب من المتحدث ان يعيد ما يقول ، أو ان يقرأ بسرعة معينة تناسبه ٠

ويتضح لنا من التجارب التى اجراها « بلومر » (٣٤) و « دوب » ان الوسائل السمعية البصرية كالافلام الناطقة والتلفزيون تمتاز بتاثيرها القوى

---

٣٣) د٠ امام : المرجع السابق ـ ص١٩٩ ٠

٣٤) H. Blumer : Movies and Conduct (N.Y.) The Macmillan Company 1933, Doob, Propaganda, Its psychology and *Technique (N.Y. Holland Compagny 1935)*

بحكم واقعية الصورة وحيويتها مقترنة بالصوت المعبر الذى يزيد الصورة قوة وحيوية ، ومع أن نتائج ابحاث هذين العالمين تشير الى ان الوسائل السمعية البصرية تتفوق على الوسائل الاخرى فى درجة تذكر الافراد المعرضين لها ، فان هذه النتائج لم تثبت بعد بصفة مؤكدة ٠

اما التجارب التى اجراها « ستودارد » و « هول وادى » فقد اثبتت ان الوسائل البصرية تمتاز بقدرتها الفائقة على الاستهواء ، ويؤكد معظم العلماء هذه النتائج بالنسبة للاطفال فهم يصدقون كل ما يرونه فى الافلام ، حتى انه ليصعب جدا تعديل التاثيرات الناتجة عن المشاهدات عند بعضهم وغنى عن البيان ان عادات الممثلين على الشاشة ـ كالتدخين أو اختيار ازياء معينة ـ سرعان ما تنتشر بين المراهقين وغيرهم من شديدى الحساسية للاستهواء ٠

والافلام من الوسائل القوية التى تتناسب مع المثقفين وغير المثقفين كما انها تنجح بالنسبة للاجانب الذين لا يجيدون لغة الفيلم اذ يمكنهم متابعة تسلسل الموضوع خلال الصور وحدها ، ومن الثابت ان واقعية الفيلم تزداد كثيرا باستعمال الالوان اما التذكر عن طريق الوسائل السمعية البصرية فهو اقوى بكثير من التذكر عن طريق الوسائل الاخرى ٠ ولكن هذه النتيجة الاخيرة لازالت موضع المزيد من التجارب العلمية وغيرها (٣٥) ٠

وليس الامر مقصورا على المميزات الطبيعية وحدها بل ان العادات والتقاليد والاساليب الحضارية لها تاثيرها القوى على تكوين الجماعات السمعية أو البصرية فقبل ظهور الطباعة كان الرواة والمنشدون وغيرهم يقومون بعمل الصحافة ودور النشر الحديثة ، وكانت الجماعات سمعية بحكم الحضارة والتقاليد ٠

فعند العرب كانت القصيدة الشعرية الاداة الاساسية للتعبير عن رأى القبيلة فى العصر الجاهلى ٠ فلما جاء الاسلام لعبت قصائد حسان بن ثابت دورها فى مناصرة صاحب الدعوة ٠ ثم فى عصر بنى أمية وجد ما يسمى « بالشعر السياسى » وعلى الشعراء السياسين من امثال جرير والفرزدق والاخطل والراعى وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى امية فى كثير من قضاياهم السياسية ٠

---

٣٥) د٠ امام : نفس المرجع ـ ص١٩٢ ٠

ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعوبية» وحلت محل العصبية القبلية . وتحمس الشعراء الشعوبيون للامم او الاجناس التى ينتمون اليها . كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات وخطباء يذودون عنها ضد الفرق الاخرى .

اما فى المدنيات الحديثة ، فنجد جماعات بصرية كبيرة نتيجة للاعتماد على الصحف والمطبوعات والافلام وغيرها ، ويبدو ان التقدم الحديث فى فنون الاذاعة سيعيد التوازن مرة اخرى بين الاتجاهات السمعية والبصرية.

والبقاء أو الدوام مقياس آخر لتقويم وسائل الاعلام المختلفة فالكتب أطول وسائل الاعلام بقاء وتشهد بذلك تلك الدرر الخالدة فى الاداب والفنون والعلوم المختلفة . واذا اعتبرنا فن العمارة وسيلة من وسائل الاعلام – وانه لكذلك – كانت الاهرام والاثار المصرية والمساجد الاسلامية العريقة من اخلد هذه الوسائل جميعا .وتحتل الافلام المرتبة الثانية بعد الكتاب من حيث البقاء ثم تأتى المجلات التى تتمتع بحياة اطول من الصحف قصيرة العمر ، وأقل وسائل الاعلام بقاء هى الاذاعة والتلفزيون ، فلا تترك اثرا باقيا بعد النشر ومع ذلك فينبغى الا يقلل من قيمة الاذاعة والتلفزيون لانهما يؤديان واجب الاعلام السريع والاستهواء العاجل بالنسبة للاطفال وقليلى الحظ من الثقافة اما الكتاب والمجلة والصحيفة فهى من اصلح الوسائل لمعالجة المعانى الصعبة والمبادىء الفلسفية والافكار المعقدة بوجه عام .

وسواء كان النمط الاتصالى شخصيا او جماعيا أو جماهيريا فثمة حقيقة واقعة وهى ان عملية الاتصال الاعلامى فى جميع انماطها تتوقف على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها بين الافراد ، كما ان اوجه النشاط الجماعية ومعانيها الثقافية تتوقف الى حد كبير على الخبرات المشتركة من المعانى فالاتصال فى جوهره هو نقل المعانى عن طريق الرموز المتعارف عليها والتى يستخدمها الانسان من أجل التوافق النفسى مع العالم الخارجى . فالرموز هى جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقرى وبدونها لا يمكن ان تعمل .

الفصل الثاني

اللغة والاتصال بالجماهير

اللغة والاتصال بالجماهير

تعتبر مشـكلات اللغة من المسـائل الرئيسية الهامة فى الدراسـات الانسانية ان لم تتجاوزها بالتخطى الى الاهمية المطلقة ٠

والتعريف الشائع للغة هو انها مرآة تعكس الفكر أو وسيلة للتعبير عن الافكار وتوصيلها أو تبادلها ، اذ يعرف « هنرى سويت » اللغة فى كتاب « مدخل تاريخ اللغـة » بانها « التعبير عن الفكر عـن طريق الاصـوات اللغوية » كما يعرفها العالم الامريكى « سـابير » فى كتابه « اللغة » بانها « وسيلة لتوصيل الافكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى يستخدمها الفرد باختياره » ٠

على أن احدث تعريف للغة هو ذاك الذى وضعه العلامة « جسبرسن » فى كتاب « فلسفة النحو » : « تكمن روح اللغة فى نوع من النشاط الانسانى، نشاط من جانب فرد يجد فى افهام نفسه لشخص آخر ، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بغرض فهم ماكان يجرى فى ذهن الشخص الأول » ٠

ولكن علم الاتصال بالجماهير بوصفه عملية اجتماعية هامة هو العلم الذى يدرس هذه الظواهر دراسة منظمة تعتمد على المنهج التجريبى وتقوم على تكوين الفروض العاملة والملاحظة واجراء التجارب والقياس وقد هيأت ظروف الحربين العالميتين فرصة سانحة لدراسة اسـاليب الاتصال وفنون التاثير التى ما كان يمكن ان تتاح على نطاق واسع لولا هذه الظروف ففيها اسـتطاع العلمـاء اجراء تجارب علمية على الجنود والمدنيين لمعرفة مدى تاثرهم بالاتصـال وقد خرجوا من دراسـة الحـالات واجراء التجـارب مجموعة النظريات التى تربط بين عدد مـن الوقائع حتى بلغ هـذا العلم مستوى رفيعا (١) ٠

---

١) د٠ امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ـ ص٣٥ ٠
Sapir, «Language» Harcaurt Brace N.Y. 1921, p. 23

ويعتمد علم الاتصال بالجماهير على عدد كبير من البحوث التى اجريت فى العلوم الاجتماعية الاخرى واهمها علم النفس ، وخاصة علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع وعلم الانسان (الانثروبولوجيا) وعلم السياسة فضلا عن علوم الاقتصاد والتاريخ واللغات ولا شك ان دراسة علم الدلالة قد اثر تأثيرا كبيرا بفهم حقيقة الرموز ودلالتها وصياغية الاتصالية ، ونظرا لاعتماد علم الاتصال بالجماهير على سائر هذه العلوم الاجتماعية فقد رأى البعض ان هذا العلم ليس علما مستقلا او قائما بذاته ولكنه عبارة عن مجموعة من الدراسات المتعددة ، ومما لا شك فيه ان ظاهرة الاتصال بالجماهير هى الموضوع الرئيسى للمستقبل الذى يدرسه هذا العلم دراسة منهجية ، ولا ينقص من شأنه واستقلاله استعانته بالعلوم الاخرى التى تتصل بجوانب متعددة من هذه الظاهرة الهامة ·

اللغة عند افلاطون وارسطو :

ومع ان علم الاتصال بالجماهير من احدث الدراسات التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية فان عملية التأثير والاقناع كانت موضع دراسة عميقة وجادة منذ اقدم العصور ، حتى لنجد الكتب المقدسة تتحدث عن الكلمة فيقول الانجيل بانه « فى الأصل كان الكلمة والكلمة عند الله والله هو الكلمة » كذلك يقول القرآن « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين · قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم » ·

وقد تطور افلاطون وارسطو بهذه النزعة الروحية فى تفسير نشأة اللغة فعنيا عناية فائقة بدراستها وهى من الموضوعات الهامة فى علم الاتصال ، فيذهب افلاطون الى ان اللغة الهام ومقدرة فطرية يكتسبها الانسان منذ الخلق ، وقد نهج بادىء ذى بدء نهجا خاصا عبر به فرأى ان لا سبيل الى فهم الحقيقة اللغوية الا بالنظر فى الالفاظ الاولى فى لغات عدة ولذا فقد رأى ان النظر فى اللغات الاخرى للشعوب المختلفة امر ضرورى للوصول الى الهدف المنشود ، ويدرك افلاطون صعوبة المحاولة ويقرر أن السبيل اليها هو معرفة اللغات الاخرى ·

على ان افلاطون يرى ان الالفاظ تساعد على التوضيح وان الفكر لا يتولد من اللغة ولكن اللغة هى التى تتولد من الفكر فلكى نسمى الاشياء باسمائها لابد لنا من ان نعرفها اولا ·

اما ارسطو فقد مثل النزعة الاخرى حين يتناول موضوع الاتصـال بطريقة مباشرة فى كتابه « الخطابة » فاتجه بالدراسـة اللغوية اتجاهـا مختلفا عن اتجاه افلاطون فاكد ان اللغة لا يمكن ان تكون الهاما وموهبة انسانية وان اللغة نظام لفظى محدد نشا نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية فى مكان ما ٠

وقد كان ارسطو اقرب من افلاطون فى الاخذ بالنظر العلمى ، فقسم الالفاظ الى اسـماء وافعال وحروف وتحدث عن موضـوعات لغوية منها التذكير والتانيث والبسيط والمركب ٠

ولآراء ارسطو فى اللغة مكانتها التاريخية فى علم الاتصال بالجماهير حين يؤكد أن « الخطابة هى القدرة على النظر فى كل ما يوصل الى الاقناع فى اية مسـالة مـن المسـائل » ذلك ان الخطابة او البلاغة باعتبارها قوة مؤثرة فى الجماهير هى محور ودراسة علم الاتصال الجماهيرى الحديثة فارسطو يقسم الموقف الاتصالى الى ثلاثة عناصر ٠

هى الخطيب او المرسل والجمهور او المستقبل والخطبة او الرسالة مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء وهذا هو ما ظهر تماما فى الدراسات الحديثة ٠

الدراسات الاسلامية :

وقد تاثر العرب بهذا العلم الاغريقى وقراوه مترجما على يد الاراميين والسريان ، ومن العجيب انهم لم يتاثروا بالتفكير الهندوكى اللغوى بالرغم من اتصالهم بهم (٢) ٠ ومن هنا انطبعت الدراسات اللغوية العربية بطابع من افكار الاغريق ودراساتهم التى يغلب عليها طابع الفلسفة (٣) ٠

وقد كان المسلمون يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية « السياسة » (٤) كما ورد فى « مروج الذهب » للمسعودى عندما يقول :

« وقد بلغ من احكام معاوية للسـياسة واتقانه لها واجتذاب قلـوب خواصه واعوانه ٠٠٠ الخ » ويقصد بذلك تاثير معاوية فى الجماهير عن

---

٢) ابراهيم السامرائى : « التطور اللغوى التاريخى » ـ ص١١ ٠
٣) د٠ عبد الرحمن ايوب : « اللغة والتطور » ـ ص١٦ ٠
٤) د٠ ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص٣٩ ٠

طريق الرواية والدعاية ٠ وقد بلغ به الأمر الى حد تزييف الاحاديث ، واختلاق الروايات وتلفيق المواقف التاريخية من أجل التحكم فى نفوس الجماهير ٠

ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الأثير يستطيع ان يقف على تفاصيل الدعاية الاسلامية فى العصرين الاموى والعباسى كما يتضح دور الفرق الاسلامية المختلفة من أهل السنة والمعتزلة والشيعة فى الدعاية السياسية والدينية معا (٥) ٠

ويتناول الجاحظ موضوع التأثير فى الجماهير فى كتابه « البيان والتبيين » ومتى شاكل ابقاك الله ـ ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماحة الاستكراه وسلم من فساد الكلف كان قمينا بحسن الموقع وانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمى عرضه من اعتراض العايبين ولا تزال القلوب به مغمورة ماهولة ومتى كان اللفظ ايضا كريما فى نفسه متميزاً جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على السن الرواه وشاع فى الافاق ذكره وعظم فى الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيسى ورياضة للمتعلم المريض ٠ فاذا اراد صاحب الكلام صلاح شان العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يحمى وينصح ولا يغش وكان مشغوفا باهل الجماعة شغفا لاهل الاختلاف والفرقة رجعت له الحظوظ من اقطارها وسيقت اليه القلوب بازمتها وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب ارادته ، ومن اعاده الله من معرفته مضيئا وافرغ عليه من حبته دنوبا حنت اليه المعانى وسلس له نظام اللفظ وكان قد اغنى المستمع من كد الكلف واراح قارىء الكتاب من علاج التفهم (٦) ٠

وعنى الباحثون العرب بدراسة لغتهم بعد نزول القرآن واتساع الفتوحات وخاصة بعد قيام الدولة العباسية فجندوا انفسهم للعناية بامور اللغة حرصا على كتاب الله فاتجهت الدراسات اللغوية فى اتجاهات عدة واهتدى الباحثون لمسائل دقيقة فيها قال الفراء :

وجدنا للغة العرب فضلا على لغات جميع الأمم اختصاصا من الله

---

٥) د٠ امام « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص٢٩ ٠
٦) « البيان والتبيين » ج٣ ص٢٠ ٠

تعالى وكرامة اكرمهم بها ومن خصائصها انه يوجد فيها من الايجاز ما لا يوجد فى غيرها من اللغات (٧) ٠

ويبرز الاتجاه الاول فى عناية الباحثين العرب بما يسميه علماء الغرب « بالسنتكس التعليمى » أى « علم التنظيم التعليمى » (٨) أو « علم النحو » الذى بدأ يظهر على يد الباحث اللغوى أبى الاسود الدؤلى ، وظلت العناية موجهة فى هذا الاتجاه الى نهاية القرن الاول الهجرى ، ثم اخذ نطاق البحث يتسع ، فدرست موضوعات كثيرة متصلة باجزاء الكلام وتباين صلة اجزاء الجملة بعضها ببعض ، وطريقة ربطها بعضها ببعض واقسام الكلمة ووظيفتها فى الدلالة ٠ كما اخذ العلماء العرب فى هذا الاتجاه يدرسون المسائل المتعلقة بضبط القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات العربية وتصريفها وتغيير ابنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك من البحوث التى يطلق عليها الغرب « المورفولوجيا التعليمية » أى « علم البنية التعليمى (٩) ٠

وبذلك وجد السبيل لدراسة الفرع الجديد الذى عرفناه « بعلم الصرف » ٠

واتجهت الدراسات العربية كذلك الى موضوع يتصل بعلم الاتصال عن قرب على النحو الذى وجدناه لدى ارسطو وهذا الاتجاه هو المعروف « بعلوم البلاغة » التى تضم المعانى ، والبيان والبديع وعلم المعانى بحث فى بيان ما ينبغى ان يكون عليه الاسلوب العربى ليطابق مقتضى الحال وليعبر عن المراد ابلغ تعبير اما البيان فهو علم يشرح المناهج التى يسلكها الاسلوب العربى فى استخدام التشبيهات والمجازات والكنايات والبديع يدرس المحسنات المعنوية واللفظية التى يحتملها الاسلوب العربى الذى تتجه اليه علوم الاتصال بالجماهير وهى من جهة اخرى « ترجع إلى ما يسميه المحدثون من علماء الفرنجة « الستيلستيك التعليمى » أى « علم الاسلوب التعليمى » ٠

وقد عنى المتقدمون بالكتابة فى بعض هذه المباحث « كمجاز القرآن » لأبى عبيدة و « اعجاز القرآن » للجاحظ ، ثم برزت الكتابة فى هذه العلوم فى مؤلفات تضمها جميعا « كالصناعتين » لأبى هلال العسكرى و « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجانى ٠

٩،٨،٧) د٠ وافى : نفس المرجع ص٥٩ وما بعدها ٠

وفى الاتجاه الثالث نجد العلماء العرب يبحثون فى الكلمة العربية من حيث نطقها واداؤها ، لبيان الوجوه التى قرىء بها القــرآن الكريم • وقد اشتملت مؤلفات الباحثين فى القراءات على بحوث دقيقة قيمة فى اصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وانواعها ومخارجها والفن وضروبه وتأثر اصــوات الكلمة المتجاورة بعضــها ببعض •• وما الى ذلك من مســائل « الفونتيك » الخاصة باللغة العربية (١٠) •

واتجهت جهود الباحثين العرب فى الاتجــاه الرابــع الى البحث فى اشعار العرب فجمعتها ونقبت عن معانى الغريب فى مفرداتها هادفة مــن وراء ذلك الى فهم كتاب الله •

ويدلنا على ذلك ما روى (١١) عــن ابن عباس رضى اللــه عنه بهذا الصدد :

الشعر ديوان العرب فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه • وقال ايضا : « اذا تعاجم شىء من القرآن فانظروا فى الشعر ، فان الشعر عربى » •

وعنى الاتجــاه الخــاص « بمتن اللغــة » والذى تفرعت منه ثــلاثة اقسام ، عنى الاول منها بوضع معجمات تهدف الى شرح المفردات واول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو الخليل بن احمد صاحب كتاب « العين » •

وعنى القســم الثــانى بوضــع معجمات ترمى الى بيــان المفردات الموضوعة المختلفة المعانى وترتيب المعانى بطريقة خاصة وذكر الالفاظ التى تقال للتعبير عن كل معنى منها ككتاب « الالفاظ » لابن السكيت ، و « الالفاظ الكتابية » للهمدانى ، و « فقه اللغة » للثعالبى •

اما القســم الثالث فقد عنى بتاليف رســائل خاصــة فى الالفاظ او المعــانى ، ككتاب ابى حنيفة فى الانواء والنبات وكتاب يعقوب فى النبات والاصوات والفرق وكتاب الاضداد فى اللغة للانبارى •• الخ •

---

١٠) القلقشندى : « صبح الاعشى » ج١ ـ ص١٤٩ •
ـ د• وافى « علم اللغة » ـ ص٥٢ •
ـ المرجع السابق ـ ٥٣ •
ـ المرجع السابق ـ ص٥٦ •
١١) « تفسير القرطبى » ـ ج١٠ ـ ص١٢٩ •

واتجه البحث اللغوى عند العرب ـ فى الاتجاه الاخير ـ الى « فقه اللغة العربية » وبعض مسائل من علم اللغة العام (١٢) ٠

فمن ذلك دراسة الاصمعى للاشتقاق فى اللغة العربية ، ومعظم البحوث التى ضمنها ان فارس فى كتابه « الصاحبى » فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها كبحثه فى خصائص اللسان العربى والقياس والاشتقاق ٠٠ الخ ، والبحوث التى ضمنها ابن جنى فى كتابه « الخصائص » كبحثه فى أصل اللغة وهل هى الهام أم اصطلاح ٠٠ وهلم جرا ٠

ومن ذلك يبين ان الدراسات اللغوية عند علماء العرب باتجاهاتها المختلفة ، افادت فى دراسة اهم عناصر العملية الاتصالية ونعنى اللغة حيث نتعرف على تطور اللفظ والاساليب والعوامل التى أثرت فى تطور الاساليب اجتماعيا ونفسيا وجغرافيا ٠

وقد وجدنا ان الفارابى (١٣) المعروف فى التاريخ بالمعلم الثانى بعد ارسطو وعبد الرحمن بن خلدون قد اسهما فى دراسة دور الاتصال فى المجتمع ٠ كما قام الجاحظ بدراسة شيقة للخطابة والتأثير فى الناس ٠ ويتحدث الفارابى فى « اراء أهل المدينة الفاضلة » عن عوامل تماسك الجماعة ودور القيادة فى ذلك ، وهو يقسم الجماعات الى قسمين : جماعات صغيرة تتماسك بطول التلاقى والاشتراك فى الطعام والشراب والاشتراك فى شر يداهمهم وخاصة اذا كان نوع الشر واحدا وتلاقوا ، فان بعضهم يكون سلوة بعض والاشتراك فى لذة ما ٠ اما القسم الآخر فهو الجماعات الكبيرة التى تتماسك بالاشتراك فى اللغة واللسان وبتشابه الشيم والخلق ٠

ويذهب أبن خلدون فى مقدمته الى تعليل التماسك والاختلاف بين الشعوب والمجتمعات على أسس اجتماعية ويرفض ما ذهب اليه المسعودى من اسباب تتصل بتركيب الانسجة ٠٠ ولعل هذا الاتجاه الذى يربط بين العوامل النفسية والاجتماعية فى تعليل السلوك هو نفس الاتجاه الحديث الذى يرفض التعليلات الغيبية والافتراضات المتصلة بالغرائز والعوامل البيولوجية العتيقة ٠ وحين يتحدث ابن خلدون عن التعليم يقترب كثيرا من المحدثين وخاصة السلوكيين اذ يقول :

---

١٢) د٠ وافى : « علم اللغة » ص٥٩ ٠
١٣) الفارابى ـ ابو النصر : « اراء اهل المدينة الفاضله » ـ القاهرة ١٩٤٨ ٠

« لان الافعال لابد من عود اثارها على النفس فافعال الخير تعود باثار الخير والذكاء وافعال الشر والسفسفة تعود بغير ذلك فتتمسك وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير ان تاخرت عنها بما ينطبع من اثارهم المذمومة فى النفس شان الملكات الناشئة عن افعال » .

اللغة فى ضوء البحث الحديث :

ظلت البحوث اللغوية فى اوروبا حتى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى محصورة فى دائرة ضيقة ولا تعدو كثيرا مسائل علوم البنية والتنظيم والاسلوب (المورفولوجيا والسنتكس والستيلستيك) فى اشكالها التعليمية (١٤) .

ولما بدأت النهضة الاوربية فى أواخر ذلك القرن ، واطلع العلماء على العلوم العربية مترجمة الى لغاتهم بدأ الاهتمام بالدراسات اللغوية حين بدأ علم اللغة المقارن على يد السير وليام جونز أحد قضاة الانجليز فى الهند والذى لاحظ الشبه القوى بين اللغة السنسكريتية واللغة الاغريقية واللاتينية هذه اللغات جميعا صدرت عن أصل واحد .

وكان من أشهر من افتتح هذه السبل فون شليجل الذى قرر ان الوسيلة الوحيدة لاثبات العلاقة بين افراد مجموعة لغوية هى مقارنة قواعدها وتراتيبها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها .

وقد توالت الدراسات اللغوية فتمكن العالمان بوب وجريم من التوصل الى قوانين فى تلك اللغات مثل القوانين فى اللغات الهندية والتى جعلت أساسا للدراسة اللغوية الى هذا الوقت . وكان ذلك ايذانا بالتوصل الى دراسة القواعد دراسة مقارنة مهدت بدورها الى بحوث علم القواعد التاريخى التى قام بها جريم ودبيز وبراشيه وماكس مولر وغيرهم . وقد اسدى هذا المنهج المقارن فى دراسة اللغة خدمة جليلة فى بيان طبيعتها وخرج بعلم اللغة الى مرحلة البحث الدقيق وكشف لأول مرة عن وجود ما اطلقوا عليه أسم « القوانين الصوتية » وظهور علم الاصوات التشريحى على يد مولر ، وقد تهيأ لهؤلاء العلماء ان ينتهوا الى طريقة فى الاصوات تميز الحروف اللاتينية .

---

١٤) د. وافى : « علم اللغة » ص٤٠ .

كما اثمر هذا المنهج المقارن النهوض بمختلف الفروع اللغوية لقيام طائفة متخصصة بكل ناحية دراسية وظهور علم اللغة العام وقد كتب فيه ماكس مولر محاضرات فى علم اللغة وقد نشر سنة ١٨٦١ · كما جاء فى كتاب الامريكى Whitney فى كتابين فى نفس الموضوع هما :

« اللغة ودراستها » و « حياة اللغة وتطورها » · وقد جنح هذا الاخير باتباع مذهب داروين فى التطور فكانت اللغة عنده من الكائنات الطبيعية التى يعرض لها التطور ، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على انها تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الانسانية ، ذلك ان اولى محاولات التحليل اللغوى فى العصر الحديث ارتبطت بتيارات الفكر العلمى التى سادت القرن التاسع عشر · ومن ثم فقد ظهرت تلك المحاولات فى اطار علم اللغة المقارن ·

ومن جهة اخرى فقد عالج توماس هوبز الذى عاش فى انجلترا فى القرن التاسع عشر مسائل التفاعل الاجتماعى عن طريق الاتصال واستخدام اللغة وذلك فى كتابه « التنين » ويقول هوبز ان التجمع ليس صفة مقصورة على البشر فهناك تجمعات النمل وخلايا النحل التى تتصف بالتماسك ودقة العمل ·

ثم يقول أن اهم ما يميز التجمعات البشرية عن التجمعات الحشرية هو وجود لغة ذات الفاظ تمكن الفرد من ان ينقل الى الاخرين افكاره وآراءه بما يرى انه الصالح العام لهذا التجمع فاذا كان الاتصال بين الحشرات قائما على مقتضيات المواقف الجزئية المباشرة فان الاتصال الانسانى على العكس من ذلك قائم على استخدام الرموز والالفاظ للتعبير عن الأفكار والاراء ، فليس غريبا أن الانسان وهو الحيوان الناطق ، وهو ايضا الحيوان الذى يحارب بالفكر والعقيدة والدعاية والسلاح ، ولذلك يتطلب الأمر وجود قوة تتمثل فى الدولة أو الحكومة التى تنظم الاطماع وتنسق الأفكار ، حتى لا تعم الفوضى ويذهب الناس فى سبلهم شتى ·

وفى سنة ١٨٦٠ ، بدأ اثنان من الباحثين هما لازاروس ، وستينتال نشر بحوث متصلة بعلم النفس للشعوب وفيها دراسات عن أسباب الشعور المتماثل لدى الأفراد وهى الروح العامة التى تظهر فى اللغة والأساطير والدين والتراث الشعبى والفن والادب وقواعد الاخلاق السائدة والعرف والقانون ويبدو أن ستينتال قد وقع تحت تأثير الرونية وقولها بوجود قوانين عامة تحكم التطور ولعل ذلك ما دفعه الى تجاهل الفرد وميوله

النفسية وقوله بوجود سيكولوجية جماعية ـ او عقل جمعي ـ هي التي تتمثل فيها النزاعات والميول النفسية الاجتماعية ٠

ويرى هيـرمان باول ان علم النفس الاجتماعي بالمعنى الذى ذكره ستينتال لا يشمل هذه العناصر كلها بل يقتصر على العنصر الأول ٠ كما يقرر ان اللغة هي اهم الأدوات التعبيرية التي تستعمل في المراحل الثلاثة التالية : لادراك الفرد فكره من الأفكار نشأ تلديه بفضل كونه عضوا في جماعة ، وهي :

١ ـ يقوم الفرد بنشاط عضو يؤثر فيما حوله من اشياء او ادوات تعبيرية ٠

٢ ـ تنتقل هذه الأشياء والأدوات الى فرد أو افراد سواه ٠

٣ ـ يقوم الآخرون بنشاط مادى يؤثر على بعضهم البعض تاثيرا قد يفيدهم ولكنه ينسجم مع مقتضيات ثقافتهم ٠

وقد استطاع « فونت » ان يفسر مدى تدخل التركيبات الذهنية الناشئة عن الانطباعات الماضيه في تشكيل عملية الادراك ٠

ومن المعروف ان دراسات الاتصال الحديثة تعنى عنايه فائقة باثر هذه الانطباعات المترسبه التي تكون الانمـاط والتصورات الذهنية على ادراك المفـاهيم الجديدة ٠ لان الأفكار لا تنشأ في ذهن الفرد مستقله عن تراث جماعته وذلك لانه بالرغم من ان تجارب كل فرد هي التي تخلق في ذهنه افكاره ، الا ان للقيم الاجتماعية دخلا كبيرا في الحكم على امر ما بالخير او بالشر وبالجمال او بالقبح ، كما ان ثقافة المجتمع هي التي تحدد للفرد معالم افكاره ٠

وبعد ذلك اصبح موضوع الايحاء والقابلية للتاثر او الاستهواء من اهم الموضوعات التي عالجها كبار المفكرين من امثال جوستا ف٠ لوبون (١٥) وجبريل تارد وقد اهتم لوبون بدراسة سيكولوجية الجماعات في كتاب روح الاجتماع وكان متاثرا بالدراسات السابقة في الايحاء ، والجديد في كتاب لوبون انه شرح التفاعل بين الفرد والجماعة وتبادل التاثير بينهما ٠ ويقرر لوبون ان تكون الجماعة لا يتطلب وحدة المكان وكثرة العدد ولكن المهم هو

---

١٥) « روح الاجتماع » ترجمة احمد فتحي زغلول ـ القاهرة ١٩٠٩ ٠

اتجاه المشاعر والعواطف والأفكار نحو هدف واحد وذلك ما يقوم به الاتصال الجماهيرى ·

وبينما يؤكد لوبون اهمية الايحاء فى التاثير الاجتماعى نجد أن تارد يذهب الى أن المحاكاة هى أساس التفاعل الذى يتم فى الجماعة ، والوسيلة الرئيسية للمحاكاه هى اللغة فهى الأداه الأولى لنقل كثير من العادات والتقاليد ولنقل الخبرات على اختلاف مستويات تنظيمها عبر الأجيال وعبر الجماعات والأفراد ، فكان المحاكاة هى القوة الكامنة وراء الاتصال بالجماهير ·

اللغة نظام من الرموز :

كان الباحث السويسرى فردينانددى سوسير (١٨٥٧ ــ ١٩١٣) نقطة تحول حاسمة فى تاريخ البحث اللغوى الحديث · فقد كانت رؤيته الواضحه لجوانب كثيرة من بنية اللغة منارا امام تلاميذه وأجيال الباحثين من بعده ·

فقد ذهب دى سوسير الى ان اللغة نظام من الرموز ، تتكون من الوحدات المترابطة المتكاملة فى نظام رمزى ، ولذلك حاول أن يخلق نوعا من التوازن بين الاتجاه التاريخى والاتجاه الوصفى الواقعى ، وأخذ على اصحاب الاتجاه التاريخى انهم قد اهملوا الى حد كبير دراسة اللغة من واقع نشاط متكلميها الذين يعيشون بين ظهرانهم · ومن ثم حرموا انفسهم من دراسة هذا الجانب الحى · كما انهم كثيرا ما يدخلون العوامل التاريخية فى أحكامهم على اللغة الواقعية وهذا لا يتيح ادراك طبيعة اللغة ، فالتسلسل التاريخى للحقائق اللغوية لا وجود له من وجهة نظر المتكلم الذى يواجه وضعا لغويا ثابتا ·· ويستطيع الباحث ولا شك أن يصل الى اعماق ذهن المتكلم مع تجاهل ماضيه اللغوى تجاهلا تاما (١٦) ·

كذلك قسم دى سوسير ظواهر اللغة فى وقت ما الى عناصر موروثه وعناصر مبتكره · والعناصر الموروثه هى التى يسميها Langue أو لسان ويعنى بذلك لغة جماعة بعينها · اما العناصر المبتكره فتتمثل فى الكلام واللغة بمعناها الأنسانى Langage ظاهرة عامة تظهر فى هذين العنصرين

---

١٦) ص٧٦ وما بعدها من الترجمة الانجليزية لكتابه ·
Course in general Linguistics

مجتمعين . واللسان ـ او لغة جماعة معينه ـ مجموعة من الرموز يتلقاها الفرد من الجماعة التى يعيش فيها عن طريق السماع . أما الكلام فانه مجموعه من الاصوات التى تمثل نشاط الفرد باعتباره متكلما . ووحدة الكلام الجملة أما وحدة اللسان فهى النمط . ومن ثم فان اللسان ليس مجرد مجموعة من المفردات ولكنه بصفة أساسية نظام يشمل الرموز والانماط وعلى الباحث أن يحاول بلورة هذا النظام بوجدانه وبعلاقاته المتكاملة .

وقد حاول دى سوسير ايضاح الطبيعة الرمزيه للغة ، فالرمز دال يشير الى مضمون يدل عليه Signifié وهدف الباحث أن يتبين عناصر الدلاله المختلفة مكتشفا قدرتها الرمزية فاللغة عند دى سوسين هى ذلك النظام المستقر عند الجماعة ككل والذى يمكن تبين عناصره من الظواهر اللغوية المتاحة .

نظرية الانماط الجامدة :

ومن جهة أخرى ، فقد كان والتر لبمان من الرواد الاوائل فى دراسة الاتصال الجماهيرى الذين افادوا من الدراسات اللغوية فذهب الى ان الانسان مخلوق محدود الادراك فهو لا يستطيع أن يفهم العالم أو يتصوره بمجرد ملاحظته وانما يتأتى فهم الانسان للعالم الذى يعيش فيه على مراحل من النضج والتطور والحصول على المعلومات .

فالعالم الموضوعى الذى نتعامل معه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يقع خارج نطاق احساسنا وخارج بصرنا وعقلنا .

ويرى لبمان أن المسائل العامة كالسياسة والحكم التربية والانتخابات والاصلاحات وغيرها تتاثر بما يصدره الناس من احكام نابعه من الصور الذهنية التى يكونونها عن أنفسهم وعن الأخرين وهذه هى آراؤهم اما الرأى العام فيتكون من حصيلة هذه الصور المنتشرة فى رؤوس الجماهير وهو القوة التى تسعى اجهزة الاتصال وجماعات الرأى كالاحزاب السياسية والجمعيات الدينية وغيرها الى التاثير فيها .

ويؤكد لبمان أن تصرفات الناس لا تكون نتيجة لملاحظات موضوعية عن العالم الخارجى بل تكون فى حقيقة الأمر مبنيه على التصرفات الذاتية أو الصور الذهنيه الكامنه فى نفوس الناس . وهذه لا تتكون بطريقة الملاحظة الموضوعية ولكنها تتكون نتيجة الاتصال الشخصى بالناس والأصدقاء والاتصال الجماهيرى بالصحف والاذاعة المرئية والمسموعة ،وفى أغلب الاحيان تتكون من تفاعل هذين النوعين من الاتصال .

فالمؤثرات التى تحيط بالانسان لا تكون السبب المباشر فى الاستجابه للبيئة ولكن معنى هذه المؤثرات أو صورتها فى ذهن الانسان ، هى التى تحدث الاستجابه ولما كانت البيئة الموضوعية اعظم واعمق من ان تفهم فهما مباشرا فلابد للانسان ان يبسطها ويختصرها فى شكل صور او رموز يستجيب لها فى بساطه وامان • وهكذا يكون الفرد عالما خاصا له ، كما تكون الجماعة عالما خاصا لها • ولا شك ان الاتصال هو الذى يلعب اهم الادوار فى تكوين هذه البيئة الثقافية التى تتكون من مجموع المفاهيم والصور والاخيلة •

ويقول ليمان أن الصور التى تتكون فى اذهان الجماهير تكون بعيدة عن الحقيقة الموضوعية ويرجع ذلك فى نظره الى عدة عوامل اهمها الرقابة على الموارد الاعلامية والسرية التى تضرب حولها والعقبات المادية والاجتماعية التى تحول دون وصول المعلومات الى الجمهور وضغط المكونات النفسية اللاشعورية وتاثير المتاعب والتكرار والعنف والرقابة وهناك ايضا غموض الحقائق وتعقيدها مما يؤثر فى الوضوح فينشا سوء الفهم وصعوبة الادراك وعلى هذا الأساس لا تتكون فى عقول الناس افكار وانما تنشا اخيله واوهام وهذه هى التى تسيطر على سلوك الناس •

والبيئه الثقافية التى تعيش فيها هى التى تحددُ لنا ما نذكره • فنحن لا نرى ثم نحدد ولكن التحديد يكون سابقا على الرؤية والادراك • وملاحظتنا للأشياء والاحداث تتمشى دائما مع الانماط المحدده التى تصبها البيئة الثقافية فى نفوس الجماهير ولا يلبث الانسان أن يرى كل الاشياء من خلال هذه الانماط التى تصبح بمثابة المرشحات التى تصبغ لون المرئيات والانماط ضروره هامه للادراك والمعرفة ولا يمكن الاستغناء عنها •

وتساعد هذه الانماط على تاكيد احترامنا لذاتنا وتمسكنا بحقوقنا وتعصبنا لمركزنا الاجتماعى والادبى ونقول دائما أن هذه الانماط شىء طبيعى •

اللغة ونظريات الاتصال الحديثة :

وقد فتحت دراسات والتر ليمان المجال أمام دراسة الاتصال الاعلامى دراسة علمية منظمة وخاصة من ناحية تاثيرها فى اتجاهات الناس ومعتقداتهم وسلوكهم • فتوفر فريق من العلماء ذوى الاختصاصات المتعدده على هذه الدراسات وكان من بينهم متخصصون فى علوم الحيوان والاقتصاد والرياضة واللغويات والتاريخ والهندسة والتشريح •

وتمخضت هذه البحوث جميعا عن كتاب صدر سنة ١٩٥٧ بعنوان « الاتصال الانسانى » يتجه الى دراسة المخ البشرى على اعتبار انه مركز الاتصال والمسيطر عليه ، ونتيجة لذلك ظهرت تفسيرات للعمليات النسبية كالتذكر والانتباه والادراك وغيرها كما درست اللغة من ناحية التعبير عن المعلومات ونقلها · وتفرعت دراسات فى الموسيقى والفنون ودراسات فى الكلام ومشكلات النطق وبحوث مستفيضه حول الشائعات وعلم الدلاله ·

وارتكزت هذه البحوث على تقدم علم اللغة وظهور علم الصوتيات الذى وجه الباحثين الى دراسة اللغة كنظام رمزى وكان للباحث الروسى تروتسكوى فضل بلورة المنهج « الفونولوجى » وتطبيقه تطبيقات ناجحة فقد اتجه البحث الصوتى قبل تروتسكوى الى دراسة اللغة كظاهرة تشريحية ـ فيزيائية فانصرف جهدهم الى الصوت نفسه دون النظر فى طبيعته كجزء من نظام رمزى متكامل وعندما بلور تروتسكوى نظريته فى الوحدة الصوتية فرق بينهما من جانب وصورها الصوتية المختلفة من الجانب الآخر · وعلى ذلك يكون المعنى وتغيره أو عدم تغيره فيصلا فى التمييز بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية وهذا مرتبط بالنظام اللغوى قيد الدراسة فلكل لغة نظامها الفونولوجى الصوتى ·

وقد اوضحت لنا الدراسات الصوتية ان مصطلحات أى علم من العلوم هى رموز لا قيمة لها الا فى اطار نظام نظرى متكامل وان المصطلحات والمفهومات لا تتحدد قيمتها داخل النظام الا بعلاقات التضاد والتكامل ·

اللغة والانماط الصرفية :

ولا يقتصر النظام اللغوى فى مكوناته على بعض الوحدات الصوتية ذلك ان ثمة انماط صرفية محددة تنظم هذه الوحدات ولكل لغة نظامها الصرفى الخاص بها على ان البحث الصرفى الاعلامى يهدف الى تحديد الوحدات الصرفية المختلفة ودراسة أنواعها وانماطها المختلفة وعلاقاتها فى النظام اللغوى من حيث اتصال هذه الانماط الصرفية بالادراك والمعرفة ومن حيث اسهام هذهالانماط فى اللغة الاعلامية التى ترمى الى النمذجة والتبسيط لان العقلية الجماهيرية تركن الى الاستعانة بالرموز والانماط والنماذج والتجسيد ، فاللغة الاعلامية لا تتآلف كلماتها الا منتظمة فى انماط تتخذها الجملة وهنا تظهر دراسات اللغوى الامريكى شومسكى فى بناء الجملة والتى تذهب الى ان النظام اللغوى ليس المجموع الحسابى لما سجل من عبارات بل هو شىء مجرد له وجوده الفعال وغير الواعى لدى

افراد المجتمع اللغوى وهدف النظام اللغوى هنا ليس مجرد الاستقراء الوصفى بل عليه ان ينطلق من المادة المتاحة لوضع فروض حول انماط الحيل الممكنة ثم نختبر هذه الفروض فى ضوء الواقع اللغوى ٠

اللغة الاعلامية وعلم الدلالة :

وقد هيأ النهوض الدراسى بالاصوات واللهجات الشعبية وعلم النفس اللغوى الطريق للوصول بالدراسة الدلالية الى اوجها فقد بذل الباحثون فى علم الدلالة جهدهم للوصول به الى مناهج البحث العلمى فاهملوا الابحاث الفلسفية التى لا تؤدى الى نتائج متيقنة وعملوا على استخدام التجارب الفعالة كطريقة التجارب وقياس الغابر على الحاضر والموازنة والاستنباط المبنى على اسس سليمة ٠ وقد اثمرت هذه الدراسة واتجهت فى اتجاهات عدة لبحث الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة القاموسية ولعل علم الدلالة هو اقرب الفروع اللغوية اتصالا بمناهج البحث الاعلامى حيث يفيد فى كيفية ارسال الرسائل الى الجمهور بوسائل الاعلام المختلفة بحيث تنتقل المعانى كاملة ودقيقة كما يفيد هذا العلم فى دراسة اللغة الاعلامية كقوة فاعلة تستعمل للتنوير ويساعد الاعلاميين كذلك على فهم قدرة اللغة على الخداع والتضليل وليامنوا شرها ويجنبوا الناس خطر الزلل والانزلاق ٠

اللغة والبحث الاعلامى :

ولقد اثبت علماء الدلالة ان الالفاظ تؤثر على الجهاز العصبى للانسان كما ان اختيار الالفاظ هو الذى يساعد على التحكم فى اتجاهات الناس وتصرفاتهم ولما كان خبراء الاعلام يهدفون الى تعديل الاتجاهات وتكوين الاراء لكسب التاييد وتعبئة الشعور عن طريق الوعى والتنوير مما يؤدى الى تصرفات اجتماعية سليمة فان نتائج علم الدلالة من اهم البحوث التى يفيد منها هؤلاء الخبراء ٠

وعلى ذلك يمكن القول ان علم اللغة قد حقق بمنهجه فى تحليل البنية والدلالة درجة عالية من الدقة بحيث اصبح كثيرون من المشتغلين بعلوم الاتصال بالجماهير يطبقون الاسس المنهجية للتحليل اللغوى او تحليل البنية اللغوية فى بحث عمليات الاتصال بالجماهير المختلفة فبدأ التمييز بين الدراسة الوصفية للبنية وبين الدراسة التطورية لها ، وتوصلوا بالتمييز بين العناصر الرمزية الدالة وما تدل عليه فى اطار المجتمع ٠

واحد الباحثون فى الاتصال بالجماهير يبحثون فى اللغة باعتبارها عنصرا اساسيا فى عملية الاتصال الاعلامى ٠

فاللغة اذن هى العروة الوثقى التى جعلت الاتصال عملية اجتماعية وهى التى تحدد الكيان الاجتماعى للاتصال الاعلامى او اضطرابه فى مواجهة المعايير التى يفرضها المجتمع فى المظهر والسلوك وعلى ذلك فان منهج البحث الاعلامى فى اللغة انما يهدف الى البحث فى ماهية اللغة من حيث كونها اداة اتصال يستعملها المشتغلون فى الاجهزة الاعلامية بحيث ينصب المنهج على البحث بشكل خاص فى اللغة الاعلامية بمستواها العلمى الاجتماعى باعتبارها كيانا خاصا متميز الملامح والسمات مستقلا عن اللغة بمستوييها التذوقى الفنى الجمالى والعلمى النظرى التجريدى ٠

ذلك ان اللغة الاعلامية لا تهدف الى مناشدة حاسة الجمال لدى القراء بل على العكس من ذلك تتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة ٠

وقد قال هربرت سبنسر ذات مرة : « ان لدى القارىء او المستمع فى اى لحظة من اللحظات طاقة ذهنية محدودة يمكن استغلالها لتعرف وتغير الرموز المعروضة عليه والتى تتطلب جزءا من طاقته الذهنية ، اما ترتيب وتنسيق الصور المعروضة عليه فانها تتطلب جزءا اكبر من المقدرة ، والجزء الباقى يمكن تخصيصه للفكرة ذاتها ، اما الطاقة الذهنية الأقل حيوية فهى لفهم هذه الفكرة » ٠

ويمكننا بالاستعارة تشبيه اللغة بانها سيارة او حافلة الافكار التى يكون من الطبيعى ان الاحتكاك والقصور الذاتى فى كل احوالها يحدان كفاءتها ، والهدف الاساسى فى الموضوع وهو ليس الهدف الوحيد ، أن نقلل من هذا الاحتكاك والقصور الى اقل درجة ممكنة » ٠

على ان المنهج الاعلامى فى اللغة يستخدم طرقا عامة يشترك فيها مع غيره من البحوث اللغوية ٠

ويستخدم كذلك طرقا خاصة به تقتضيها طبيعة الظواهر التى يعرض لدراستها كما سترى ــ هذه الطرق جميعا انما هى من ثمرات البحث الحديث ٠ لان اللغة الاعلامية ليست بعثا لنظريات قديمة او عرضا لنتائج العلوم التطبيقية على المجال الانسانى ، ولكنها افادت من ذلك جميعا طاقات

جديدة ولعل برنارد شــو مــن الرواد ـ الذين فطنوا الى وجوب البحث في التراكيب اللغوية الاعلامية ، لكى يساير الهجاء مقتضيات الحياة ، ولكى يصـــور فى الوقت نفســه الموقع اللغوى والذى لا تحكيه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات على المخارج والاصوات شائع وبديهى ولابد من الوصول الى رموز فى حروف الطباعة والآلات الكاتبة تصـــور ذلك الواقع اللغوى ولابد فى الوقت نفســه من الاتكاء على الاختزال افادة من الوقت الضائع سدى فى الاملاء والتدوين والطباعة ٠

الفصل الثالث

اللغة وعلم الاعلام اللغوى

لعل القارىء يحس اننا نستخدم لفظ (اعلام) استخداما شديد السذاجة ، فاللفظ بهذا الاستعمال يشير فحسب الى الحقيقة العامة وهى ان السامع قد فهم ان المتحدث يريد ان يقول شيئا ، هذه الملاحظة تؤدى الى التساؤل عن الكيفية التى يجب ان نتحدث بها بمعنى آخر ٠٠ لابد ان نستوضح المعنى الذى تؤديه الكلمات او كما يقول الالمانى جيرولد نجهوير (١) ٠

هذه المشكلة يواجهها كل عرض علمى فقبل ان نشرح الثابت من الحقائق (facts) أى قبل ان نتناولها بالتحليل ، يجب ان نوضح المفاهيم التى سنستخدمها فى التحليل والشرح ٠ وفى اطار هذا الفصل لا نستطيع تفصيل هذه المسالة ويكفى الاشارة الى القاعدة العامة ، وهى اننا لا نستطيع شرح المفاهيم بعيدا عن الحقائق اى لا نستطيع شرح المفاهيم دون مراعاة الخبرة التى تتضمنها الحقائق ٠

فلنتأمل عن قرب هذا المثال « الصيف اكثر دفئا من الشتاء » ٠٠ كل قارىء او سامع (يتكلم العربية يفهم هذه الجملة ٠ هل يعتبر هذه الجملة ايضا صحيحة ؟ ٠٠٠ بالنسبة لاولئك الذين يعيشون فى اوروبا ـ يسهل الاجابة على هذا السؤال ٠٠ فهم يعرفون ان الصيف اكثر دفئا من الشتاء مضمون هذه الجملة بالنسبة لهم بديهى ، بحيث ان صادفتهم فى حديث ما ـ فلن تنقل اليهم اعلاما ما ، فهم على دراية سابقة بما تقوله) على اننا نستخدم هنا تعبير (اعلام) بالمعنى الضيق ، وهو المعنى الشائع المعروف ٠٠ فالاعلام معرفة يكتسبها السامع عن طريق عمل الاتصال act of Communication بمعنى ان هناك ثغرة فى معلومات السامع يسدها الاعلام ٠٠٠ والسؤال الآن هو ٠٠ ماذا يحدث حقيقة عندما تسمع

---

١) اعتمدنا فى مدخل هذا الفصل على دراسة « جير ولدنجهوير » : اللغة كوسيلة لتوصيل المعلومات فى « فكر وفن » ١٩٧٨ ٠

وتفهم جملة « الصيف اكثر دفئا من الشتاء » ·· دون ان يؤخذ هذا الفعل كعملية ابلاغية أو اعلامية ·

احدى الاجابات هي اننا في هذه الحالة نستعيد شيئا نعرفه من قبل عندما ينطق المتحدث بجملة « الصيف اكثر دفئا من الشتاء » فهو يطلب من السامع ان يفكر في التو في هذه العلاقة أو ان يسترجعها في مخيلته لانها في اطار الكلام او الحديث ، أو بالنسبة لشيء ما عملي ذات اهمية تتضمن عملية الاسترجاع والتذكر شرحا لمجرى عملية الاتصال ·· ونستطيع ان نستعيض بها عن نموذج نقل المعلومات الاول الذي عرضناه في البداية دون ان يقدم لنا شرحا مرضيا ·

لتدعيم ذلك يمكن ان نقول ان المثال السابق نحتاج لفهمه الى اشياء نعرفها من قبل فالسؤال : كيف لعبت كولونيا ؟ ·· يتطلب لفهمه معرفة سابقة بنوادي كرة القدم في المانيا الاتحادية ومركز هذه النوادي في الدوري العام ·· ونفس الشيء ينطبق على المثال الاول ·· اما المثال الأخير « اياك والقتل » ··· فهو يذكرنا باحدى النواهي أو الوصايا التي نصادفها في صورة أو أخرى في جميع الأنظمة الخلقية ·

اما اذا وضعنا هذا المنظر في اطار آخر كجزء من حديث طويل يحاول فيه (عمرو) ان يقنع زيدا ان كولونيا ستهزم في مقابلتها التالية مع فريق بافاريا كما هزمت من قبل ·· ففي هذه الحالة يعرف زيد نتيجة المقابلة السابقة ·· وهذا يعني استحالة تطبيق « نموذج نقل المعلومات » على هذا الحديث ·

بعد هذه الايضاحات لابد وان نصف عملية الاتصال اللغوي بطريقة أخرى تختلف عما افترضناه في البداية ، من الواضح أن عملية توصيل المعلومات من جانب المتحدث وعملية اكتساب المعلومات من جانب السامع تتوقف على خبرة اطراف عملية الاتصال ، وعلى الموقف الذي يتم فيه التواصل ، وعلى الوظيفة التي يضفيها الاطراف على فعل التواصل ·· فتبادل المعلومات وعدم تبادلها ليس عنصرا حيويا مباشرا في موقف الاتصال ·· رغم ان النقص في المعلومات تتم معالجته بطبيعة الحال بواسطة الاخبار اللغوي · وايا كان الامر ففهم أي قول لغوي يحتاج الى نشاط عقلي خاص من جانب المستمع ·· فهو اذ يذكر ببعض ما لديه من معرفة وخبرة سابقة في حياته ·· يقوم في فكره وتصوره بتنظيم ما يسمى بمضمون ومعنى ، وربما أيضا مقصد ما صرح به المتحدث ·· فهو في جميع الحالات اكثر من مجرد مستقبل يتلقى شيئا ثم يمتلك ما تلقى ، ففهم كلام

المتكلم هو نتيجة نشاطه الذاتى ، نتيجة يصل اليها بنفسه مسترشدا بعبارات المتكلم ٠

يمكن اختيار الشرح السابق لعملية الاتصال اللغوى بواسطة الجمل والكلمات والاحاديث التى لا تتضمن الا قاعدة طفيفة للغاية من الخبرة اللازمة لاتمام عملية الفهم اى تلك الجمل التى تتطلب اقصى درجات الجهد حتى تتم عملية الفهم ٠٠ ويمكن ان نستخدم فى هذا السبيل عبارة هيجل : « الوحدة التى مكوناها الوجود والعدم كعاملين لا ينفصلان تختلف فى نفس الوقت عنهما ، اذ تكون ثالثا مضادا لهما وهو فى صورته الخاصة الصيرورة » لاستيعاب هذه الفقرة ليس امام غير المتخصص فى الفلسفة الا القواعد النحوية التى يصادفها فى صياغة هذه الجمل ، من العسير أن نفترض هنا خبرات سابقة عند السامع او القارىء كما هو الحال فى الامثلة السابقة ٠٠ كمعرفة بكرة القدم او دراية بتفاوت درجة الحرارة حسب الفصول أو الاقتناع بنظام ما خلقى ٠٠ الوسائل اللغوية التى تؤدى الى الفهم فى هذا المثال هى فى المقام الاول ٠٠٠ القاموس كمعجم للالفاظ ومعانيها وعلم النحو والصرف كمجموعة القواعد اللازمة لتركيب الجمل تركيبا صحيحا ٠٠٠ وليس من الضرورى أن نفترض ان مضامين الكلمات التى تسمى عادة بمعانى الكلمات حاضرة فى ذهن السامع او القارىء بالصورة الوصفية التى نصادفها فى المعاجم ، على انه يمكن ان نفترض ان معانى الكلمات حاضرة بشكل ما فى ذهن القارىء أو السامع الذى يتكلم الالمانية بشكل يرتبط بخبرته السابقة ٠

وتتلخص عملية الاتصال هنا ٠٠٠ فى وضع هذه المعانى الحاضرة فى الذهن فى محلها المناسب حسب تكوين الجمل ٠٠ ثم تكوين مضمون فكرى منها يفصح عن المعنى المحتمل لعبارة هيجل ٠

من هذا الفرض الاولى يتضح جانب هام لجميع عمليات التواصل اللغوى : فكلما قلت عناصر الموقف المساندة النابعة عن الخبرة العملية فى الحاضر او الماضى توقف فهم الصياغة اللغوية على وسائل المعجم والنحو للغة المستخدمة واستغرقت عملية الفهم وقتا أطول وكانت اقل قطعا ويقينا ٠ وهذا يؤدى بنا الى التساؤل عن مدى اليقين ومدى الثقة فىعمليات الاتصال ٠٠ فمن الواضح اننا لا نستطيع تجاهل احتمال الخطأ أو سوء الفهم ٠٠ وهذه هى احدى دروس الخبرة اليومية ٠

ان الثقة بنظام الاتصـال اللغوى ليست بالقدر الذى يسـمح لنا عند صياغة مضمون ما بالاطمئنان الى صواب هذه الصياغة ، اى أنها ستفهم حسب المعنى الذى قصده المتكلم ·· فلوصح نموذج النقل لتفسير عمليات الاخبار اللغوى الذى اوردناه أولا ثم استبعدناه لكان لنا ان نطمئن الى صواب عمليات الاتصال اللغوى ·· بل ان خبرتنا بالنقص الى رفض النقل المذكور ·· واذا كان لابد ان ندخل احتمال الخطأ فى الحساب فمن الضرورى ان نختبر عمليات الاتصال اللغوى وتوضيح ما نقصده بتغيير غرض الاتصال ·· فالمقصود هو المضمون الذى يمكن أن يتصـوره السامع أو يفكر فيـه أو يذهب اليه والذى يريد المتحدث نقله اليه بواسطة الصياغة اللغوية ·

ولكن كيف لنا أن نختبر « غرض الاتصال اللغوى » ؟ فى مستطاع عمرو على سبيل المثال ان يتأكد بواسطة الجريدة اليومية من صحة النبأ الذى سمعه من زيد ··· وفى مستطاع الهندى ساكن جزائر Kordilleren بالاكوادور ان يرحل الى أوروبا لكى يتأكد ·· ان كان الجو هناك صيفا ابدا منه شتاء · وقد تؤكد للمتكلم ايماءة من المتلقى او اشارة منه صحة فهم كلماته ، ولكن فى مواقف الاتصال الصعبة ·· حيث يتطلب نظام الاتصال اللغوى · لضآلة الخبرة السابقة أقصى درجات الجهد (كما هو الأمر لفهم عبارة هيجل) لا يمكن اختبار غرض أو غاية عملية الاتصال عن طريق آخر غير طريق الاتصال اللغوى ذاته · فى هذه الحالة اذا اهتم المتحدث والمتلقى بنجاح عملية الاتصال فليس امامهما فى هذا الموقف غير رد الفعل اللغوى للمتلقى · وليس بوسع المتلقى أن يحسم الموقف هنا بواسطة حركة أو ايماءه تثبت فهمه ·· وانما عليه ان يضع غرض أو هدف عملية الاتصال موضع الاختبار بواسطة عملية اتصال لغوى جديدة ·

ان قائل « اياك والقتل ! » وأردت اختبار مدى فهمه لذلك فاسـتطيع بدورى أن اسأل « اتطلب منى الا اقضى على حياة انسان ما ؟ » واذا رد الآخر قائلا هذا صحيح ولكن هناك حالات استثنائية . مثلا عقوبة الاعدام او الحرب انتصارا للحق أو لتنفيذ هدف محمود ، ففى هذه الحالة لابد لى أن اصحح من فهمى الاول للجملة · كذلك فى استفهامى تحدثت عن القضاء على حياة انسان ··· اما المتحدث فقد استخدم تعبير القتل ··· وقد يكون الموضوع الآن هو الاختلاف بين القتل والقضاء على حياة انسان ما ··· عما اذا كانت وسائل القتل سواء فى عرف هذا المبدأ الخلقى ؟ هل يستوى القتل بواسطة ضربة فأس والقتل عن طريق دفع انسان ما الى حافة اليأس ·· ام لابد من التفريق بين الحالتين ؟ ·

من هذا المثال نتبين ان اختبار غاية الجملة السابقة ، « اياك والقتل » اى فهم مضمونها يؤدى بنا الى موقف اتصال حوارى ، وهو موقف يحمل فى الواقع دائما ملامح الجدل حول التفسير الصحيح للصياغة اللغوية ، ان تغاضينا عن هذا الجدل واقتصرنا على تأمل ملامح الاتصال فى عملية الاختبار فسنواجه سؤالا لا مهرب منه ٠٠ وهو متى تنتهى عملية اختبار الفهم نهايتها الاكيدة ؟ من واقع الاتصال ليس من اليسير الاجابة على هذا السؤال ٠٠ لان عمليات الاتصال فى الواقع محدودة الامد ٠٠ وغالبا ما تنتهى لاسباب عملية لا بسبب الوصول الى وضوح تام ٠٠ اى لأسباب لا تتعلق بعملية الاتصال ذاتها واذا ادخلنا الكتب العلمية والنصوص الفلسفية فى حسابنا باعتبارها صياغات لغوية تهدف الى الاتصال ٠٠ فيمكن ازاء التفسيرات التى لقيتها هذه المؤلفات منذ قرون ومازالت تلاقيها ٠٠ وازاء التفسيرات المختلفة للتفسيرات أن نصوغ المبدأ التالى : « فى حالات الاتصال اللغوى الصرف حيث يتوقف الفهم عند القارىء أو السامع على وسائل الاتصال المعجمية والنحوية لا يمكن القطع من حيث المبدا باكتمال الفهم بين اطراف عملية الاتصال ٠٠ اى لا يمكن القطع بالوصول الى اقصى درجات الفهم وتنتهى دائما عملية اختبار غاية الاتصال لاسباب خارجية برجماتية » ٠

ربما تضمن هذا الفرض القائل بعدم الاعتماد من حيث المبدأ على دقة الاتصال اللغوى شيئا من القدرية ٠٠٠ على ان العرض السابق قد ابتعد بنا فى الواقع كثيرا عن الفروض الأولية التى انطلقنا منها ٠٠ وليس لنا ان نجزع من هذه القدرية التى هى فى الحقيقة وصف لجانب هام من عالم الحياة الفعلية ٠٠ فقصور أنظمة الاتصال الانسانى من حيث الاساس حقيقة يمكن تقبلها ٠٠ فجميع انظمة الاتصال ومن بينها الاتصال اللغوى تتضمن من الوسائل ما يكفل القطع بحد معقول من الفهم للصياغة اللغوية (أو لما يصرح به المتكلم) ثم فروعا عديدة من فروع الحياة لا تحتاج لمثل هذا القطع بمضمون عمليات الاتصال ٠٠٠ اذ تكفى صحة الافعال أو قد يعوض النقص فى الفهم الاتصالى عن طريق التعاطف والامل فى الوصول الى اتفاق جماعى ٠

ولعله قد اتضح الآن ان الحديث عن اللغة كاداة لنقل المعلومات حديث مجازى بالمقارنة بما يجرى فى الواقع عند الاتصال اللغوى ، وبالرغم من ذلك فلهذا التعبير ما يبرره اذا تذكرنا أن من وظائف اللغة الهامة أن تستخدم كوسيلة لنقل المعلومات وكطريقة لنشرها ٠٠ اما اذا اخذنا تعبير «نقل المعلومات » كمفهوم بديهى بحيث تبدو الاخبار أو المعلومات هى سلعة عملية التبادل الاعلامى ، فى هذه الحالة يبدو طبيعيا ان تذهب الى محاولة

الاستعانة بطرق العمل لنظرية المعلومات Theory of Information لتحليل عمليات الاتصال اللغوى · وبما ان نظرية المعلومات تدخل عادة فى نطاق العلم المسمى بالسوبرناطيقا Kybernetik لذا نطرح السؤال عن اركانية النظر الى انظمة الاتصال كانظمة سوبرناطيقية ، ولابد اولا أن نتمهل قليلا قبل معالجة هذه الافكار ·

لقد كانت نشاة نظرية المعلومات من مجال هندسة الاتصالات الكهربائية وترتبط هذه النظرية بنموذج اتصال مبسط للغاية ومحدد التركيب · ويشمل النموذج مرسلا transmitter ومستقبلا receiver يرتبطان بواسطة قناة اتصال ··· ولدى المرسل معلومات للارسال يمكن تسميتها بالاشارات signals وكل ما نعرفه عن هـذه الاشارات انهـا تتميز بعضها عن البعض كما انها محدودة العدد يرتبط بكل اشارة احتمال رياضى ، أى رقم بين الصفر والواحد الصحيح يحدد مدى احتمال ارسال الاشارة المذكورة فى فترة ما من فترات الارسال ·· ومن خصائص هذا النموذج المهمة دراية المستقبل بالاشارات الممكن ارسالها وباحتمالات الارسال ، وعادة لا تحمل القناة هذه الاشارات دون تشويش ·· فالمستقبل يتلقى جانب الاشارات المرسلة فى القناة تشويشا غريبا تتوقف كثافتها على درجة التشويش ·· وتبعا لذلك فمن المشاكل الرئيسية لنظرية المعلومات ، · كيف يمكن للمرسل ان يرسل اشاراته بشكل شفرة (نبضات كودية) بحيث يستطيع أن يقلل من التشـويش المحتمل (أى من التحريف الممكن) الى اقصى حد ممكن ؟ ولمواجهة ذلك يعرف مقياس للمعلومات يمكن بواسطته قياس أو تقدير درجة التشويش ·· ويعرف مقياس المعلومات ـ وربما كانت هذه اهم نقطة فى الموضوع بواسطة احتمالات الارسال للاشارات فحسب ـ دون ان يعرف عنها اكثر من ذلك ·· والمنطق هنا كالتالى :

كلما قل احتمال الارسال لاشارة من الاشارات قل توقع المستقبل انه سيستقبل هذه الاشارة ·· فان ارسلت بالفعل اشارة ذات احتمال ارسال منخفض قلت درجة الشـك أو عدم التاكد ··· ويعكس ذلك عند اسـتقبال اشارة ذات احتمال ارسـال مرتفع ، ويربط مفهوم المعلومات بدرجة الشك أو عدم التاكد ·· بحيث تكون علاقة مقياس المعلومات علاقة عكسية بالنسبة لاحتمالات الاشـارة وبذلك يصبح للاشـارة قيمة معلومات كبيرة كلما قل احتمال الارسال فى لحظة معينة ·

وعادة عندما يستخدم تعبير « نظرية المعلومات » تنسى بسهولة هذه الخلفية للنظرية ، وغالبا ما تتضـح سريعا صـعوبات التوفيق بين هـذه

النظرية وبين العلاقات المعقدة للاتصـــال اللغوى ٠٠ فحتى تستخدم القيمة القياسية الاحصائية لنظرية المعلومات لابد ان نعين عدد الاشارات المختلفة التى فى حوزة المتكلم ، ولابد ان نحســب احتمال الارســال لكل مــن هذه الاشارات ٠٠ وهذا ايضا ضرورى بالنسبة للمستقبل ولا يكفى الرجوع الى الكلمات المدونة بالمعجم ٠٠ اذ ان عدد الكلمات هناك لا يمكن ان يتطــابق مع عدد الاشارات المرسلة ٠٠ هذا ان غضضنا الطرف عن مشــكلة المقارنة بين معانى الكلمات ومضمون الاشارات ٠٠٠ وقد اجريت بالفعل مثل هذه الدراســات الاحصــائية التى تقارن نســبة ورود الكلمات فى النصــوص المختلفة مع اســتخدام الجهــاز الرياضى لنظرية المعلومات ، الا أن هذه الدراسات تختص فى الواقع بالوجهة الهندسية للاشارات الصوتية فحسب ٠٠ وهنا تكتشف نقصا آخر لنموذج نظرية المعلومات ، فالنظرية تدخل فى حسابها موضوعات اتصال ذات تحديد بسيط للغاية وكل ما يفترض فيها انه يمكن التمييز بينها ٠٠ فى حين ان الاتصال الانسانى يستخدم اشارات او رموزا لها طابع معقد مزدوج (كاشارة Signal ومعنى meaning) وبواسطتها يصل المستقبل عن طريق اجتهاده الخاص الى معنى الكلام ، يضاف الى ذلك ان اهتمام نظرية المعلومات ينصب على قياس قيم معلومات محدودة التعريف ٠٠٠ فى حين انها تتغاضى كلية عن شرح عمليات الاتصال، يكفى هــذا العرض لبيــان اننا لا نتوقع ان تقدم لنا نظرية المعلومــات رغم الاسم الجذاب الذى تحمله ـ اكثر من مساهمة جانبية فى فهم صيغ الاتصال الانسانى ٠٠

يبقى أن نستوضح مدى المساعدة التى يمكن أن تقدمها السوبرناطيقا ويمكن ان نعرف الســوبر ناطيقا بانهــا فرع العلوم الذى يختص بالبحث فى الانظمة الديناميكية التى من عناصرها الرئيسية عمليات التحكم الذاتى ، ونقابل هــذه الانظمــة فى فروع مختلفة ٠٠ فى الهندســة الكهربائية وفى الاقتصــاد القومى وفى العمليات الفســيولوجية للجســم الانســانى وفى عمليات التعامل الانســانى ٠٠٠ من هذه الاشكال المختلفة لانظمة التحكم الذاتى يمكن ان نستخرج نظاما نموذجيا نستطيع بحث خواصه وقياســها من الاسئلة المهمة هنا مثلا ، كيف تتغير طبيعة هذا النظام بارتباطه بالعناصر المختلفة التى يتكون منها ؟ وما هى الاشارات المحتملة التى يمكن ان تصدر عنه فى هذه الاحوال ؟ وتحت أى ظروف يتميز هذا النظام بالثبات وتحت اى ظروف يصيبه الاضطراب وينتهى به الأمر الى الانهيار ؟٠

بهذا المعنى يمكن بالفعل النظر الى المشــتركين فى عملية الاتصــال كنظام سوبرناطيقى ٠٠ فنجد ان عملية اختبار غاية الاتصال التى شرحناها

من قبل بوضوح معالم عمليات التحكم الذاتى ففى كل العمليات الجماعية المشتركة يؤثر المشتركين بعضهم فى البعض ·· ويوجه بعضهم بعضا وتستهدف المجموعة ·· أى النظام للوصول عن طريق التحكم الذاتى الى حال يمكن اعتباره مقصد التعاون بينهم · وفى حالة الاتصال اللغوى فهذا المقصد هو التفاهم المتبادل ، على اننا نتساءل عما اذا كانت السوبر ناطيقا تستطيع ان تساهم فى تحليل عمليات الاتصال الانسانى مساهمة لا تقف عند حد اطلاق مسمى جديد على الافراد المشتركين فى عملية الاتصال ·· فى الواقع ان الانطباع حتى الآن انه لم يحدث اكثر من ذلك ، ولا تشير الدلائل الى احتمال تحقيق شىء اكثر من ذلك ·· فهناك عقبة رئيسية تقف دون تطبيق نماذج السوبرناطيقى على اشكال الاتصال الانسانى ، وتكمن فى ان هذه النماذج تقوم عادة على مبدأ الكم أى على الحساب والقياس وتعداد الاحوال الطارئة ، ولا يمكن قصر عمليات التبادل الانسانى على الحركات الكمية الا اذا استبعدنا بعض الخصائص الرئيسية لعملية الاتصال ·· ويمكن بطبيعة الحال ان نقتصر على الشروط الفسيولوجية والفيزيائية للاتصال اللغوى ·· ويمكن ايضا ان نستخدم فى هذا المجال نتائج وطرق ابحاث السوبرناطيقا بنجاح ·· على ان مكونات عمليات الاتصال الانسانى الرئيسية هى المقاصد والمضامين الفكرية والعمليات العقلية أو العلمية ، فمن غير المحتمل ان يؤدى تطبيق السوبرناطيقا هنا الى النتائج التى نسعى اليها والتى نحتاج اليها احتياجا ملحا لفهم العمليات الاجتماعية الواقعية ·· والاحرى هو القيام بابحاث مستقلة لعمليات الاتصال الانسانى ·

ولقد تطورت الدراسات اللغوية تطورا سريعا خلال السنوات الخمسة عشرة الأخيرة وقد حدث هذا التطور فى الأعم بعيدا عن الاضواء ومع ان قضايا اللغة تلقى منا دائما اهتماما الا ان علماء اللغة لم يفلحوا فى وضع مشاكلهم وتفسيراتهم لتلك المشاكل امام الرأى العام ··· بل غالبا ما تركت معالجة المسائل اللغوية فى الصحف والمجلات الى رجال الاعلام والى الهواة غير المتخصصين ·

ان اسباب ذلك لا تكمن فى الصعوبات التى يواجهها مثلا من يعالج قضايا لغوية نظرية من علماء اللغة فى تقريب مادته الى القارىء فحسب ·· أو الى عدم اهتمام علماء اللغة بالتعريف بقضايا اللغة ··· وانما ايضا فى اهتمام الرأى العام بقضايا بعينها دون غيرها ·· وتفضيله لطرق محددة فى معالجة تلك القضايا ، وقد ادت معالجة هذه القضايا على هذا

النحو بدورها الى تعضيد نظرة الرأى العام اليها بهذه الصورة ٠ فالموقف الاعلامى فى الصحف ، وفى دور الاذاعة لا يتيح لعالم اللغة المتخصص فرصة التعبير عن افكاره بسهولة ٠٠ فضلا عن تشكك عالم اللغة فى امكانية نقل افكاره الى الرأى العام ٠٠ ، على حد تعبير العالم الالمانى هنز يورجن هربنجر الذى يقول :

ان هناك ظاهرتين تلفتان النظر فى التطور الحديث لعلم اللغة ـ الظاهرة الاولى ٠٠ تزايد الاساليب النظرية والمعايير ، للابحاث اللغوية مما يجعلها عسيرة على غير المتخصص وما يلقى على علماء اللغة عبء تفسير هذه الاساليب الى الجمهور العام ٠ والظاهرة الثانية : اتجاه الدراسات اللغوية الى الارتباط بالعلوم الاجتماعية والتحلل من ارتباطها بفقه اللغة والدراسات الادبية ٠٠ والافكار التى نعرضها هنا تقتصر على هذا الجانب ٠

فيما يتعلق بوظائف اللغة فقد سلطت الاضواء حتى الآن على نقطة واحدة ، الا وهى الصلة بين اللغة والفكر ، أو بمعنى أدق بين الكلام والفكر ٠٠ وهناك وجهتان متطرفتان فى هذا الباب ٠٠ الاولى تذهب الى ان الفكر محدود بحدود اللغة ويتوقف عليها ، والثانية تنفى هذه التبعية ٠٠ النظرية الاولى تقود الى مقولات اخرى منها مثلا ٠٠ نحن سجناء لغتنا ولا يمكننا التفكير خارج نطاقها ٠٠ وليس فى وسع هذه النظرية على هذا النحو ان تشرح كيف نستطيع تغيير اللغة وكيف نستطيع اكتشاف الجديد ٠ والنظرية الثانية تقود ايضا الى مقولات منها ان اللغة لا تتناسب مع ما يدور بنا من افكار ولا تعبر عن افكارنا التعبير الصادق ٠٠ بل انها فى النهاية موطن الداء ٠ وغالبا ما تطالح النظريتان بطريقة اجمالية وتخيلية للغاية ٠ واخيرا ٠٠ منذ عهد قريب بدىء باجراء تجارب سيكولوجية فى هذا الباب٠

ان صعوبة ايجاد المبررات لاحدى النظريتين مرجعها فى اعتقاد « بنجر » الى أن افكار المتكلم لا يمكن الالمام بها أو تدوينها دون الاعتماد على اللغة وحتى لو افترضنا ان رسم تيارات المخ قد يعطينا فكرة من الافكار ٠٠ فان تفسير تلك الرسوم هو دائما مسألة لغوية وفى النهاية فنحن نقارن بين لغويات ٠

هذه الصعوبات قد تدفعنا الى عدم الاهتمام فى المقام الاول بالصلة بين اللغة والفكر ٠٠ الأمر الذى لقى اهتماما كبيرا حتى الآن ، فلندرس

بعض الحالات العادية للاتصال اللغوى او للاتصال البشرى عامة ... فربما تعرفنا على عناصر اخرى هامة تلعب دورا .

ان الاتصال اللغوى يتضمن عملا .. لان الاتصال هو نوع من التعامل الانسانى ، وحيث ان كل اتصال يتطلب طرفين على الاقل ، فهو اذن نوع من العمل المشترك كذى نسميه ، التفاعل المتبادل ، ونود أن نفرق بين جانبين من هذا التعامل : أولا الجانب اللغوى أو اللفظى .. الذى يعنى نطق جملة ما مثلا حين نقول على المائدة « اعطنى الملح من فضلك » .. وثانيا تبعات هذا الفعل اللغوى ، مثلا ان يعطيك أحد الملح ، نلاحظ فى الحال ان كلا النوعين من الفعل متصلان .. وان هذه الصلة ليست صلة سببية ، ان تحقيق طلبك ليس نتيجة سببية لذلك الطلب .. كما نتبين بسهولة ان اوقفنا مثلا شخصا فى الطريق وطلبانا منه « مائة جنيه » فمن غير المحتمل ان يحقق هذا الطلب ، ومهما يكن من أمر فتحقيق الطلب يتطلب فهم الطلب ـ أى يفهم الطرف الاخر ما يرمى اليه المتكلم ، فلو افترضنا ان ببغاء نطق تلك الجملة لما فكرنا اطلاقا فى تحقيق الطلب .. لاننا نفترض ان الببغاء قد قام باتمام الفعل اللغوى لفظيا .. ولكنه لا يعرف اللغة العربية مثلا ، من هذا يتضح ان من يتكلم لغة من اللغات غالبا ما يهدف عن طريق الفعل اللفظى الى ان يحقق شريك الاتصال فعلا ما ـ او على الاقل ان يفهم شريك الاتصال شيئا ما . ذكرنا من قبل ان قيام الشريك بتحقيق فعل ما ليس نتيجة سببية للاتصال ومع ذلك فانه يرتبط بالجملة التى قيلت . كيف يمكن تفسير ذلك ؟ فلنتصور طفلا قد تعلم « عندما يطلب منك شخص ان تعطيه الملح فلابد ان تعطيه اياه » ، وقد ننهى الجملة بلفظ « والا » ، اى بالتهديد بالعقاب . مثل هذا الطفل سيحقق غالبا الطلب اكثر من طفل آخر لم يتعلم تلك الجملة بهذه الصيغة .. المسالة تتوقف اذن على علاقة الجمل المختلفة بعضها ببعض ، ويمكن ايضاح ذلك ايضا بواسطة المثال الثانى .. فلنتصور مجتمعا يخالف مجتمعنا تعتبر فيه الجملة التالية صادقة « اذا طلب أحد منك نقودا » فهو فى ضيق ، وعليك ان تجيبه ان استطعت . فى مثل ذلك المجتمع سيلبى الكثيرون هذا السؤال ، اكثر مما يلبيه الناس فى مجتمعنا .. ولكن هل لهذا حقا علاقة بالجمل او بمعناها ؟ . قد يوجه الى هذا السؤال ، وجوابى انى لا اعرف تفسيرا آخر افضل لدور الجملة فى عملية الاتصال .. فالدور الذى يمكن ان تلعبه الجملة فى عملية الاتصال هو معنى هذه الجملة .

ما يستحق الملاحظة فى هذا الوصف هو ان معنى جملة ما ليس شيئا شخصيا يتعلق بالمتكلم او بالمستمع ، وانما هو شيء مشترك تحدده اللغة

التى تتبعها الجملة ·· فالمعنى بمثابة نموذج أو قالب حاضر تمدنا به اللغة ويمدنا به بالتالى مجتمع هذه اللغة ·

فمن يتحدث لغة ما يتعلم باكتساب هذه اللغة نماذج الافعال ، وتلك النماذج تحدد له الطرق التى يمكن ان يعمل ويمارس افعاله فى نطاقها دون ان يخرج عما هو متبع ·· ونحن نسمى القدرة التى يكتسبها المتكلم ·· حين يستخدم جزءا من لغة ما بكفائته اللغوية ·· ولا تقتصر الكفاءة اللغوية على معرفة نماذج الافعال اللفظية ، وانما تتضمن ايضا بدرجة ما كفاءته الاجتماعية التى تتيح له التعامل ، وفقا لنماذج بعينها بهذا المعنى ، تشكل الكفاءة اللغوية عنصرا هاما من عناصر الحياة الاجتماعية ، ومن خصائص النماذج السلوكية التى أشرنا اليها انها فى التطبيق تستطيع ان تغير من مجرى الاشياء وان هذه النماذج نفسها قابلة للتغيير ·· بهذا نصل الى موضوعنا وهو : امكانيات التدليس أو التضليل كما يحدث فى الدعاية التى نفرق بينها وبين الاعلام · ان كلمة تدليس Manipulation مثل لما تصفه ، فهذه الكلمة محملة بالكثير من المعانى بحيث يتعذر استخدامها دون اثارة الكثير من المشاعر · ما هو التدليس ؟ من الصعب الاجابة على هذا السؤال ·· كما هو الحال فى جميع الالفاظ المستخدمة التى تلوكها الالسن ·· ومن الافضل فى بداية البحث ان تأخذ من اللفظ معناه الأعم ·· ويمكن تعريف التدليس بصفة مبدئية على انه تغيير سلوك انسان أو جماعات من الناس بواسطة غيرهم من الأفراد أو المجموعات · وربما كان من الأفضل تقييد هذا التعريف العام بعض الشىء ·· كأن نقول ان التدليس يقع فى الحالات التى يحدث فيها التغيير دون وعى من هذه الجماعات ·· وفى الحالات التى يكون فيها هذا التغيير مضرا بمصالح هذه الجماعات · على ان هذا المقياس الأخير صعب التحديد ·

هناك العديد من الأمثلة المباشرة الواضحة التى تستخدم فيها اللغة كوسيلة للتدليس · ولنتذكر التحليل النفسى على سبيل المثال ·· فالاساس الذى يقوم عليه لا يتعدى التعامل اللغوى بين المحلل النفسانى والمحلل (أى المريض) ومن تبعات هذا الاتصال اللغوى بين الطرفين · وهو غالبا ما يكون اتصالا طويلا شاقا ، تحول سلوك المحلل ، دون ان يعى نفسه طبيعة هذا التحول · ونفترض عادة ان هذا التحول أو التغيير فى صالح المريض ، ولكن من اليسير ان نشك فى ذلك ، ان ادركنا ان التحليل النفسى يأخذ فى الاعتبار معالجة اعراض المرض ·· وأسبابه الظاهرية دون ان يتناول الاسباب الاجتماعية التى نتجت عنها متاعب المريض ·· وأبعد من

ذلك فمن الممكن ممارسة التحليل النفسي كوسيلة للتكيف مع كل شكل من اشكال المجتمع دون تمييز ·

اما فى التدليس اللغوى فنستطيع التمييز بين شكلين أو لونين مختلفين شديدى الاختلاف ، وان كانا فى النهاية مترابطين · فى الحالة الأولى يعنى التدليس ايهام شخص ما بصحة مقولات أو اقوال محددة ، ويؤدى الاعتقاد بصحة هذه المقولات الى اتخاذ مواقف معينة من الاشياء والاشخاص وأساليب السلوك الخ ·· وينعكس هذا الموقف بدوره على افعال وتصرفات المغرر بهم (أو المدلسين) كما اثبتت التجارب بوضوح شديد ·

اما فى الحالة الثانية فيتضمن التدليس تغيير نماذج السلوك لفئات محددة ، أى تغيير قدرات الافراد والجماعات ، ويرتبط هذا الشكل من اشكال التدليس بالشكل الأول ، من حيث ان تغيير القدرات والكفاءات لا يتم الا عن طريق المقولات والافعال ·· من الامثلة البسيطة لذلك استخدام بعض الالفاظ كلفظ « شيوعى » مثلا فى اطار التعبيرات السلبية باستمرار ·

ومن الواضح ان تدليس القدرات والمناحى ابعد خطرا من تدليس الافعال ، لان تدليس القدرات والمناحى يحد من الاطر المتاحة أو الممكنة للافراد والجماعات ، بحيث لا يجول بخاطرهم القيام بافعال بعينها ·

وربما كان من الأفضل شرح هذين الشكلين من اشكال التدليس عن طريق التمثيل ·· من المهم فى حالة التاثير على الأفعال بواسطة المقولات ان يعتقد الفرد بصحة مقولات او ادعاءات بعينها ·· وهذا على سبيل المثال – هدف تسعى الاعلانات التجارية الى تحقيقه بوسائل متعددة · أهم تلك الوسائل واكثرها شيوعا – وابسطها فى نفس الوقت – هو تكرار الجمل الخبرية : فى مدن المانية عديدة تم اختبار مسحوق الغسيل « آل » تحت انظار الراى العام · فى كل مكان جاء البرهان القاطع « آل » اقوى من كل مواد غسيل الماضى ·· « آل » ينتصر على القذارة العنيدة والبقع الصعبة ·· « آل » يزيل البقع وينظف تماما ، ولا تؤثر على النسيج والألوان · « آل » يغسل بقوة حيوية ، وهو اقوى واقوى من كل مواد الغسيل السابقة · آل من انتاج سنليت · الى جانب التكرار استعملت هنا وسيلة من الوسائل الشائعة التى تستخدم لاثبات صحة جملة ما – الا وهى وضع « الادعاء » فى اطار من الجمل الصحيحة او التى يعتقد بالفعل فى صحتها ·

وتسمى هذه الوسيلة « التدليل » • وتستخدم هذه الطريقة بوفرة فى نصوص الاعلانات التجارية ونجدها فى مثالنا السابق وان كانت صورة خاصة للغاية ، فالادلة او الحجج التى تساق لا تصلح اطلاقا للبرهنة على صحة الادعاء ، وانما يحاول النص ايهام المستمع بصحة الجملة القائلة •• « آل اقوى من كل مواد غسيل الماضى » •

والمفروض على هذا الأساس ان يغير المستمع سـلوكه ويختار عند الشراء مسحوق « آل » • والجملة نفسها مصاغة بطريقة توحى بانها تضم البرهان ، اذ تشير الى مواد الغسـيل فى الماضى ، ووفقا للايمان الشـائع بالتطور والتقدم فلابد ان يكون مسحوق غسيل « آل » الحديث افضل من مواد الغسيل السابقة عليه ، كذلك يذكر الاعلان برهانا آخر وهو الاختبارات العلنية ، ولكن هذه الحجة الثانية لا تزيد عن ذكر الجملة الخبرية : « فى عديد من المدن الالمانية تم اختبار مسحوق الغسيل آل امام الرأى العام فى كل مكان » « البرهان القاطع » ولكن صحة هذه الجملة ذاتها تظل دون اثبات •

ينطبق نفس الشيء على بقية الجمل التى سبقت لاثبات جودة مسحوق الغسيل « آل » وعلى نفس المنوال يختم الاعلان بعبارة « آل مـن انتـاج سنليت » وهو امر لا يشك فيه ولكنه لا يعنى دون شك جودة مسحوق « آل » الا اذا افترضنا ان كل ما يصدر عن سنليت هو جديد » وهو ما يسمى النص الاعلانى ايضا الى البرهنة عليه ويمكن ان نطلق على هذه الطريقة طريقة « التدليل » المعاد « والادعاء بدون تدليل » •

اللغة والبحث الاعلامى :

ولذلك فى دراسة لغة الاعلام لابد من التفريق بينها وبين لغة الدعاية وهو تفريق وظيفى ، ذلك ان اللغة تحتل موضعا رئيسيا فى عملية الاتصال الاعلامى التى تسرى فى كيان المجتمع على مسـتويات مختلفـة مـن حيث استخدام اللغة والرموز على اعتبار ان الرسالة الاعلامية من اهم عناصر عملية الاتصال الاعلامى بابعادها النفسية والاجتماعية والثقافية •

ولذا كانت العبارة التقليدية تحدد عملية الاتصال فى « من ، يقول ماذا ــ لن وكيفـو باى تاثير » • فان اهـم عنـاصر الاتصـال يتمثل فى « اللغة » او « الرسالة الاعلامية » ولما كانت الرسالة تمثل الوسائل التى التى يتصل من خلالها فرد باخر او جهة باخرى فان بحوث الاتصال تعنى بوصف هذه الرسالة بدقة وان تفسر ببصيرة نافذة •

ولقد انفق العلماء جهودا مضنية ووقتا طويلا فى بحوث الرسالة الاعلامية من حيث كتابتها وتحريرها وفنون صياغتها حتى انه يخيل للمرء أن زاوية الرسالة هى الزاوية الوحيدة التى شغلت الباحثين دون الزوايا الأخرى ·· غير ان المواقف الاتصالية اشمل من ذلك واعم - فهى مواقف سلوكية تقدم فرصا مضطردة ومتزايدة للمشاركة فى الخبرة وتحقيق الاهداف وكسب المعرفة والفهم وافتراض الفروض بشكل عام للسيطرة على البيئة من خلال الرموز (٢) ·

والمنهج الاعلامى فى اللغة انما هو اسلوب علمى يستخدم لوصف عملية الاتصال الاعلامى وصفا موضوعيا منظما على اساس كمى للمضمون الظاهر للاتصال . اى لمجموعة المعانى التى تظهر من خلال الرموز المستخدمة فى عملية الاتصال ·· فهو اذن منهج لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة فى عملية الاتصال الاعلامى بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل بحيث يمكن لمحللين مختلفين أن يطبقوها على نفس المضمون ويحصلوا على نفس النتائج ·

اما التنظيم الذى يقتضيه المنهج الاعلامى - فيعنى تحليل الرسالة الاعلامية على ضوء حصر كل الفئات المناسبة لموضوع التحليل - كما يعنى أن يهدف التحليل الى التحقق من مشكلة لغوية أو فرض لغوى يمكن من خلال التحقيق منه أن يكون لنتائج تحليل اللغة الاعلامية قدر من الفائدة التطبيقية فيما بعد ·

ويعنى الأساس الكمى للمنهج الاعلامى انه من اكثر الخصائص تمييزا للمنهج الاعلامى فى اللغة عن المناهج اللغوية الاخرى ولا يتطلب ذلك ضرورة تحديد قيم عددية لفئات التحليل - اذ يتخذ التقرير احيانا شكل كلمات كمية ·

ذلك ان اللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع - انما تقع فى كونها من جهة ضربا من السلوك البيولوجى بادق المعانى ناشئا تلقائيا من المناشىء العضوية الأولى ، وفى كونها فى الوقت نفسه - من جهة أخرى - تضطر الفرد الواحد من افراد الناس الى ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الاخرين وان ينظر الى الامور وان يجرى عليها البحث من

---

٢) د· امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ص ١٣٥ ·

زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها بل تكون مشتركة بينه وبينهم باعتبارهم شركاء أو اطرافا متعاقدين ان شئت فهى مشروع مشترك ، لا شك قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلى الذاتى هو الموجه والهدف لنشر اللغة ولكن الذى لاشك فيه ايضا ـ انها تهم أول ما تهم شخصا اخر ـ المستمع « المستقبل » أو اشخاصا آخرين يوجه اليهم المتكلم « المرسل » الحديث فوسيلة التفاهم بين المرسل والمستقبل تقيم شيئا مشتركا ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (٣) ·

وعلى ذلك فان لغة الانسان المكتوبة والمنطوقة بل وكل وسائل التفاهم بالحركة والاثارة ولغة الفنون كالموسيقى والرقص هى وسائل للتفاهم · اى وسائل اعلامية ·

اللغة ونظرية الاعلام :

ولكن هل من سبيل لقياس حجم ما فى اللغة من معلومات وتقويم دقتها على أساس كمى بالارقام ؟ وكيف نفرق بين اصوات أو حروف تعطى قدرا كبيرا من المعلومات وأخرى تعطى نزرا يسيرا ؟ ·

ذلك المنهج الاعلامى فى اللغة هو موضوع نظرية الاعلام وهى نظرية حديثة ترتكز على اسس رياضية راسخة وقد وضع اساس هذه النظرية العالم الامريكى كلود شانون ـ ثم ما لبث ان تناولها بالدراسة والبحث عديد من العلماء والباحثين فى مختلف ميادين الفكر والبحث العلمى ـ علماء الحياة واللغة والوراثة والرياضيون والفلاسفة وعلماء النفس وتقوم هذه النظرية على اساس أن اللغة هى « شفرة » أى نسق اصطلاحى من الاشارات متفق عليه بين المرسل والمستقبل بهدف اعلامى ·

وحجر الزاوية الاعلامى الرياضية هو مفهوم عدم التحدد اى الغموض ـ فان اى مجموعة من الحروف نسطرها أو أى مجموعة من الوحدات الصوتية « الفونيمات » نطلقها تحت احتمالات متعددة لتحديدها ·· فقد تكون ذات معنى وهنا يزول عنها عدم التحدد وقد تظل بلا معنى فيكتنفها الغموض أو عدم التحديد ، ومعنى ذلك انه للكشف عما يكون هناك من معنى أو

---

٣) مجلة اللسان العربى ـ ٢٤ص ٥٥ ـالرباط ١٣٧٥هـ ·

لقياس حجم المعلومات فى جملة من العبارات المكتوبة على اساس نظرية الاحتمالات يلزم دراسة اللغة المكتوبة باعتبارها شفرة عناصرها الاولية الحروف الابجدية ثم دراسة احتمالات تكرار الحرف الواحد فى اللغة ـ والحرفين والثلاث ·· الخ واحتمال تجاوز حرفين معا والثلاثة حروف الخ ·· ودراسة الفواصل بين كلمة واخرى فحروف الابجدية هى الذرات أو اللبنات الأولية التى يتالف منها بناء اللغة فى شكل مقاطع وكلمات بينها فواصل ولكن الملاحظ ـ كما يقول كوندراتوف ـ ان معظم الحروف المفردة فى اللغة ليست ذات معنى وكذلك ليس كل تركيب لغوى من الحروف يحمل معنى وهذا هو ما يسمى بخاصية الفضل فى اللغة أى الأفراد أو الزيادة فى الاقتصاد ·

فاللغة العادية ليست كلغة العلوم مثلا حيث كل حرف له معنى فحرف (O) فى الكيمياء يعنى الاكسجين بينما لا يعنى شيئا خارج هذا الاطار الاصطلاحى فيبدو كأنه فضلة أو زيادة لا يبررها الاقتصاد ، وكذلك الحرف (ب) قد تعنى (ب) و (أم) تعنى (أم) ولكن ليس كل حرفين متجاورين لهما معنى بالضرورة على أن هذه الزيادة فى اللغة والتى لا يبررها الاقتصاد تقتضيها الضرورة ـ فهى « حد الامان » وتفيد كل الدراسات اللغوية الحديثة ان نسبة الفضل فى كل لغات الانسان العادية تتراوح ما بين ٧٠ و ٨٠ وتزيد هذه النسبة فى لغة الفنون المتخصصة وذلك لان حصيلة كل فن من الفنون اقل من جملة حصيلة اللغة ، ولهذا كانت القراءة المتخصصة ايسر من القراءة الشاملة ـ أو انها افقر منها لغة وتقل هذه النسبة فى لغة الادب ـ ذلك لان الادب فيه تلوين وتصوير وثراء وخيال ·

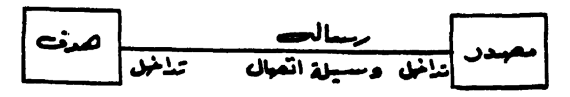
ومن ذلك يبين أن احتمالات تكرار كل حرف من حروف اللغة فى الكتابة أو الكلام ليست احتمالات متساوية ـ كما ان هذه الاحتمالات تختلف من فن لآخر من فنون المعرفة ، ومن ثم يلزم دراسة هذه الاحتمالات لكل حرف من حروف الابجدية على حدة ثم دراسة احتمالات تجاور كل حرفين على حدة ثم دراسة احتمالات تجاور كل حرفين على حدة ، وكذا كل ثلاثة حروف واربع ··· الخ ·

واحتمالات الفواصل بين الكلمات والجمل واحتمالات تجاور الحروف المتحركة والساكنة وقواعد النحو والبناء اللغوى ·· ولكن اللغة ليست فقط حروفا متجاورة وكلمات بينها فواصل بل هى اشارات لها ما وراءها أى لها مدلول أو معنى ـ فان بناء لغويا فارغا من المعنى لا قيمة له اذا فقد الوظيفة الاصلية للغة وهى التفاهم او نقل المعلومات أى واقعيتها ـ ويختلف معيار

التحقق من اللغة : هل هي ذات معنى أم لا ؟ باختلاف ميدان استخدامها - فالتجربة هي معيار الحكم في العلوم الطبيعية والفهم المشترك معيار الحكم في اللغة العامة بين الناس ، كما انه معيار الحكم في لغة الاعلام ٠

وتأسيسا على هذا الفهم تعنى نظرية الاعلام بدراسة حجم المعلومات التي يمكن لمخ الانسان ان يستقبلها ويقتضي ذلك دراسة معدل الوارد من المعلومات الى المخ في وحدة زمنية معينة ، وهو ما يسمى بسعة الجهاز العصبي أو طاقته ويستلزم ذلك دراسة كفاءة العمل لكل من اعضاء الاستقبال الحسي وكفاءتها في الاستجابة واوجه الاختلاف والتمايز بين كل منهما ومن ثم يمكن تحديد كفاءة الجهاز العصبي في الاستقبال والاختزان للمعلومات ذات المعنى سواء في مجال الحديث الشفاهي أو القراءة أو السرعة اللازمة وتختلف هذه النسب ايضا على أساس الخصائص الفردية للانسان وحالته العضوية والنفسية ودرجة التدريب ٠٠ الخ ٠

وترتكز نظرية الاعلام عند « شانون » على أن عقل المصور هو المنبع وان المرسل يستخدم اللغة والاثارة لنقل الرسالة فيتلقاها المستقبل - ويدبرها بعقله وهو المصب او الهدف - يضاف الى ذلك تفسير صاحب هذه النظرية لعنصر التداخل والتشويش الذى يعوق عملية الاتصال الاعلامي وقد ينشأ التداخل من المرسل أو الرسالة أو الوسيلة أو المستقبل - فتفقد عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتدفقة من المصدر الى الهدف ، ويمكن ايضاح ذلك بقولنا أن حروف الطباعة الصغيرة الى حد كبير - تعتبر تداخلا في الاتصال الصحفي ، كما ان سوء الاضاءة وعدم ارتياح القارىء لاسباب صحية أو نفسية قد تعوق الفهم ايضا ، وتعتبر تداخلا ، ومن الامثلة على ذلك ايضا - دق جرس الهاتف اثناء الاستماع الاذاعي او حدوث ضجة مفاجئة وكلها تمثل فكرة التشويش او التداخل ، ولابد للاعلامي الناجح أن يدخل هذه الامور جميعا في اعتباره - وقد يكون العيب في ارسال التلفزيون أو الاذاعة نفسه - أو عيب أو مرض يعترى المستقبل ويمكن تصوير التداخل هكذا ٠



وقد يعالج التداخل بالاعادة أو التكرار حتى تتاح الفرصة للمستقبل لتلقى الاشارة ، غير أن المرسل يراعي تجنب التكرار الممل البطيء كما يتجنب

الاسراع الشديد، ويعتبر مفهوم رجع الصدى من المفاهيم المأخوذة عن الدوائر الكهربائية ايضا وتعتبر هذه الارجاع اختبارا لسلامة الدائرة او ما يصيبها من اعطال ـ وبنفس الطريقة نجد ان رجع الصدى فى الاتصال الانسانى ـ يعطى للمرسل فكرة عن استجابة المستقبل للرسالة او رفضه لها ٠

ومن جهة اخرى يذهب علم « السيموطيقا » او نظرية الاشارات والرموز الى وجود تمايز بين الاشارات والعلامات ، من حيث ان الاشارات اصطلاحية اى متواضع عليها بين النـاس وكونها تستلزم وجود عنصرى المرسل والمستقبل مع توفر عامل الوعى والادراك المقصود ، لان وظيفة الاثارة اعلامية اى نقل المعلومات ـ اما العلاقة فلا تستلزم وجود العنصرين لانها لا تتضمن عملية اعلام مقصودة ٠

ويمايز علم الاشارات والرموز بين ثلاثة انماط من العلاقات ، علامات دالة علامات التطابق او العلامات المصورة ـ وتتسم بان المعنى او المحتوى والصورة الخارجية او التعبير متطابقان ومتماثلان ـ والنمط الثالث علامات الاتصال او الاشارات الاصطلاحية وتسمى اشارات بالمعنى المحدد والدقيق لهذه الكلمة ـ واكثر العلامات المتواضع عليها بين البشر هى من هذا النمط على ان الاشارة تكون غير ذات معنى ما لم تكن ضمن نسق من الاشارات يحدد معناها وتكون صوابا فى اطار هذا النسق دون غيره ، والاشارات او اللغة فى عمومها سواء كانت الفاظا ام حركات لها شكل ومعنى او وعاء ومحتوى ـ وقد يتفق الشـكل ويختلف المعنى وجوهر اللغـة فى معنـاها اساسا ٠

ويقرر علماء « السيميوطيقا » ان لغة الاستعمال المنطوقة هى نسق من الاشارات نشـأ فى المجتمع وللمجتمع الا ان لهـا خاصية تميزها عن سواها من وسائل التفاهم ـ فلغة الكلام الشائعة ليست كما تبدو فى ظاهرها لغة بسيطة انها تبدو لنا كذلك فقط لاننا تمثلناها منذ نعومة اظفارنا وتحكمنا فى قوانينها وقواعدها دون ان نتبين عن وعى وادراك طبيعة العملية ـ وان كان هذا هو ما يتوفر لنا بعد ذلك فى سنى الدراسة بالمدرسة حين نتعلم القراءة والكتابة ٠

ان لغة الانسان نسق اشارى بالغ التعقيد ـ قادر على نقل الفكرة الخالية المجردة والصور العقلية مثل مفهوم الوعى المطلق وهو ما لا يتاتى من اى نسق اشارى لغيرى الانسان ـ ومن ثم فهى لغة اكثر ثراء وغنى

واكثر اقتصادا ويرى علماء السيميوطيقا انها اصبحت كذلك لانها لغة ارتقائية ٠

ونخلص من ذلك ـ الى ان اللغة تتميز على غيرها من الرموز والنظم الاشارية بانها فى متناول الجميع وهذا يميزها عن العلم والفن أو الادب اللذين يتطلبان تدريبا خاصا ـ فالعالم رموزه وصيغة وارقامه فى علوم الطبيعة والرياضة والكيمياء والفلك والمنطق وغيرها ولا يمكن فهم الرياضة الا بعد اتقان هذه الرموز بتدريب خاص ٠

اما اللغة العملية ـ اللغة اليومية ـ اللغة الاجتماعية لغة الفن الاعلامى فتمتاز بالشمول كما انها لغة طبيعية نتعلمها منذ الطفولة فى حين ان لغة العلم ولغة الفن من اللغات المصطنعة التى لا يمكن اكتسابها الا بعد سنوات من المران والتدريب (٤) ٠

اللغة الاعلامية :

وهكذا توجد ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى : اولها المستوى التذوقى الفنى والجمالى ويستعمل فى الادب والفن ـ والثانى هو المستوى العلمى النظرى التجريدى ويستعمل فى العلوم ـ والثالث هو المستوى العلمى الاجتماعى العادى وهو الذى يستخدم الصحافة والاعلام بوجه عام ـ وهذه المستويات الثلاثة كائنه فى كل مجتمع انسانى والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو تقارب المستويات اللغوية فى الأول ـ وتباعدها فى الاخر ـ فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ـ واوازن طبقاته ـ وحيوية ثقافته ـ ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية فمن الثابت ان العصور التى يسود فيها نوع من التاليف بين المستويات العلمية والادبية والعلمية وهى غالبا ازهى العصور وارقاها ـ اما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الاخر فهو دليل على لانفصام العقلى فى المجتمع وهذا يؤدى الى التدهور والانحطاط والشيوخة الانحلال ٠

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار النمو والقدرة على الانتقال والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من

---

٤) Imam, I., «The Language of Journalism, Cairo, 1969

الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين – سواء الخبرات الماضية او الحالية اى انها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هى أهم عنصر فى الحضارة الأنسانية (٥) ٠

وتعتمد اللغة فى صحتها وقوتها على المستوى العام للغة القائم على التالف بين المستويات العلمية والادبية والعملية لان الحديث اليومى حين يحسنه افراد المجتمع ينشط اللغة ويعيد لها الشباب – فليس الكلام الانسانى من خلق العلماء او اللغويين بل هو على حد تعبير الدكتور ابراهيم انيس (٦) من خلق العامة من الناس ممن ربما لم تتح لهم فرصة التعلم فى مدرسة – وممن لا يكادون يحسنون كتابه أو قراءة ٠

حقا ان العلماء والادباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تظهر وراء الجمال الرائع فى النصوص الادبية – ولكننا نلحظ ان اندر النويرات واروعها هى تلك التى تظهر طبيعية ودون رعاية أو تعهد ٠٠٠ على ان جذور اللغة لا تعمق الا فى التربة العامة التى منها تستمد اللغة عصيرها وغذاءها – هذا اذا قدر للغة الا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التى انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم يجب لهذا الا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الادب والحديث اليومى – فقد تتطور تلك الفجوة الى عزل لغة الادب وتصبح اشبه باللغة المصنوعة التى تتقرر صيغها واشكالها بوساطة سلطة عليا كما هو الشأن فى المجامع اللغوية باوروبا – فقد يصدر المجتمع اللغوى قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الادبى – وقد يفرض النصوص التى يجب ان تعلم فى المدارس – ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث الرائج فى الاسواق وعلى الخطاب العادى فى البيوت وبين افراد الأسرة (٧) ٠

وقد حدث هذا لاوروبا فى العصور الوسطى عندما كانت اللغة اللاتينية مستأثرة بالدراسات الادبية وبينما كانت اللغات الاجتماعية محتقرة ومنبوذة لا تستعملها الا الطبقات العاملة الفقيرة فعاشت فى عصور مظلمة وباتت تتردد فى الجهل والتعصب والتنافر والتنابذ وفى الوقت نفسه – سادت فى

---

٥) د٠ احمد ابو زيد – مجلة عالم الفكر الكويت – ع١ م٢ – ١٩٧١ ص١٩ ٠

٦) اللغة بين القومية والعالمية ص٣٢ ٠

٧) المرجع السابق ص ٢٣ ٠

العالم الاسلامى اداب رفيعه - وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكام والمحكومين - مستعملة فى الاداب والعلوم وفى الحياة العملية ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شائعة مفزعة كما كانت فى أوروبا بين اللاتينية والانجليزية أو الالمانية مثلا ٠

وقد كانت اللغة العربية فى اتعس ايامها واحلك عصورها فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر - تعانى من الانفصام العقلى فى المجتمع حيث سادت لغة ادبيه منمقة متكلفة كتقليد سخيف للطريقة الفاضلية فى الكتابه - عقيمة مصطنعة لم يألفها الشعب - اما أساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامع ان يقلد الكاتب أسلوب الحريرى فى مقاماته كما الفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة المترادفة وليس على من يريد ان يكتب فى موضوع الا ان يأخذ ينصبها ٠

ومن جهة أخرى أختفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة مترادفة بحيث لم يعد الترادف فى ذلك العصر مزية من مزايا العربية وأصبح مرضا من امراضها الوافدة المنتشرة وغلب على الناس استعمال الالفاظ فى معانيها العامة فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التى عرفت بها العربية فى عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح حين فقدته اللغه نفسها واتسم بالغموض وانفصلت الالفاظ عن معانيها وأصبحت عالما مستقلا يعيش الناس فى جوه بدلا من ان يعيشوا فى الحياة ومعانيها ٠ (٨)

وصفوة القول ان الخضوع السياسى والنصوصية الفقهية والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة فى الادب كان لها جميعا أثرها فى اللغة وانعكاس اشعتها عليها فكان للغة فى تلك العصور صفات هى الوجه اللغوى لهذه الصفات الاجتماعية الاخرى وتلك هى أغراض سمية مصطنعة متراكمه - يصبح المجتمع المريض والحضارة المنحلة - وقد حدث ذلك فى العصور الوسطى فى أوربا كما حدث فى انجلترا فى مستهل الفتح النورماندى وحدث ايضا فى مصر بعد الفتح التركى حتى القرن التاسع عشر ٠

وليس من قبيل المصادفة أن يكون ظهور أول صحفى مصرى وهو رفاعة

---

٨) محمد المبارك (خصائص العربية)ص٦ ٠

الطهطاوى فى عصر محمد على مهمتها بنهضة علمية والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة العربية واهتمام بالترجمة (٩) فقد كانت اللغة الموروثة التى كانت تؤدى أغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد فى تلك العصور من جمود وضيق فى الآفق ـ وحملت الحياة الحديثة فى أوروبا الى العرب آلات جديدة وأفكارا جديدة ومشاعر جديدة ـ حملت كل ما حملته حضارتنا من ضروب النشاط الانسانى فى الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية من الوان وصور جديدة فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور الانحطاط عن القيام بعبء التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية ·

لقد كانت الملاءمة بين الأمرين عصيرة صعبة وكان ينادى بجمهرة المتكلمين باللغة العربية الى حمل هذا العبء والاصطلاع به فكان على جمال الدين الافغانى ويعقوب صنوع والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل واحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية المصرية والثقافة الأوربية أن يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العربى التى تقترب من لغة الادب ـ وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط ·

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة وبالتنويع فى وسائل الاقناع الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية والعناية بالاخبار النائية وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحيفة تتلاءم مع شعبية الصحافة تتوخى السهولة والتبسيط دون أن تهبط الى العامية فى اللفظ أو السوقية فى الفكر (١٠) ·

وهكذا تتقارب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية لاننا كلما نزلنا فى سلم التطور الحضارى للمجتمعات وجدنا فروقا شاسعة بين المستويين الادبى والعلمى للغة ·

على ان لغة الفن الصحفى والاعلامى تقوم على الوظيفة الهادفة والوضوح والاشراق وتكاد تكون فنا تطبيقيا قائما بذاته ـ فالفن الصحفى والاعلامى تعبير اجتماعى شامل ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر

---

٩) د· ابراهيم امام دراسات فى الفن الصحفى ص٤٤ ·
١٠) المرجع السابق ص٤٥ ·

النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى ... الخ هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة ومن ذلك يبين ان الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيقى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والأفكار اليهم فهو اداة وظيفية وليس فنا جماليا لذاته ذلك ان للفن الاعلامى وظائف محدودة هى : الاعلام والتغيير والتوجيه والتسويق والامتاع والتنشئة الاجتماعية - ومع ذلك فلغة الفن الصحفى تختلف عن كل هذه جميعا لانها تتضمنها كلها ولا تقتصر على اى منها - لاى القراء أو جمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس ولكنهم فى الغالب كل الناس .. ولان الصحفى يكتب لكل الناس فى كل الاوقات - وليس لجزء من الناس فى كل الأوقات أو لكل الناس بعضا من الوقت - فانه يجب عليه ان يجاهد لتحقيق هدف عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع .

وليست على هذا الاساس - البيئة التى يحيا فيها الانسان يعمل ويبحث ماديا فقط - بل ثقافيا كذلك فانفعال الانسان وكيفية ادائه لها - لا تتوقف على التكوين العضوى لجسدة فقط - بل البيئة والانسان يتأثر ان كذلك بمؤثرات الثقافة فى التقليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات التى تحملها الالفاظ اللغوية فى طيها وتوحى بها .

والمشكلات التى تبعث على التقصى والبحث حول الرسالة الاعلامية انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض - ولا تقتصر الاعضاء التى تختص بهذه العلاقات - على العين والاذن واللسان - بل من ادواتها كذلك تلك المعانى المتطورة على مر الحياة مضافا اليها وسائل التكوين الثقافى .

ذلك ان عملية الاتصال الاعلامى ليست موقفا ساكنا أو جامدا - وانما هو عملية دينامية متحركة بحيث تحتل - اللغة - فى مركب العناصر التى يتألف منها المحيط الثقافى للعملية الاتصالية مكانا ذا دلالة خاصة وهى تؤدى وظيفة ذات خاصية ايضا فهى فى حد ذاتها نظام اعلامى وهى الاداة الرئيسية التى تنتقل بها سائر تلك النظم الأخرى والعادات المكتسبة كما تتغلغل الالفاظ خلال الصور ومضموناتها فى ان واحد - وتتميز بتركيب خاص بها له قابلية التجرد باعتبار اللغة صورة من الصور .

وذلك هو المعنى الواسع للغة - فاللغة بهذا المعنى هو الوسيلة التى تتقمصها الثقافة فتبقى وعن طروقها تنتقل وهى ذلك التدوين الذى يديم بقاء الحوادث ويجعلها فى متناول الناس عامة لبحثها من جديد ومن جهة أخرى

فان الافكار او المعانى لا وجود لها الا على رموز يستحيل فهمها دون الرجوع اليها مرة ثانية وبذلك تشكل تلك الرموز ـ نوعا من البقاء الضرورى لوجود الاشياء المرموز اليها بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزى عنها (١١) ٠

ومن هذا يتبين ان علاقة العالم الداخلى النفسانى والعالم الخارجى تتجسم فى التعابير المختلفة التى توجد بوجودها وتنعدم بنعدامها ـ انها شرط وعلة لها وبما ان الموضوع والذات ـ اى المفعول والفاعل يلتقيان فى الشعور الفردى ليتحققا كان لزاما على الدراسات النفسانية ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه ٠

فاللغة فن تقنى (لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها) ولكن حقيقتها تندمج فى حقيقة تاريخية التاريخ الفكرى والنفسانى والصناعى والجغرافى للأمة او للأمم المتكلمة بهذه اللغة ونقصد هنا بالتاريخ الماضى طبعا ـ ولكنه حق يسترسل من الحاضر مع التاكيد بان الحاضر لا ينحصر فى الحال ـ بل هو ما يعبر عنه النحويون ـ بالمضارع ـ اى الحال والمستقبل يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر فالمستقبل ليس للبعيد كما ان الحاضر ليس منحصرا فيما قد حضر فحاضره ليس وصفا لحالته ـ بل اسم فاعل ـ اى انه الزمن الذى يقع فيه فعل فعليا (١٢) ٠

فالحاضر يختلف عن الماضى ـ لان الماضى قد انتهى كحركة مباشرة ٠٠ ولما يبق الا فى اشارة او فى ذاكرة ويخالف ايضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهة نحو الامام ويتقمص الامال ٠

فالمتكلم بغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كى يفهم ـ فالكلام اداة للتفاهم لا غاية فى ذاته ـ ان المرسل يرمى من وراء الكلام ان يفهم المستقبل انه يريد تواصلا ٠

والانسان هو الحيوان الذى يتكلم اى يصنع العلم بالالفاظ فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او اداة مواصلة واتجاه واما تحديد لسلوك ـ فردى او جماعى فالكلمات الأوراق النقدية والاسلحة او الخاتم السحرى قد يد

---

١١) مجلة « اللسان العربى » العدد ٣ ـ ص٥٤ ـ المغرب الرباط ٠
١٢) مجلة اللسان العربى ٦٤ ص١٥ ـ الرباط ١٣٨٨هـ ٠

الانسان يكتفية ان ينطق ليحدث شيئا فى شعوره ـ ورد فعل شعور الآخرين ومن هذا التجاوب الشعورى ـ ينتج صدى يحرك الطبيعة الخارجية فالكلام خلاق ـ ان الكلمة الواحدة تحدث أحيانا فسادا ـ واحيانا اصلاحا ـ واذا لم يتسبب عنه شيء محسوس عند المتكلم ربما حصل ذلك عند المستمعين أو عند متكلم اخر ، مرة أخرى فالكلمة كالدرهم الذى يحتفظ بقيمته التوالية سواء انتقل الى بائع أو الى مشتر، أو لم ينتقل « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة » (١٣) ٠

فالبحث فى الكلمات من حيث تركيبها المادى ومدلولاتها المحسوسة ، واثارها النفسانية ، يلتقى فى ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الاعلام أو الاتصال بالجماهير وحول المعرفة ٠

ومن هنا كان التأمل فى اللغة فلسفة وعلم ، وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم أداة للتعبير ، واتخذها الاعلام « رسالة » اتصالية واعلامية ، هكذا نرى اللغة فى نفس الوقت ـ مادة للبحث وأداة له اذ أن العلاقة بين الفكر واللغة ليست علاقة خارجية ـ أى ليست علاقة تجاور فى المكان أو تصاحب فى الزمان ـ بل هى علاقة داخلية . بمعنى أن الفكر ليس قبل الكلام وكذلك ليست اللغة خارج الاتصال الاعلامى وانما هى داخلة تصوغة وتحدده بقدر ما تقيمه وتشكله ٠

فاللغة ليست شيئا خاصا بفرد ـ بل ملكا مشتركا ، بين المرء وشعوره ، بين الشعور كحالات واحساسات وبين ابرازها كاحداث بين المعنويات والماديات بين الانسان والعالم ، ومن هذا كان اشتراك لفظ العقل واللغة أو « النطق » أو « القول » فى اليونانية كما اشار الفارابى ٠ والفلاسفة الرواقيون كانوا يرون كبعض الفلاسفة المعاصرين ان الفكر واللغة متطابقان ـ وان اللغة ليست مقصورة على الاصوات المتعاقبة التى تحدثها القوة الصوتية بواسطة الحلقوم والتى يستطيع فم الانسان أن ينطق بها كما تستطيع الكتابه أن تمثلها ـ فان مثل هذه الاصوات قد لا يكون لها معنى ما ومن ماهية اللغة أن تعبر عن معنى ، بل ان اللغة توجد ولو لم يكن هناك كلام ملفوظ فهناك « كلام داخلى » نفسانى يكفى لاستعمال الفكر وليس « الكلام الخارجى » الملفوظ سوى مظهر من مظاهره ٠

---

١٣) د٠ عثمان أمين : « الفلسفة الرواقية » ـ ط٢ القاهرة ١٩٥٩ ص١١٩ ـ ١٢٠ ٠

اللغة هى « الواسطة » العظمى والصغرى فى الغياب وفى الحضور فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون اللغة تعبير « الانا » ونداء للاخرين ـ أى دعوة ودعاء • فالمرء يعطى كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام مسئولية ورجل لا كلمة له ـ رجل ينقصـــه الضمير ونعنى ان انسنيته غير كاملة ـ فالكلام يرتفع من حركة التعبير الى مستوى العناصر « الانطولوجيه » ربما استطعنا ان نقول « الانسان جسم وروح ولغة » (١٤) •

ان اللغة ـ داخل هذا اطار ـ تعتبر ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضرورات كل مجتمع لانها اهم وسيلة يلجأ اليها ليتم التفاهم بين الأفراد فيما يتصل بحياتهم اليومية والاجتماعية والادبية والفنية •

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والحضارة أو الثقافة ولقد درج الكتاب على الكلام عن « لغة الحضارة » وكيف ان حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيرا واضحا وصادقا من الفاظ ومصطلحات اللغة السائدة فى المجتمع الذى توجد فيه فمفردات اللغة والأساليب والتصورات وبناء الجمله والتراكيب اللغوية والتشبيهات والاستعارات وما الى ذلك فى المجتمع الصناعى الحديث الذى يتميز بتعقيد نظمه الاجتماعية والاقتصادية وبشعور اعضائه بمفرديتهم الذاتية ـ تختلف اختلافا جذريا عن مفردات اللغة وبنائها واساليبها فى المجتمع البدوى الذى يعيش على الرعى والترحال والذى يرتبط الفرد فيه ارتباطا وثيقا بالجماعة القبلية التى ينتمى اليها بحيث تكاد شخصيته تفنى وتذوب تماما فى تلك الجماعة وهذه مسالة كثر الكلام فيها ـ على حد تعبير الدكتور احمد ابو زيد (١٥) ولكن حديثنا عن الاعلام واللغة يرتبط بما يمكن ان يسمى « حضارة اللغة » هى فكرة مستعارة من عبارة عارضة ورد فى محاضرة للفيلسوف الرياضى الفرد نورث وايتهيد ونشرها فى كتاب بعنوان « انماط الفكر » ونعنى بانه ثمة حضارة معينه هى حضارتنا الانسانية يرتبط وجودها ارتباطا قويا باللغة بحيث يمكن القول انه لولا وجود اللغة لما قامت هذه الحضارة أو لظهرتحضارة أخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة ـ فالجنس البشرى يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحيه ـ بما فيها القردة العليا التى تعتبر اقرب الكائنات العضوية الينا ـ بالفكر واللغة وعلى الرغم من ان القردة العليا بالذات تعيش فى تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض

---

١٤) مجلة « دعوة الحق » ع٥ م٦ ـ ١٣٨٢هـ المغرب ص٩ •
١٥) نفس المرجع ص١٤ •

الحركات ومحاكاة بعضها فانها تفتقر الى اللغة والى الحضارة بالمعنى الذى نفهمه نحن من هاتين الكلمتين ·

ومن هنا تختلف الثروة اللفظية من لغة الى اخرى ، بل فى اللغة الواحدة تختلف هذه الثروة اللفظية من عصر الى اخر بالنسبة لحياة اللغة نفسها ـ ذلك انه بقدر ما تزيد حاجيات المجتمع وتثرى معانيه يزيد عدد هذه المجموعات الصوتية حتى تكون متجاوبة تماما مع هذه المعانى وتلك الحاجيات ·

وعلى ذلك تصبح اللغة ـ التى قال عنها ابن جنى فى « الخصائص » والجرجانى فى « التعريفات » انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ـ هى اداة التفكير الانسانى ـ فالقاموس اللغوى الذاتى يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهاته كما تصبح اللغة بالنسبة للاعلام « الرسالة » التى يتم من خلالها نقل الافكار والاراء والمعلومات من المرسل الى المستقبل·

فهناك من المجتمعات الانسانية من لايزال يعيش فى عالم المادة وفى دنيا الامور الحسية ـ لذلك لا يحتاج الا الى عدد محدد من الالفاظ اللغوية تسد حاجة عدد محدود فى دنياه وتتجاوب مع ما يدور فى عالمه ، وهناك من استطاع لعوامل مختلفة ـ ان يظفر بدرجة من التطور والتقدم فكريا واجتماعيا وادبيا فنراه يضيف الى عالمه المادى ودنياه الحسية امورا اخرى تتصل بعالم روحى أو معنوى فيضع لذلك الفاظا جديدة من اصوات اخرى ـ على ضوء تجربته ـ *تشرح مدلول هذه الامور النفسية أو الروحية* أو المعنوية (١٦) ·

من ذلك نجد أنه لا غرابة حين نسمع عن اللغة انها مرآة للمجتمع الذى يتداولها أو حين نسمع عنها أن تطورها رهن بتطور المجتمع بحيث تتجه اهداف اللغة فى اتجاهين متضادين :

احدهما الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية الافكار والمشاعر ـ والآخرى الى داخل الذات ـ حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته وكمرحلة

---

١٦) د· حسن عونه : دراسات فى اللغة والنحو العربى ـ القاهرة ١٩٦٩م ص ٨

لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف الثالث .. وهو الهدف الاجتماعى والترابط الانسانى والتفاهم البشرى (١٧) . وقد احصى العالم أولبرت « وظائف اللغة الاجتماعية » فقال :

١ ـ انها تجعل للمعارف والأفكار البشرية ـ قيما اجتماعية بسبب يقوم على استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاربه .

٢ ـ وانها تحتفظ بالتراث الثقافى والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل.

٣ ـ وانها عبارة باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ـ تعينه على تكييف سلوكه وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

٤ ـ وانها تزود الفرد بادوات التفكير ـ وما وصل المجتمع البشرى البصير الى ما هو عليه الان ـ بدون التعاون الفكرى لتنظيم حياته .

ولا يتاتى هذا التعاون الفكرى الا بالتفاهم وتبادل الأفكار بين افراد المجتمع والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هى اللغة الاعلامية بمستواها العملى الاجتماعى .

فاللغة الاعلامية اهم مظهر للمحافظة على كيـان المجتمع ، فوحـدة الغايات والمبادىء تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال ـ وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك سيدل على هذا الشىء أو الفعل (١٨) وبذلك تلعب اللغة الاعلامية دورها كرموز مشتركة متفق عليها من كافة أفراد مجتمع اللغة الواحدة .

تطبيقات المنهج الاعلامى فى اللغة :

وتأسيسا على هذا الفهم ـ فان المنهج الاعلامى فى بحث اللغة ـ يسهم فى الكشف عن أساليب الدعاية عن طريق تحليلها الى فئات مثـل التحليل اساس الموضوع أو الصياغات المختلفة للمضمون أو على اساس الدعوى أو مقصد الاتصال واثره ـ وقد ثبت ان تحليل الاتصال على اساس فئـات المضمون افضل من تحليله على اساس ما يفترض من مقاصده وآثار .

---

١٧) مجلة اللسان العربى ـ ع ٣ ص ٥٥ ـ الرباط ـ المغرب ١٣٨٥هـ
١٨) عبد العزيز عبد المجيد : اللغة العربية جـ ١ ص ١٩ ـ القاهرة .

وقد استخدم هذا الأسلوب فى تحليل الدعاية بالحرب العالمية الثانية وتبين منه وجود أربعة اهداف رئيسية لدعاية الحرب لدى الحلفاء ، هى : اثارة الكراهية لدى العدو ، والابقاء على صداقة الحلفاء ، والابقاء على صداقة المحايدين وضمان تعاونهم أن أمكن والقضاء على الروح المعنوية للعدو ٠

واستخدمت فئات أخرى فى تحليل الدعاية وهى ما يطلق عليه اسم « خدع الصنعة » وهى الحيل الخاصة المختفية التى لا يكون الناس عادة على وعى بها ـ ومن ذلك أن معهد تحليل الدعاية الامريكى قد اكتشف فى سنة ١٩٦٧ ان هناك سبع حيل رئيسية يستخدمها خبراء الدعاية فى تكوين رموزهم اللغوية للتاثير فى الناس وكسبهم الى صفهم ـ اما الحيلة الاولى فهى استعمال الفاظ التعميم البراقة لتهويش القارىء ، وأخذه على غرة بحيث يتاثر ببريق اللفظ الطنان ـ فيخدعه ذلك عن التفكير أو المطالبــة بالادلة والبراهين فهناك مثلا الفاظ الصدق ـ والشرف والحرية والتقدم التى تتناثر فى انحاء الجمل والعبارات وهناك ايضا الكلمات الدينية والقوميــة التى يتوسل بها الدعاة مثل الديمقراطية والاسلام والمسيحية والدين ـ والشرف والأمة والوطنية والحرية والقومية والانسانية وغيرها ٠

وقد تستعمل العبارات المجازية للتعبير عن موضوعات يريد الداعية الا يظهرها صراحة ـ فهناك مثلا « الانسحاب وفقا لخطة موضوعة ـ وهناك تقصير خطوطنا وقد استعملت هذه العبارة الأخيرة لتغطية مرارة الانسحاب فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وتستعمل احيانا عبــارة « عاشرته معــاشرة الازواج » للاشارة الى جريمة الزنا أو هتك العرض وكانت النازلة تروج لعبارة القوة عن طريق اللذة أو المتعة لتغطية جرائم الاباحية والانطلاق بين الشباب ٠

وتدور هذه الحيل حول اختيار موضــوع منــاسب وتثبيته فى ذهن الجمهور وتبسيطه له واطلاق اسم عليه واستخدام كلمات شاملة عامة وبراقة ونقل المعنى من سياق مقبول لآخر وخلط الأمور على الجمهور وتقديم الدعاية فى ظل معلومات أخرى يصدقها وأستغلال الظروف النفسية للجماهير التى تجعلهم اكثر تصديقا لما يقدم لهم ٠

ومن ذلك يبين ان الرموز لا تستعمل للابانة والوضوح والتفكير فحسب وانما تستعمل كذلك للخداع والآثارة والتعمية وايقاظ الغرائز فقد تستعمل اللغة للتعبير عن المعارف والأحداث بدقة ووضوح فهى لغة اخبارية ـ كما

هو الحال فى الرياضة والعلوم والاعلام ــ وقد تستعمل اللغة ايضا لاثارة العواطف والانفعالات فى نفوس الناس كما فى الدعاية ٠

فالرموز اما معرفية تؤدى الى معلومات ــ واما لا معرفية تؤدى الى انفعالات أو اوهام (١٩) ٠

وقد تمت بعض المحاولات لقياس حرص مختلف أنواع الدعاية الموجهة الى جماهير مختلفة من خلال وسائل اعلامية مختلفة فى نفس الوقت أو فى فترات زمنية متعاقبة ، على أثارة استجابات انفعاليه بواسطة رموز لا معرفية تختلف باختلاف نوع الجمهور ٠

اللغة الاعلامية ويسر القراءة :

كما اتجه المنهج الاعلامى الى دراسة الأسلوب الذى يؤثر فى قابلية اللغة الاعلامية للقراءة أو الفهم على اعتبار ان الرسالة الاعلامية هى العماد والأساس بحيث تختار الرموز الاعلامية وتقدم بعناية تامة فكان على المنهج الاعلامى أن يقيس قابلية الرموز المطبوعة او المذاعة للقراءة أو الفهم من حيث العوامل التى تميز الرموز التى يسهل أو يصعب قراءتها أو فهمها والاختلاف فى الأسلوب ــ ومدى سرعة القراءة لدى القارىء ومدى التركيز على الكلمات أو مجموعات الكلمات ومدى ما يستوعب فى ذاكرته من المعانى المؤقته حتى ينتهى من قراءة الجملة ــ وكان المنهج الاعلامى يركز فى البداية على الكلمة فى قياس قابلية القراءة فقسمت الدراسات الأولى القابلية لقراءة المواد الى نسبة الكلمات (السهلة) او الصعبة الموجودة كما تدل على ذلك قائمة مقننه للكلمات مثل قائمة ثورندايك ــ وفى السنوات التالية أضيفت عناصر أخرى لبحثها مثل ــ طول الجملة البسيطة والجملة الناقصة التى لا تحتوى على فعل ، والجملة ذات الفعل فقط ثم تبع ذلك ما لايقل عن ٨٢ عنصرا من عناصر الصعوبة التى زعم بحثها اختير منها أخيرا خمسة على أساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهى الكلمة السهلة والكلمات الصعبة المختلفة والضمائر الشخصية والجملة الناقصة التى تتضمن حرفا للجر وطول الجمله ووضعت فى لغة تعد تعبيرا مباشرا عن القابلية للقراءة على أساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة بسهولة وفى نفس الفسحة من الوقت تقريبا تضمنت صيغة أخرى منتشرة

---

١٩) د٠ امام والاعلام والاتصال بالجماهير ص٨ ٠

مجموعة أخرى من ثلاثة عوامل هى : طول الجمله والتفصيلات الشخصية وضمائر الوصـــل ٠

ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة ذلك انه يتحقق من صدقها عن طريق القارىء العام لاختبارات الفهم ٠ وهذا القــارىء يمثــل جماعات تعليمية مختلفة ـ لذا فهى تنطبق على القارىء العام أى الاهتمام العام ، ولا تضع فى حسابها اثرا لاهتمامات القارىء الخاصة على قابلية قراءاته للمادة ، فالقابلية للقراءة اذن تعتمد على اهتمام القارىء وخبرته ٠

اللغة الاعلامية والاطار الدلالى :

واذا كانت القابلية للقراءة تتوقف على اهتمام القارىء وخبرته فأن الرسالة الاعلامية تفقد قيمتها عندما ينعدم الفهم ٠ ان لكل جماعة ـ بل لكل عــدد مجموعة من التصورات والاتجــاهات تتحكم فى ســلوكه وفى نظرته للاشياء فالانسان يعيش فى عالمين عالم خارجى موضوعى وعــالم باطنى ذاتى هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجى أو مجموعة المفاهيم والدلالات٠

ولا يستطيع الاعلامى أن ينجح فى تحقيق هدفه الا اذا عرف هــذه العوالم الباطنية أو التطورات الخاصة أو الدلالات الحقيقية للاشياء فى ذهن المستقبله ـ ذلك ان لكل فرد عالمه الخاص وتصــوراته الذاتيــة المشــتقة من بيئته وثقافته بما فيها وسائل الاتصال المختلفة ٠

والانســان يميــل الى تنظيم المدركات ، وخــلع المعــانى عليها وفقــا لاطاره الدلالى أو مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة ولا يمكن للاعلامى أن ينجح فى اداء مهمته مــا لم يعرف حقيقة الاطارات الدلاليــة للجماعات والأفراد ٠

ويخطىء الاعلامى حين يظن أن ما يقدمه من معلومات أو افكار سوف تفهم بالطريقة التى يفهمها هو بها فهناك عقبات عديدة فى سبيل ذلك منها التحيز والتعصب والخرافات والاوهام كما أن هناك عقبات تنشأ عن عوامل السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية ٠

وعلى ذلك ـ فان عناية المنهج الاعلامى بدراسة الدلالة والاطار الدلالى هى عناية بالعوامل التى تؤثر فى معانى الكلمات وفى قواعد اللغة وأساليبها

فتؤدى الى اختلافها وتطورها ·· وما الى ذلك فى اطار الظواهر الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية والثقافية ·· الخ ·

يقول الدكتور أنيس (٢٠) :

واقصى ما يطمع فيه اللغوى هو ان يجعل الدلالة المركزية واضحة فى اذهان الناس ولذا يعمد الى ذلك القدر المشترك فيحدده ويشرحه فى معجمه مستعينا فى هذا بطبقة المثقفين من جمهور النـاس ومتخذا منهم نماذجه الدلالية فى ذلك المعجم ·

فالدلالة المركزية لكلمة مثل « الشجرة » تتضح فى ذهن الطفل منذ السنين الأولى من حيـاته وتظل واضحة فى ذهنه طول حيـاته دون زيادة كبيرة فى دلالتها المركزية معنا وتأخذ وضعا فى طفولتنا غير الذى تأخذه فى شبابنا ثم تستقر على حال معينة فى شيخوختنا ·

ومع اختلاف كثير من الناس فى تلك الدلالة المركزية لا يعوقهم هذا الاختلاف عن التفاهم وتبادل وجهات النظر لانه خلاف فى نسـبة الوضوح لتلك الدلالة فهى عند بعضهم أوضح منها عند آخرين ولكنها على كل حال واضحة وضوحا كافيا عندهم جميعا ·

اما الدلالة الهامشية فهى تلك الظـلال التى تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وامزجتهم وتركيب اجسامهم ، وما ورثوه عن آبائهم واجدادهم ـ فالمتكلم ينطق باللفظة امام السامع محاولا بهذا أن يوصل الى ذهن السامع دلالتها فتبعث تلك اللفظة فى ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها هذا السامع من تجاربه السابقة ويفترض بعد سماعها ان ما دار فى خلد هذا المتكلم يطابق تمام المطابقة ما يجول فى ذهنه ولم يقف على حدود دلالته وما حولها من ظلال أو هالة ، وانما بنى فهمه واسسه على تجاربه هو وفهمه الخاص لمثل تلك اللفظة ·

فهناك شاب يسمع لفظ (المسدس) ويدرك من توه دلالته المركزية ولكن هذا اللفظ لا يكاد يثير مع دلالته المركزية شيئا من ظلال المعانى أو ربما يذكره بطفولته وملاعب صباه حين كانت له لعبة صغيرة فى صورة

---

٢٠) اتحدنا فى توضيح المركز والهامش فى الدلالة على كتاب « دلالة الالفاظ » للدكتور ابراهيم انيس ـ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٦ ـ ص١٠٧

المسدس يطلقها فى الهواء فتبعث شررا او تقذف قطرات من الماء لداته من الاطفال ، والجميع يضحكون ويمرحون وهو بلعبته فخور مسرور -

وهناك شاب آخر مر به فى حياته حادث اليم راى فيه مجرما اثيما يصوب مسدسا نحو ابيه أو احد اقاربه ثم يطلقه فينبعث منه طلق يدوى فى انحاء المكان ويخر الأب بعده صريحا تتدفق الدماء من صدر فلفظ المسدس امام هذا الشاب لا يصور تلك الدلالة المركزية وحدها بل يبعث فى ذهنه صورة بغيضة مؤلمة تختلف كل الاختلاف عن تلك التى تجول فى ذهن زميله الآخر ٠

ولفظ « البنسلين » امام قروى صحيح البدن ان دل على شىء فانما تقتصر دلالته على نوع من الدواء سمع عنه أو رآه ولكن نفس اللفظ يقع من اذن المريض وقعا آخر بعد ان جرب آلام الحقن عدة مرات وقاسى عذاب المرض زمنا فاحيط لفظ البنسلين فى ذهنه بظلال من المعانى لا اثر لهـا فى ذهن القروى ٠

واصحاب الأمزجة المرحه يسمعون لفظ « الموت » فلا يفزعهم فى حين أن المتشائم يحفل لدى سماعه ـ وترتعد فرائصـه وقد يتصـور ملاك الموت مقبلا عليه فى صورة بشعة مخيفة ٠

من أجـل هذا اختلفت الدلالة الهامشـية باختـلاف تجارب النـاس وامزجتهم وما ورثوه من اسلافهم ٠

فبينما تجمع الدلالة المركزية بين الناس تفرق بينهم الدلالة الهامشية وبينما تساعد الأولى على تكوين المجتمع وتعاونه وقضاء مصالحه قد تعمل الثانية على خلق الشقاء والنزاع بين أفراده ولكن الناس فى حياتهم العامة يعتمدون على الدلالات المركزية ويكتفون بها عـادة وهو من يمن الطالع أو رحمة الخالق بعباده والا كانت الحياة جحيما لا يطاق ٠٠ كلها شقاق ونزاع وسوء فهم بعضهم لبعض ٠

وتسود الدلالة الهامشية فى بعض مجالات الحياة وتصبح حينئذ شرا مستطيرا لبنى الانسان واوضح مجال للدلالة الهامشية المجال السياسى ٠

الدلالة فى المجال السياسى :

هنا تفرق الدلالة الهامشية بين الانسـان واخيه الأنسـان ٠٠ وتنفر الشعوب بعضها من بعض وتقيم بينهم اسوارا أو حواجز ـ بل قد تدفعهم الى

الحروب وويلاتها فالديمقراطية كنظام سياسى يفهمها الروسى فهما مباينا لفهم الامريكى لها والاشتراكية عند الانجليز غيرها عند الالمان أيام هتلر والحرية لدى هؤلاء وهؤلاء تتخذ مظاهر متباينة ٠

ويعمد السياسيون أحيانا الى شحن تلك الالفاظ السياسية بقدر كبير من الدلالات الهامشية ويستغلونها اسوأ استغلال فى دعاياتهم وفرض ارائهم وعقائدهم على جمهور الناس فالفدائى يجعلونه ارهابيا والوطنى قد يصفونه بالمتهور المتعصب والهزيمة يصورونها فى صورة النصر المبين ٠

فالفاظ السياسة فوق أنها الفاظ كاذبة الدلالة فى غالب الأحيان تحاط عادة بهالة من الدلالات الهامشية التى تؤثر فى عقول الناس ونفوسهم وتوجههم توجيها معينا نحو الخير حينا ونحو الشر أحيانا ٠

واذا صح ما يقوله بعض علماء الفرنسيين من ان الانسان انما يتكلم ليخفى ما يدور فى ذهنه فليس ينطبق هذا القول على شىء مثل انطباقة على لغة السياسة ومؤتمرات السياسيين ففيها يحتدم النقاش ويشتد الجدل حول مدلولات الالفاظ لانها شحنت فى اذهان المؤتمرين بظلال من المعانى تفرق بين وجهات النظر وقد تؤدى الى فشلهم فى الوصول الى حل من الحلول ٠

وفى مثل هذه المجالات السياسية لا تحقق اللغة الهدف الأساسى لها بل تصبح نقمة على بنى الانسان وهى التى اريد بها ان تكون نعمة لهم ٠

ولا تفشل المؤتمرات السياسية لتباين العقائد والمبادىء وحدها بل كثيرا ما تفشل لتباين دلالات الالفاظ وما تتضمن فى الاذهان من دلالات هامشية مختلفة ٠

الدلالة امام القضاء والمحاكم :

تهدف الشرائع السماوية والقوانين الوضعية الى الوئام والتعاون وتبادل المصالح بين الناس ولكن الناس لا يزالون يختصمون لما فطر عليه بعضهم من شر أو أنانية ولكن ذلك الخصام يزداد اشتعالا ويمتد لهبه نتيجة تلك الدلالات الهامشية التى تختلف فى اذهانهم وتباعد بينهم ويشهد القضاء كل يوم صراعا قويا ينشأ عن تلك الدلالات الهامشية فيحاول المشرع سد الثغرات وتحديد الدلالات ولكن هيهات ٠

حتى الالفاظ القرآنية تراها احيانا مثار النزاع فى تفسيرها بين الائمه وعلماء الشريعة فهم جميعا يقرأون « والمطلقات يتربصن بانفسهن قروء » ويختلفون فى مدلول « القرء » ويرتبون على هذا الخلاف احكاما شرعية .

ولعل رجال القانون يدركون اكثر من غيرهم اثر تلك الدلالات الهامشية فى النزاع بين الناس فيسمع القاضى للمتخاصمين وقد احتدم بينهما الجدل لا لشيء سوى ان أحدهما قد لون دلالته للفظ من الالفاظ بلون خاص واصطبغ هـذا اللفظ فى ذهن الأخر بصبغة اخرى ثم يحكم القاضى متأثرا فى حكمه بدلالته الخاصــة وفهمه الذى اكتســبه من تجــاربه الســابقة لا تجــارب المتخاصمين أوفهمهم .

وقليل من الالفاظ القانونية تلك التى تكتسب صيغة الاصطلاح فتصبح كالمصطلحات العلمية فى الهندسة أو الكيمياء أو الطب ــ وذلك لان الكثرة الغالبة من الفاظ القانونيين تتصل اتصالا وثيقا بحياة الجمهور ومعاشهم وتصف مشاكلهم وتدبر شئونهم وترعى مصالحهم ، فالفاظ الخطاب هى الفاظ القانون فى غالب الاحيان .. والقانونى يحاول فى تشريعه أن يحدد معالم تلك الالفاظ ويلقى فى هذا من العنت والمشقة الشيء الكثير ، ولكن الناس مع هذا لا يزالون يختصمون .

فالمشرع ينص على وجوب اعلان المدعى عليه فى موطنه قانعا بمثل هذا النص معتقدا أن كلمة الموطن ذات دلالة محددة فى اذهان النــاس ثم لا يلبث ان يخيب ظنه حين يجد المتقاضين يتنازعون حول هذه الكلمة التى لها فى اذهانهم ظلال من المعانى متباينة .

وليس من الضرورى أن نفترض المغالطة فى كل نزاع من هذا النوع فقد يكون النزاع حول مدلول اللفظ عن عقيدة وأيمان بين كل من المتخاصمين فالقضاة والمحامون يقضون نصف حياتهم أو حياتهم كلها فى صراع مع تلك الالفاظ ومدلولاتها وحدود تلك الدلالات فيوفقون حينا ويفشلون حينا آخر .

يقف الدائن ويعلن أن مدينه افلس ، فيصر الخصم على ان لا يسمى افلاسا . وهنا يشتد الجدل حول معنى « الافلاس » .

يقف المتقاضون فيدعى بعضهم أن المبلغ كان بمثابة تأمين ، فيصيح الخصم بل وديعه . أو انه بمثابة « عربون » فيقول الخصم بل هو « خلو رجل » .. ولذا لاندهش حين نقرأ تلك المذكرات المسهبة التى يحاول فيها

القانون شرح لفظ من الالفاظ وتحديد دلالته · فعملية النصب قد يفسرها المحامى أحيانا بانها لا تعدو ان تكون « كذبا جاز على عقل أحد المغفلين ولا يحمى القانون أمثال هؤلاء المغفلين » ·

بل قد تكون الدلالة للفظ من الالفاظ مسألة حياة أو موت ، فكلمة العمد تكون ركنا أساسيا فى الجنايات الخطيرة ·· فاذا اقتنع القاضى بنية العمد فى سلوك الجانى فقد يدفع به الى حبل المشنقه والا تحولت الجناية الى جنحة وعدت الجريمة من قبيل الخطأ · ولكن هل من اليسير تحديد معالم تلك الدلالة المجردة فى كلمة « العمد » اليس مرجعها أولا وقبل كل شىء الى النيه والى الضمير ؟ ولا غرابة اذن حين يثبت ركن العمد عند قاض وينتفى عند آخر فى نفس الجريمة لا ن دلالة العمد فى ذهن كل منهما متاثرة بتجاربهما الخاصة وبتلك الظلال الهامشية التى تختلف باختلاف الناس ·

ففى كل يوم نقرأ على صفحات الجرائد عن جدل ثار امام القضاء حول تفسير لفظ أو مدلول كلمة · ولما صدر قانون التشرد حار رجال القانون فى تحديده وتكييفه حتى استقرت دلالته أو كادت بعد حين من الزمن ·· ومنذ صدور قانون القمار والمحاكم فى صراع حول حدوده ·· ولا يزالون حتى الان يختلفون فى مدلول « القمار » الذى عناه الشرع واوجب تحريمه ·

وعلى قدر ما يتاح للمرء من تجارب تصطبغ دلالتـه بصبغة خاصـة وتتلون بلون خاص وتحاط بظلال من المعانى لا يشركه فيها غيره من الناس ·· وتصبح وقد شحنتها تلك التجارب بما نسميه بالدلالة الهامشية ·

وليست تقتصر تلك التجارب على الاحداث وفرص السماع ـ بل ان الرقى العقلى وما يكتسـبه المرء من علم ومعرفة ، وما يتـاح له من فرص ثقافية ، كل هذا يترك أثرا قويا فى دلالته ويصبغها بصبغة متميزة ، فليست كلمة « البيع » فى ذهن البائع المتجول تؤدى ما تؤديه فى ذهن استاذ كنجيب الهلالى الذى اخرج لنا كتابا ضخما جعل عنوانه « البيع » وعالج فيه تلك العملية الشرائية التى تتم بين الناس صغيرهم وكبيرهم فى كل لحظة من لحظات النهار وطرفا من الليل ·

وهل « الملكية » فى ذهن رجل أمى من أصحاب الاملاك أو الضياع هى « الملكية » التى كانت فى ذهن الدكتور كامل مرسى حين الف كتابة المشهور وجعل عنوانه « الملكية » ·

والدكتور انيس يشــير هنــا الى وقائع معينة او قضــايا مشــهورة كانت فيها الدلالة محل نزاع وجدل فى تاريخنا الحديث ٠

فلنتذكر مثلا محاكمة الشيخ عبد العزيز جاويش بسبب مقاله المشهور فى ذكرى دنشواى وما فيه من الفاظ فهمتها النيابه على انها « اهانه » وفسرها الدفاع على انها من القذف المباح ٠٠ وان ما ثار فى تلك المحاكمة من جدل ونقاش بين النيابة والدفاع حول مدلول الالفاظ لما يثير الدهشة والعجيب ٠ ولنتذكر ايضا كتــاب « وطنيتى » للشيخ الفاياتى ومحاكمة محمد فريد والشيخ جاويش لكتابتهما مقدمة لهذا الكتاب ، وما ثار فى هذا الشأن من نقاش وتأويل وتجريح مرة على لسان النيابة واخرى على لسان الدفاع ٠٠ ولنبتسم معا لتلك العبارة التى جاءت مرتين على لســان النيابة ٠٠ ولنتساءل ماذا كان النائب يعنى بقوله (٢١) (وهل من اصالة الرأى انهاض الهمم ؟ افلا يدل هذا على أن الجماعة انما قصدوا انهاض الهمم) ٠

ولعل الامام ابا حنيفة حين اشترط لنفاذ عقد الزواج أن يكون الزوج كفئا لم يخطر فى ذهنه أن الناس يختلفون من بعده فى مدلول « الكفاءة » وحدودها ولم يخلف لنا ذلك الامام المشهور من معالم تلك الصفة التى يجب أن تتوفر فى الزوج سوى لفظ الكفاءة ٠٠ وترك الناس بعده يذهبون فيها كل مذهب الى ان كانت تلك القضية المشهورة فى تاريخنا الحديث حين تزوج الشيخ على يوسف صفية السادات واعترض ولى أمرها على هذا الزواج وقد شغلت هذه القضية الرأى العام شهورا فيها كان الناس يتساءلون عن معنى الكفاءة وحدودها ، وعما اذا كان من المقبول المعقول ان على يوسف كاتب مشهور من كتاب مصر ـ وصاحب جريدة المؤيد بأنه غير كفء ؟ ولم يشفع له انه استحق التكريم من حاكم البلاد فمنحه الباشوية ولم تشفع له شهرته السياسية ولا ثقافته ولا ماله ٠

ومثل هذه القضية ترينا الى أى حد يمكن أن يختلف الناس فى دلالات الألفــاظ عن هوى حينا وعن ايمان وعقيــدة حينا آخر ، والدلالة فى كلتا الحالين قــد شحنت بظلال من المعانى واحيطت بصفات هامشية يستمسك بها كل فرد ٠٠ ويناضل عنها نضال المستميت ٠ (٢٢)

---

٢١) المرافعات فى أشهر القضايا لمحمود عاصم صفحة ١٠٨ المجموعة الثــانية ٠
٢٢) نفس المرجع ٠

ويقول الدكتور أنيس :

« كنا فى لندن سنة ١٩٣٦ حين ابرمت المعاهدة المشهورة ودعى أحد الصـحفيين المصريين لالقاء محاضرة فى النـادى المصرى ولا ادرى ما اذا كان هو الذى اختار عنوانها ، او اختارته له اللجنة التنفيذية للنادى وكان عنوان المحاضرة على كل حال (واجبنا بعد المعاهدة) فتصدى له الاستاذ / (ق) وحاول ان يوجه المناقشة نحو البحث فى نصوص المعاهدة معلنا انه من المستحيل ان نعرف واجبنا بعد المعاهدة ما لم ندرس المعاهدة ذاتها ٠٠ ونتعرف على مزاياها ونقائصها ٠

« وكان من المعروف حينئذ عـن هذا الاسـتاذ انه مـن المعارضـين للمعـاهدة فتكهرب جو المحـاضرة وخشـى رئيس النـادى والمشرف على المحاضرة الدكتور (م) ان يتورط الاعضاء فى نقاش سياسى معارض قد تكون عاقبته وخيمة ٠

فحال بين الاستاذ (ق) ومنعه من الاسترسـال فى الكلام ٠٠ فكان بينهما نقاش حاد تبودلت فيه بعض العبارات القاسية ، وانصرف الاستاذ (ق) مهددا متوعدا ٠

ثم انعقدت اللجنة التنفيذية لتنظر فى أمر الاستاذ / (ق) بوصـفه عضوا من الاعضاء ، ورات ان قانون النادى يسمح له باحالته الى مجلس تأديب ما لم يعتذر عما صدر منه ٠

واصر كل على موقفه ـ واسـتحال التفاهم وتطور الأمـر ولم يعتذر الاستاذ (ق) وقررت اللجنة تنفيذ نصوص القانون ٠٠ وكان لهذا القانون صـورتان احداهما بالعربية واخرى بالنجليزية ترجمت « مجلس تأديب » بالعبارة الانجليزية Disciplinary Council ٠

واحيـل الاسـتاذ (ق) الى مجلس تأديب ووضـع القرار فى لوحة الاعلانات بالنادى كما هى العادة فى كل قرارات اللجنة التنفيذية ٠

وهنا رفع الاستاذ (ق) أمره الى القضـاء الانجليزى مدعيا ان فى اعلان هذا القرار تشهيرا به وقذفا فى حقه ترتب عليه خسارة مادية وادبية

ـ فهو بوصفه من اصحاب الاعمال فى لندن ، واصحاب السمعة الطيبة بين المتعاملين قد لحقه من هذا الاعلان ضرر بليغ فى سمعته وما له ·· وكلف (السير ستافرد كريبس » باقامة الدعوى على اعضاء اللجنة التنفيذية الخمسة ـ وكلهم الآن فى مراكز كبيرة ·· متضامنين مع مدير البعثات حينئذ والمستشار السياسى للسفارة المصرية (ع·ح) ·

وكان اهم ما استند اليه الاستاذ (ق) فى دعواه ان كلمة « تاديبى » تناظر الكلمة الانجليزية Punifive فى راية مهينة فيها قذف وتشهير ·

وظلت القضية ثلاث سنين حار فيها القضاء الانجليزى بصدد ترجمة كلمة « تاديبى » الواردة فى الاعلان هل هى Punitivegi Disciplingry وانتدب للشهادة بعض المصريين من المتخصصين فى اللغتين العربية والانجليزية ـ فلم يجمعوا على رأى ، واختلفت وجهات النظر او بعبارة اخرى ظهر ما لدى كل فريق من دلالة هامشية ازاء هذه الكلمة وتحملت الحكومة المصرية الافا من الجنيهات فى هذه القضية العجيبة ، كما تحمل الاستاذ المدعى الافا اخرى وانتهت القضية بان تدخل بعض اعضاء البرلمان الانجليز من اصدقاء الطرفين للتوفيق بين فريقين من المصريين فى لندن ·· وكانت اجتماعات ومداولات شهدتها حجرة خاصة فى البرلمان الانجليزى ، ثم تصافى الفريقان ، وتنازل الاستاذ عن قضيته دون الاهتداء الى رأى حاسم قاطع فى دلالة كلمة تاديبى ·

من كل ما تقدم نرى كيف تسيطر الدلالة الهامشية على اذهان بعض الناس وكيف تثير بينهم النزاع والشقاق وكيف فشلت اللغة فى اداء مهمتها حين استعملت فى المجال السياسى او فى فض المنازعات القضائية وكيف يمكن ان تسمى الاشياء بغير اسمائها او يزاد او ينتقص من دلالتها · وسواء كانت تلك الدلالة الهامشية سببها الهوى والغرض او عن عقيدة وايمان فهى تتصل اتصالا وثيقا بما يسميه علماء النفس بالعاطفة ·

وقد احس الفلاسفة قديما وحديثا بغموض الدلالات وان الالفاظ سرعان ما تتحكم فى تصور الناس للاشياء مما ساعد السفسطائيين القدماء على استغلال ذلك الغموض فى الدلالة فتمكنوا عن طريقه من هدم حقائق العلم ومبادىء الاخلاق بل استطاعوا تاييد موضوع ما ومعارضته فى وقت واحد ·

ولذا دعا « ارسطو » الى تحديد معانى الالفاظ وتعرف مدلولاتها على وجه دقيق حين كان يناقش موقف السفسطائيين ·

وليست تلك الدلالة الهامشية كلها شرا فقد تكون سببا عن اسباب المتعة لبنى الانسان حين يستغلها الادباء والشعراء الذين لا يقنعون فى غالب الاحوال بتلك الدلالات المركزية ويعدون ما يقتصر عليها من الاساليب ـ اسلوبا علميا لا يهدف الا الى ايصال الحقائق دون زيادة أو مغالاة ٠

فكلمة الربيع ٠٠ حين يقتصر فى شانها على الدلالات المركزية تصبح كما يصفها علماء الطبيعة بقولهم مثلا « الربيع احد فصول السنة يحل لأسباب طبيعية خاصة وفى شهور معينة وتصحبه خضرة فى الاشجار واعتدال فى الطقس » ولكن الربيع فى رأى الاديب حين يستغل عاطفته ويشحن دلالاته بصفات هامشية يصبح شيئا آخر (٢٣) ٠

فالدلالة الهامشية هى المسئوله عن روائع الاداب وهى التى خلقت علما يسمى بالنقد الأدبى ـ الفت فيه الكتب ووضعت له الأسس والمقاييس ـ ويعرض اصحاب النقد العربى الى ما يسمونه بالذوق الخاص ولا شك ان ذلك الذوق الخاص يتاثر الى حد كبير بما نسميه بالدلالة الهامشية التى تختلف باختلاف الناس وتجاربهم أو أمزجتهم وعواطفهم وبيئاتهم ٠

ويتضح أثر الدلالة الهامشية فى تلك الامثلة الكثيرة التى يسوقها نقاد الأدب فى كتبهم ولاسيما حين ينصب نقدهم على دلالة لفظ من الالفاظ وفى كتاب الموشح للمرزبانى ٠٠٠ والموازنة بين الطائيين للآمدى والعمدة لأبن رشيق والصناعتين لأبى هلال العسكرى واسرار البلاغة للجرجانى والمثل السائر لأبن الاثير وغيرها أمثلة كثيرة نكتفى هنا بعرض طرف منها لتوضيح أثر الدلالة الهامشية فى الحكم على دلالة الالفاظ العربية ٠

١ ـ روى ان الاصمعى كان يعيب على ذى الرمة الشاعر قوله ٠

نفار اذا ما الروع ابدى عن الورى

ونقرى عبيط الشحم والماء جامس

---

٢٣) اصول النقد الادبى للشايب صفحة ٦٢ ٠

فيقول :

انما يقال للجامد من السمن وما اشبهه جامس فمدلول كلمة (جامس) فى ذهن الاصمعى مقصور على الدهن وما شاكله والماء المتجمد لا يقال له « جامس » ، فكيف تمت هذه الصورة فى ذهن الاصمعى الا عن طريق تجاريه مع نصوص اخرى تصادف ان سمعها وتاثر بها وتصادف ان استعملت فيها هذه الكلمة مع السمن والدهن ونحوهما من السوائل ٠٠ ولكن ذا الرمة الشاعر العربى قد تعود مع نفس الكلمة غير ما تعود الاصمعى ٠٠٠ ولعله عرفها فى نصوص اخرى وقد استعملت مع الماء ٠٠٠ او لعله خلع عليها من الدلالة الهامشية ما سمح له بمثل هذا الاستعمال ٠٠ فلكل من الرجلين تجاريه الخاصة ٠٠ ومزاجه الخاص ولا يشتركان الا فى الدلالة المركزية وهى تجمد السائل متخذا هذا التجمد فى ذهن كل منهما صورة معينة ٠٠ ولا يقال حينئذ ان احدهما اصاب وان الآخر اخطأ ولايصح ان تجعل احدهما أو غيرهما حكما فى مثل هذا الامر ٠٠ لان الدلالات الهامشية فى اى لغة من اللغات مسالة فردية شخصية لا تكاد تعرض لها المعاجم أو تعنى بها ٠

فالشاعر يصف قومه بحب الغارات وشنها كلما اثارت حرب بين الناس وانهم فى نفس الوقت كرماء يقدمون لضيوفهم أشهى الطعام فى ايام الشتاء حين يقل الخير ولا يجد الناس ما يسد الرمق ٠

٢ ــ وكان الاصمعى ايضا يعيب قول عدى بن الرقاع ٠٠
لهم راية تهدى الجموع كانها ٠٠ اذا خطرت فى ثعلب الرمح طائر
فيقول الراية لا تخطر انما الخطران للرمح ٠

٣ ــ وعاب النقاد على أبى تمام قوله ٠٠٠

رقيق حواش الحلم لو أن حمله   يكفيك ما ما ريت فى انه ثوب

فيقول احدهم ما علمت احدا من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقة وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ٠

٤ ــ وعجب احد النقاد لان ابا العتاهية مقدم بين الشعراء مع قوله :

رويدك يا انسان لا أنت تقفز

ورأى هذا الناقد ان كلمة « تقفز » لم تخرج من فم شاعر محسن فقط ·· فأى ثار بين هذا الناقد وهذه الكلمة الا ان تكون قد ارتبطت فى ذهنه بدلالة هامشية خاصة نتيجة تجاربه السابقة مما بغضه فيها وصور دلالتها فى ذهنه على صورة بغيضة كريهة لا تليق بالشعر والشعراء ·

فلما قال : أبو العتاهية فى نسيبه أو تشبيبه باحدى الحسان قوله :

انى اعوذ من التى شغفت ··· منى الفؤاد باية الكرسى

قال النقاد اية الكرسى يهرب منها الشياطين ويحرس بها من الغيلان ولا يخطر فى اذهانهم ، او بعبارة اخرى لم يسمحوا للشاعر ان يستمد من تجاربه الخاصة ومزاجه الخاص دلالة هامشية لهذه الكلمة تتباين ما عندهم ·

٥ ـ ولما حملت قطر الندى بنت خمارويه الى الخليفة المعتصم وكتب معها ابوها يذكره بخدمة سلفها امر الخليفة وزيره بالجواب عن الكتاب وكلف الوزير احد كتابه بالرد فغاب اياما واتى بنسخة يقول فيها « واما عن الوديعة فهى بمنزلة شىء انتقل من يمينك الى شمالك عناية بها وخياطة عليها » ·

ثم اقبل على الوزير معجبا بحسن ما وقع له من هذا وقال : تسميتى لها بالوديعة نصف البلاغة ، فقال الوزير ما اقبح هذا ، تفاءلت لامرأة زفت الى صاحبها بالوديعة فالوقيعة مستردة !!

فلكلمة الوديعة فى ذهن كل من الرجلين دلالة هامشية خاصة تتصل بتجارب كل منهما ولذا حسنت فى عين أحدهما وقبحت فى عين الآخر ·

ومما تقدم نرى ان قدرا غير قليل من احكام النقد الادبى مرجعها الى تلك الدلالة الهامشية التى تختلف باختلاف الافراد فى البيئة الواحدة وبعظم اختلافها باختلاف الناس فى البيئات المتباينة ـ فليست ريح الشمال لدى سكان جزيرة العرب كريح الشمال لدى المصريين ـ فهى فى شبه الجزيرة ترتبط بالبرد والجدب والعسر فهى بغيضة وكريهة لدى سكانها ولكنها محببة فى مصر تعد النوافذ والشبابيك وواجهات البيوت لاستقبالها والتمتع بنسيمها ·

الدلالة فى الأدب الحديث :

بصـــدد هذه الدلالة الهامشـــية يســـوق د٠ انيس مثلا هنا من الأدب الحديث لكاتب كبير هو الاستاذ عباس العقاد حين يحدثنا فى مقال ممتع نشر فى احدى الصـــحف الاســـبوعية عن كلمتى الســـعادة والخير فيقول : ايهما تتمناه لو اعطينا منافا ؟ نتمنى الخير أو نتمنى السعادة ؟ ونرجو ان نوصف بالاخيار أو نرجو ان نوصف بالسعداء ؟ بغير حجة الى اســتفتاء خــاص أو عام يمكننا ان نجزم بان الســـــعادة تظفر باكثر الاصــوات فى انتخابات الامنية المشتهاه ٠٠ وبغير حاجة الى استفتاء على الاطلاق يمكننا ان نقول اننا فى الواقع نختار اسما جذابا حين نختار السعادة ٠٠٠ وقلما نتريث أو نتدبر فى حقيقة معناه الى ان يقول « واذا تصــورنا الســـعادة فصورتها امامنا صـــورة فتاة حسناء تمتع الحس والنفس وتشـــبع اللذة والامل ٠٠ ولكننا لا نتصور الخير فى صورة انثوية ، ويناسب على الخيال انه يرسمه لنا فى صورة شيخ جليل مهيب الطلعة طويل اللحية ، ولعلنا نتصوره فى الصورة الانثوية ونخلع عليه سمة الامومة التى تتقاضانا الجد والادب ولا ترتضى منا ان نتلقاها باللعب والمزاح وشتان بين الصورتين ٠

اما بعد الروية فالامر يختلف ــ بعد الروية ترجح اصوات الخير على اصوات السعادة فى معركة الانتخابات فالسعادة فى تبرير الاكثرين نوبة فرح طاغية وليس مـــن طبيعة النوبـــات ان تدوم ٠٠ ونكاد ان نقول انهـــا كالطعام الحسن الشهى الذى نستحب مذاقه ٠٠ ولكننا نسأمه ونعافه اذا تكرر علينا ولم نذق معه شيئا يخالفه ، ولو لم يكن مقبول المذاق كما نتمناه والخير لا سامه فيه لانه حالة تحتوينا ولا نحكم عليها باحساسنا وانما تعترينا السامة من جانب الاحساس ٠٠ الى ان ينتهى من مقاله بقوله ٠٠ والشرق اذن ادرى بما يقوله فى أعياده وتهنئاته لانه يتمنى لابنائه الخير كل عام ولا يرتضيه ان تكون التهنئة بالعام السعيد ٠

تلك هى دلالة الخير عند كاتب كبير جرب من شئون الحياة تجارب كثيرة متنوعة قلما يشركه فيها غيره وتثقف بثقافات متباينة منها ما طبع بالطابع العربى الشـــرقى ــ ومنها ما اصطبغ بصبغة أوربية حديثة فكان له من مزيج الثقافات ووافر العلم والتجربة شخصيته المتميزة التى لونت مدلول كلمتى ٠٠ السعادة والخير على النحو الآنف الذكر ٠٠ ولكننا رغم تلك الصورة الممتعة التى صورها لنا الكاتب سنظل نختلف فى دلالة السعادة ودلالة الخير ٠

وأفراد البيئة اللغوية رغم اختلافهم فى تلك الدلالات الهامشية ٠٠ يشتركون فى احساس لطيف غامض يصعب تحديد مداه ولم يفطن له معظم اللغويين وهو ما نكتسبه من كثرة تجاربنا مع الالفاظ ودلالاتها من امكان التنبؤ بالدلالة او جزء منها لدى سماع الفاظ لم نسمعها من قبل ولم نتعلم شيئا عنها وذلك هو ما سماه الدكتور أنيس بوحى الاصوات (٢٤) ٠

نظرية فليش فى التجريد :

وافادة من هذه البحوث ـ اصبحت اللغة الاعلامية تفضل ان تكون مفرداتها خالية من ازدواج المعنى والتورية والغموض ٠٠ وقد صور لنا كورزبيسكى ومن بعده هاياكاوا عملية تجريد اللغة من عوامل الغموض والتورية ومحاولة التخصيص متحدثا عن « سلم التجريد » وهو السلم الذى يوضح مدى اختلاف مستويات التجريد ، وعلى سبيل المثال فان السلم يرتفع صعودا على هذا النسق :

أ) ان كلمة « بيسى » وهو اسم البقرة المحددة أو البقرة (١) يجعلها تختلف عن البقرة (٢) أو البقرة (٣) الخ ٠

ب) كلمة البقرة ٠

ج) كلمة « ماشية » التى تصنف البقرة « بيسى » مع سائر الحيوانات الأخرى التى تشاركها نفس الخصائص ٠

د) كلمة « الموجودات أو الاصول أو الممتلكات الزراعية » التى تصنف « بيسى » مع غيرها مما يشترك معها فى الخصائص ٠

هـ) كلمة « الأصول » ٠

و) كلمة « الثروة » وهى أعلى مستويات التجريد فى هذا السلم ٠

وقد اكتشف الدكتور رودلف فليش معادلة أو صيغة لقياس يسر القراءة أو ما اصطلح عليه بكلمة « الانقرائية » كما اكتشف معادلة أخرى لقياس الجاذبية الانسانية أو اهتمام الانسان ٠٠ وقد بنى معادلته الأولى عن الانقرائية على اساسين :

---

٢٤) د٠ ابراهيم انيس ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ ٠

الأول : متوسط طول الجملة ٠

الثانى : متوسط طول الكلمة محسوبا بالمقاطع ٠

اما معادلة الاهتمام الأنسانى او الجاذبية فهى مبنيه على اساسيين هما:

اولا : متوسط النسبة المئوية لعدد الكلمات الشخصية وهى جميع الاسماء المعبرة عن الجنسين وجميع الضمائر فيما عدا الضمائر المحايدة وكلمة الناس المستخدمة مع افعال الجمع ، وكذلك كلمة القوم او الأهل ٠

ثانيا : متوسط النسبة المئوية للجمل الشخصية ، وهى جمل المحادثة المنطوقة التى تقع بين علامات التنصيص او الاقتباس ، وكذلك الجمل المنتهية بعلامات الاستفهام او علامات التعجب ومثلها جمل الرجاء والطلب والأمر ، وكذلك الجمل الناقصة على اساس النمو اللغوى ولكن يمكن للقارىء فهمها من سياق الحديث ٠

ويضيف الدكتور فليش ان عامل الاجتذاب الانسانى او الاهتمام الانسانى يساعد على يسر الفهم ، ومن فوائده العظمى حث القارىء وتشويقه للقراءة ٠

ويبدا مقياس فليش من الصفر الى المائة بالنسبة لكل من الانقرائية والجاذبية ٠ ويبدا مقياس الانقرائية من السهل الى المتوسط الى الصعب للغاية ، كما يبدا مقياس الجاذبية من الممل الى المشوق الى الدرامى ٠

تطبيقات معادلة فليش : (٢٥)

ويفسر لنا فليش كيفية تطبيق معادلته على النحو التالى :

الخطوة الأولى : اذا اردت ان تختبر قطعة كبيرة من نص معين ، فيحسن استخدام العينات ٠ ويمكن اخذ ثلاث الى خمس فقرات من المقال ومن ٢٥ الى ٣٠ فقرة من الكتاب ٠ ولا ينبغى انتقاء عينات مثالية او

---

٢٥) د٠ امام : دراسات فى الفن الصحفى ص٦٥ ٠

ممتازة · ويمكن أخذ عينات منتظمة بمعنى اختيار الفقرة ٣ ثم ٦ ثم ٩ وهكذا بحيث تبدأ العينة من بداية الفقرة ·

الخطوة الثانية : تحصى الكلمات فى القطعة المختـارة كلهـا ، وفى حالة العينات تحصى الكلمات حتى المائة مع ملاحظة أن حروف الاختصار ، وعلامات الوصـل او الشرطة تعد كلمة ، كما تحسب كلمات جميع الأرقام والحروف الواقعة بين مسافات ·

الخطوة الثالثة : تحصى المقاطع فى المائة كلمة المختارة ·

الخطوة الرابعة : تحصى الجمل على أساس وحدات الفكر ، لاعلامات الوقف ·

الخطوة الخامسة : تحصى عدد الكلمات الشخصية فى كل مائة كلمة ·

الخطوة السادسة : تحصى الجمل الشخصية بالنسبة لكل مائة جملة·

الخطوة السابعة : استخلص يسر القراءة (ىق) باحصـاء عـدد

المقاطع فى مائة كلمة أى طول الجمل (طج) طبقا للمعادلة الآتية :

ىق (يسر القراءة) ·

٨٣٥ ، ٢٠٦ ــ ٨٤٦ طك ــ ٠١٥ ، ١ طج ·

الخطوة الثامنة : استخلص درجة الجاذبية الانسانية (جأ) بادراج النسبة المئوية للكلمات الشخصية (كش) والنسبة المئوية للجمل الشخصية (جش) طبقا للمعادلة الآتية :

جأ (الجاذبية الانسانية) = ٦٤٥ ، ٣ كش + ٣١٤ ، ٠ جش ·

وقاعدة الجاذبية الانسانية سوف تضع النص على المقياس الذى يبدأ من أقصى الجمل فى ناحية أقصى الدراما فى الناحية الأخرى مع وجود عنصر التشويق للمقارنة بينهما ·

وفيما يلى جدول فليش للجاذبية الانسانية

درجة التشويق	صفة الاسلوب	نوع المجلات	النسبة المئوية الكلمات الشخصية	النسبة المئوية الجمل الشخصية
صفر ـ ١٠	ممل	علمية	٢ فاقل	صفر
١٠ ـ ٢٠	مشوق نوعا	تجارية	٤	٥
٢٠ ـ ٤٠	مشوق	مختارات	٧	١٥
٤٠ ـ ٦٠	مشوق للغاية	مجلات متنوعة	١١	٣٢
٦٠ ـ ١٠٠	درامى	قصصية	١٧	٥٨ فاكثر

اما مقياس يسر القراءة فيتضح من الجدول التالى

درجة الانقرائية	صفة الاسلوب	نوع المجلات	المقاطع فى كل ١٠٠ كلمة	متوسط طول الكلمات فى جمل
صفر ـ ٣٠	صعبة للغاية	علمى	١٩٢ فاكثر	٢٩ فاكثر
٣٠ ـ ٥٠	صعب	اكاديمى	١٦٧	٢٥
٥٠ ـ ٦٠	صعب نوعا	رفيع	١٥٥	٢١
٦٠ ـ ٧٠	عادى	مختارات	١٤٧	١٧
٧٠ ـ ٨٠	سهل نوعا	قصص	١٣٩	١٤
٨٠ ـ ٩٠	سهل	قصص	١٣١	١١
٩٠ ـ ١٠٠	سهل جدا	قصص مصور	١٢٣ فاقل	٨ فاقل

طابع الأسلوب الاعلامى :

جذبت مشكلات الأسلوب الاعلامى الدارسين ، منذ تأكد للفن الاعلامى والصحفى وجوده ، فتناول الدارسون بالتحليل الكيفى اسئلة مثل :

ـ ما هو الفرق بين الأسلوب الاعلامى والأسلوب الادبى ؟

ـ ما هى الأغراض التى يهدف الأسلوب الاعلامى الى تحقيقها ؟

وتفيد دراسة الاسلوب الاعلامى من علم « الاسلوبيات » أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغة الحديثة ، ويعتمد هذا المنهج فى دراسة الاسلوب الاعلامى على المناهج اللغوية الحديثة · بل ان بعض الباحثين فى تحليل المضمون يذهب الى تجربة التحليل الكمى للاسلوب ، فاتجه هذا التحليل فى اتجاهات أربعة :

الاول : هو اللغة كلها ، وقد أجريت دراسات مختلفة للطابع العام لطريقة الكلام كتحليل بناء قواعد لغة معينة ، على أساس تكرار أنماط الاستخدام التى تظهر فى الكتابة والكلام ·

الثانى : هو التمييز بين أنماط الاسلوب فى الفقرات المختلفة ، وكان هذا مركز اهتمام أحدث التطبيقات وأشملها للتحليل الكمى للاسلوب الاعلامى وخاصة بالنسبة لمشكلات لغة الصحافة ·

الثالث : هو تمييز الأسلوب بنماذج الكلام ، أى بحث طابع بعض نماذج الكلام المكتوب بطريقة التحليل الكمى ·

والرابع : هو العادات والسمات اللغوية التى تميز شخصا ما ، وبخاصة كاتبا من رجالات الصحافة ، فحين نقول أسلوب العقاد الصحفى أو أسلوب الدكتور هيكل الصحفى مثلا تقفز الى اذهاننا بعض السمات التى ينفرد بها العقاد أو الدكتور هيكل ، لا كل العادات اللغوية التى يتميزان بها·

ومهما يكن من أمر هذا التحليل ، فانه يمكن القول بأن الهدف من وراء علم الاسلوبيات هو دراسة الأساليب الاعلامية المختلفة ، بحيث نشير الى الملامح اللغوية التى تميز الصيغ الشائعة فيها ، والى الصلة بين هذه الصيغ وبين وظائفها اللغوية من ناحية ، وبين المواقف الاجتماعية التى تستخدم فيها من ناحية أخرى . كما نفسر كلما أمكن ذلك ، العلة فى استخدام هذه الملامح

ونقابلها بالملامح البديلة فى الأنماط اللغوية الأخرى · ثم نصنف هذه السمات اما على اساس مميزاتها اللغوية من نحوية وصوتية ولفظية او على أساس وظيفتها فى السياق الاجتماعى (٢٦) أو على اساس العلاقة بين الاثنين معا ·

اما موضوع البحث الذى يتناول دراسة الأسلوب الاعلامى فهو أى شريحة من الكلام المذاع أو اللغة المطبوعة التى يمكن للمحلل اللغوى أن يعزلها من الفيض اللغوى المتدفق ثم يخضعها لمعايير البحث والتحليل ، سواء كانت هذه الشريحة عبارة او جملة او فقرة او نصا متكاملا ·

ويطرح الباحث فى الاسلوب الاعلامى عدة فروض :

ـ هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغ اللغوية وبين وظائفها فى الاسلوب الصحفى أو الاعلامى بوجه عام ، وبين الوظائف التى تؤديها هذه الصيغ فى السياق الاجتماعى الذى تستخدم فيه ؟

ـ هل يتعين علينا أن نفرق فى الوظيفة اللغوية بين ما يمكن أن نسميه « بالاسلوب المعرفى » أى الذى يؤدى الى معلومات ، وبين ما يمكن أن نسميه « بالاسلوب اللامعرفى » الذى يؤدى الى انفعالات وأوهام ، وبتعبير آخر هل نفيد فى دراسة الأسلوب الاعلامى من وراء التمييز بين الأسلوب المعرفى الذى يستعمل للتعبير عن المعارف والاحداث بدقة ووضوح ، وبين الاسلوب اللامعرفى الذى يستعمل لأثارة العواطف والانفعالات فى نفس المقياس ، وصفوة القول فى هذه المشكة ان دراسة الأسلوب الاعلامى تقتضى التمييز بين هذين النوعين من الاساليب لتنقية الاسلوب الاعلامى من الاستعمال التخديرى للغة السياسة والدعاية ، لان الاسلوب الاعلامى يستعمل التعبير العقلى الفكرى ، والمناقشة الواضحة الناضجة ·

وفى هذا الصدد ، يذهب علم النفس الحديث الى ان استعمال اللغة استعمالا عقليا واعيا ، هو الذى يخرج المدركات من مجال الغموض اللاشعورى ، الى حيز الوضوح الشعورى ، ويتفق وارد وستاوت فى انجلترا . ويرجسون فى فرنسا ، وكروتش فى ايطاليا ، على ان اللغة هى

---

٢٦) انظر مقال « اللغة ونظرية السياق » للدكتور على عزت ـ الفكر المعاصر ـ العدد ٧٦ ـ القاهرة ·

مجموعة الرموز التى تنقل المعانى من ابهام الاحاسيس الى نور الفكر · وفى رايهم ان الرموز المصورة لا يمكن ان تقوم مقام الالفاظ اللغوية ، لانها غامضة غير محدودة ، وان الرموز للتعبير عن الأفكار هى الكلمات اذا استعملت استعمالا عقليا واعيا ·

كما ان الفروق بين الأسلوبين تتعلق بمظاهر وظيفية مختلفة لكل من الاعلام والدعاية ، فاللغة الانفعالية اللامعرفية التى تخاطب الغرائز وتوقظها لا تزال مستعملة فى فنون الدعاية والاعلام · فالغرائز البشرية ، والانانية ، والخوف ، والغريزة الجنسية وغيرها ، هى الاهداف التى يسعى المعلن والداعية الى التاثير فيها (٢٧) ·

اما الاعلام ، بمفهومه العلمى ، الذى يلتزم بمسئولياته ازاء المجتمع والأفراد فانه يحجم عدد الرموز اللامعرفية ، واثارة الغرائز · وهو يساهم فى ترقية المجتمع ، ورفع مستوى الرأى العام وتنوير الناس ، بفضل استعمال الأسلوب المعرفى الذى يؤدى الى الوعى والتفاهم ·

كما تتضمن الفروق التى يضعها الباحث فى الاسلوب الاعلامى امامه اخيرا ، هل من الأفضل دراسة الملامح اللغوية فى اسلوب كاتب ما لذاتها ، بصفتها سمات تميزه عن أسلوب غيره من الكتاب ؟

او الاحرى أن نتقدم خطوة فى اطار علم الاتصال بالجماهير ، ونحاول ان نتبين دلالات هذه السمات اللغوية وآثارها ، سواء من وجهة نظر الكتاب او من ناحية تاثيرها على القارىء فنيا او اجتماعيا او سياسيا ، الخ ··

على اننا امام هذا الافتراض ، نجد مقاييس علم الاتصال بالجماهير تحرص على عدم تعرض معايير دراسة الاسلوب الاعلامى الى اكتشافات علم اللغة الحديث سواء فى مجال علم المفردات أو النحو أو الصوتيات او الدلالة ·

---

٢٧) نشره مالينوفسكى كملحق لكتاب اوجدن ورتشاردز المعروف ·
The Meaning of Meaning

اللغة الاعلامية ونظرية السياق (٢٨) :

يـرى مالينوفسكى أنه ينبغى علينا ان نربط ما بين دراسـتنا للغـة ودراستنا لانواع النشاط الاجتماعى والانسانى الاخرى ، وأن نفسر دلالة كل لفظ أو عبارة داخل اطار السـياق الحقيقى الذى تنتسب اليه ، واللغة بهذا المفهوم تقترب من المستوى العلمى الاجتماعى ، والذى نسـميه لغـة الاعلام ، لأنها تعـد نمطا من أنماط السلوك البشرى لا يؤدى مجرد وظيفة ثانوية ، بل يؤدى دورا وظيفيا خاصا به ، ولذا يعتقد مالينوفسكى أنه من العسير ترجمة الفاظ لغة ما الى لغة أخرى ، وكلما بعدت المسافة بين ثقافتين متباينتين زادت الصعوبة فى العثور على مرادفات غير هاتين الثقافتين ٠ واذا اردنا تعريف الترجمة فى شىء من الدقة فانها اعادة خلق اللغة الاصلية الى لغة أخرى مختلفة تمام الاختلاف ، ومن ناحية أخرى ليست الترجمة استبدال كلمة بكلمة ، بل هى من غير شك ترجمة سياقات باكملها ٠

وصفوة القول ، أن فصـل الناحيـة اللغوية للالفـاظ عن السـياق الاجتماعى والثقافى كما يذهب مالينوفسكى هو بين كل من علم اللغويات وعلم الاجتماع على حد سواء ، فاللفظ بالنسبة له هو عمل ذو قوة وفاعلية لا تقل عن أى عمل يدوى ، أو هو مؤثر يدفع للفعل ، مرتبط بالموقف الذى يحدث فيه ، وذلك ما حدا بمالينوفسكى أن يقول فى مقاله : « مشكلة المعنى فى اللغات البدائية » :

« يرتبط الكلام والموق فـارتباطا لا ينفصم ، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الالفاظ » ٠

وتجـد نظرية مالينوفسـكى هـذه ، صـدى فى كتـابات الفيلسوف ك٠ فنجنشتين الذى يقول فى كتابه « أبحاث فلسفية » :

تمكن معانى الالفاظ فى استخدامها ، وليس فى مقدور المرء ان يدرس كيف تستخدم لفظة ما ، بل عليه أن ينظر الى استعمالها ، ويتعلم من ذلك »٠

ويمكننا ان نقول ان نظريـة مالينوفسـكى فى السـياق ، من اصلح النظريات لدراسة اللغة الاعلامية ، ومن المفيد ان توظف لصـالح المنهج

---

٢٨) د٠ على عزت : نفس المرجع ص٧٦ ٠

الاعلامى فى اللغة ، لدراسة اللغة فى اطارها الاجتماعى · وذلك ان هذه النظرية ـ كما ذهب الى ذلك فيرث ـ اطار مناسب تنتظم فيه العناصر التى تضم الاشخاص والادوات والاحداث ، الى جانب عنصر اللغة الذى تقوم بينه وبين هذه العناصر الأخرى علاقات وتفاعلات هامة لا يمكن اغفالها عند دراسة الاحداث اللغوية ، على اعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية فى المحل الأول ·

ويقترح فيرث على اللغويين أن ينحوا فى دراستهم للظواهر اللغوية نحو تقصى العلاقات الداخلية لسياقات الموقف على هذا النحو :

أولا : دراسة السمات المميزة للأشخاص والشخصيات التى تساهم فى سياق ما ، مثل الاحداث اللغوية أو الكلامية التى ينطق بها المشتركون فى الموقف ·

وكذلك الأحداث غير اللغوية التى تصدر عن المشتركين مثل الاشارات والايماءات ، الخ ··

ثانيا : دراسة الاشياء والادوات ذات العلاقة بالموقف ·

ثالثا : اثر أو نتيجة الحدث اللغوى ·

ولقد ساهم مالينوفسكى وفيرث بدراسة السياق ، فى تشجيع الباحث اللغوى فى الاعلام حين يقدم على دراسة اللغة من الناحية النحوية والصوتية واللفظية الا يهمل « الموقف » بشخوصه ونظمه وعاداته ·

والرأى عندنا ان دراسة السياق فى لغة الاعلام تفيد فى فحص مضمون الاتصال فى مقابل الاهداف منه ، سواء كانت صريحة او ضمنية · كما تفيد فى تصحيح التأكيدات الخاطئة فى مضمون ولغة الاعلام على ضوء الهدف منه ·

وتساعدنا دراسة السياق فى لغة الاعلام على انشاء معايير وتطبيقها على الاتصال ، عن ثلاثة طرق :

أولا : تقويم الاداء بناء على معايير قبلية ، مثل تحقيق نوع من التوازن او وجود هدف اجتماعى :

ثانيا : تقويم الاداء بمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر ·

ثالثا : تقويم الاداء بمقارنة سياق المضمون بمعيار خارجي ليس من المضمون ·

وقد تم تطبيق المعايير القبلية على مضمون الموضوعات التى تناولتها الصحف فى بعض البلاد وفى فترة محددة وعلى طرق عرض هذه الموضوعات للتأكد من مقدار الالغاء أو التشويه أو عدم الدقة ·

وتوالت دراسات اخرى حول طرق معالجة العمل فى البرامج الاخبارية فى الاذاعة وطرق معالجة قانون معين فى عدد من الجرائد ، وطرق عرض الانباء المحلية فى مجلات الاسبوعية · ففى ان الاساس الثانى للتقويم يتضمن قائمة معايير داخلية لمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر · ففى دراسة « السلوك الاخلاقى وغير الاخلاقى لعدد من الصحف الممثلة للصحافة الامريكية تم تقويم الصحف على أساس معيار متوسط ، بين الاجتماعية والحسية لدى مجموعة من الصحف التى تهتم اهتماما كبيرا بالأنباء الاجتماعية » ·

واستمدت المعايير من تحليل مساحات عناوين الصفحة الأولى المخصصة لثلاثة موضوعات « شديدة الاجتماعية » هى (المشكلات الأجنبية، ودولية الولايات المتحدة ، والوطنية) وثلاثة موضوعات حسية هى (حماس المال ، والجيش ، المال والجنس) · وبطرح الأخيرة من الأولى نحصل على درجة واحدة لمقياس (الاجتماعية الحسية) لكل صحيفة ·· طبق هذا على اربعين صحيفة ورتبت تنازليا ، وقورن بينها على اساس ان هذا هو معيار تحديد أحسن صحيفة ·

ولا شك ان كفاءة المعايير المستخدمة والتى تستعين بدراسة السياق من شأنها ان تزيد من كفاءة تقويم وسائل الاتصال الاعلامية ·

نحو منهج عام لدراسة اللغة الاعلامية :

ونخلص مما سبق ، الى ان اللغة الاعلامية يمكن ان تفيد من دراسات علم اللغة بفروعه المختلفة ، وما تهتدى اليه من ظواهر لغوية ، وما تكشفه من بحوث فنية تفيد فى دراسة لغة الاعلام وتهذيب الفاظها وتوسيع نطاقها وترقية مفرداتها وادخال مفردات جديدة على مفرداتها ، وتدعيم خصائص

هذه اللغة الاعلامية من تبسيط وسلامة ووضوح ، واقتراب شديد من لغة الحديث الواقع الحى المثقف ، دون اسفاف أو هبوط الى العامية ٠٠ واستخدام اللغة العملية التى تعبر عن الحياة والحركة والعمل والانجاز هى اللغة الاعلامية المؤثرة حقا ٠

ولذلك فان المنهج العام لدراسة اللغة الاعلامية يولى وجهه فى مشكلاتها شطر علم اللغة ، ويستمد منه المعونة ، ويتوصل الى النتائج العلمية التطبيقية فى تطويرها عن طريق قوانين علم اللغة وقواعده ، ولذلك فان بحوث اللغة الاعلامية لا يمكن ان تنفصل عن بحوث علم اللغة ، ولكنها فى نفس الوقت تتصل اتصالا وثيقا بعلوم الاتصال بالجماهير ، وذلك ان اللغة الاعلامية لغة فن تطبيقى وليس فنا تجريديا ٠ والفن التطبيقى لا يقصد لذاته ، وانما يهدف الى تحقيق غايات معينة ، وان يؤدى وظائف محددة ، واللغة الاعلامية ترتبط بست وظائف رئيسية هى : الاخبار أو الاعلام ، والتفسير أو الشرح والتوجيه أو الارشاد ، والتسلية أو الامتاع والتسويق أو الاعلان والتعليم أو التنشئة الاجتماعية ٠ وليست اللغة الاعلامية مرتبطة بعلوم اللغة والاتصال بالجماهير فحسب ، بل ان بحوثها متصلة كذلك بشواهد وادلة متكاملة تقدمها المصادر العديدة فى الفلسفة وعلم النفس والفنون والبلاغة والادب وعلم الاجتماع والسياسة ، وعلم النفس الطبيعى والنماذج النظرية وآثار الاتصال ونتائجه ٠

وصفوة القول ان المنهج الاعلامى فى دراسة اللغة يتصل بكل طوائف العلوم ، غير ان صلته بافراد فصيلته ونعنى بها علوم الاتصال بالجماهير ، اشد من صلته بالطوائف الاخرى ٠

وعلاقة اللغة الاعلامية بعلم اللغة هى علاقة تاثير وتأثر ، فاذا كنا ننظر لعلاقة التاثر على النحو السابق ، فان علاقة التأثير بين اللغة الاعلامية وعلم اللغة ، هى علاقة التنمية اللغوية ، وأهم عوامل التاثير فى حياة اللغة ، ذلك ان اللغة فى مختلف مظاهر حياتها ــ شانها فى ذلك شان النظم الاجتماعية الاخرى ــ ترتبط ارتباطا وثيقا بما عداها من مؤثرات العمران ، ولعل أهم هذه العوامل التى تؤثر فيها وسائل الاتصال الاعلامية التى تعكس مقتضيات الحياة الاجتماعية وشئونها ، فهى تساهم فى نشأة كلمات لم تكن موجودة فى اللغة من قبل ، وفى هجر كلمات كانت مستخدمة فيها أو انقراضها انقراضا تاما ٠

ذلك ان وسائل الاتصال الاعلامية تعكس اهم العوامل التى تدعو الى نشأة كلمات فى اللغة ، كمقتضيات الحاجة الى تسمية مستحدث اجتماعى جديد ، سواء كان نظما اجتماعية واقتصادية ، او نظرية جديدة علمية أو فلسفية ، أو مخترعا ماديا جديدا ، الخ ...

فالاعلام فـن حضـارى لا يزدهر الا فى البيئـة الصـالحة للتقدم والتطور • ففى الصـحافة المصرية الحديثة ، نلاحظ انهـا قد ورثت ، عند ظهورها فى القرن الثامن عشر ، عن القرون السابقة اسلوبا عتيقا يميل الى التكلف ، ولغة ركيكة تميل الى البهرجة ، ثم اخذ هذا الاسلوب يتخلى شيئا فشيئا عن هذا التكلف ، حتى ظهرت صحيفة « المؤيد » فوجدنا انفسنا امام كتاب يميزون بين الاسلوب الادبى والاسلوب الصحفى وأخذ الفن الصحفى فى التبلور والتطور حتى وقتنا الحاضر • واذ ذاك وجدنا له لغة تبعد بعدا ظاهرا عن لغة الادب ، فقد استحدث الصحفيون الحاليون تراكيب جديدة لم تخطر للادباء أو اللغويين الأولين ، فبدلا من قولهم : انه لابد من توضيح المسالة توضيحا لا يدع مجالا للشك نجدهم يقولون : نريد ان نضع النقط فوق الحروف ، وهناك صفات ونعوت جديدة لا وجود لها فى الكتب القديمة مثل : الحقيقة الصارخة ، والاكذوبة البيضاء ، والليلة الحمراء ، والدعاية السوداء ، والغيرة الصفراء •

وفى موضع اخر من هذا البحث ، سنرى مدى الدور الذى يمكن ان يؤديه الاعلام فى التنمية اللغوية ، وحفظ اللغة ، وتوسيع نطاقها ، وتكملة نقصها ، وتهذيبها من نواحى المفردات والقواعد والأساليب وتسجيل آثارها ، واستخدامها فى مختلف أشكال وفنون التحرير الصحفى والاعلامى •

ونخلص مما تقدم جميعا ، الى ان المنهج العـام الذى يشـق طريقه لدراسة اللغة الاعلامية يعرف عددا من المناهج ينطلق من ثمار علم اللغة وينظر كذلك فى قضايا اللغة الاعلامية على هذا المنهج التقابلى وعلم اللغة المقارن ويمضى الى علم اللغة ويبحث فى العلاقات اللغوية فى الاعلام العربى المعاصر فى ضـوء علم اللغة الوصفى أو العلوم الاجتماعية والنفسـية ، التطبيقى •

والسير بهذا المنهج خطوات كبيرة ، يتوقف على التوصـية بعناية اقسـام الصحافة ومعاهد الاعلام باللغة العربية اهتماما كبيرا ببحث هذه اللغة بحثا علميا ينطلق من محاولة التصور ، التى اثبتناها فيما سبق ، نحو منهج عام

لدراسة اللغة الاعلامية وقيامها بوظيفتها ، فنحن نستطيع أن ننظر الى اللغة على اعتبار انها نظام من العلامات الصوتية ينشأ ويتطور مرتبطا بتاريخ الناطقين بهذه اللغة ، واستخدامها وسيلة للتواصل ووسطا للتفكير ومجالا للتعبير نحو الافكار والعواطف والمشاعر ٠

وعلى ذلك فان علم الاعلام اللغوى ، يشق طريقا جديدا متخصصا فى تأثير اللغة على الناس ، ويتحدد التواصل اللغوى فى مفهومه بعملية تبادل المعلومات بين الافراد والجماعات ، ويظهر هذا التواصل اللغوى على شكل عبارات أو تعبيرات شفهية او كتابية تتبادلها الاطراف فى موقف معين ، لغرض معين ، عن واقعة معينة ٠

والعلامات اللغوية هى العنصر الاساسى وهى وحدة تتالف من شكل صوتى (جسم صوتى) أو (دال) معنى (مضمون) أو (دلالة) ٠

والمقصود بمعنى العلاقة اللغوية : الصورة الشعورية التى تتم فى وعى الافراد المنتمين للجماعة اللغوية ، وهى صور متصلة بالشكل الصوتى المعين للعلامة ومرتبطة بها ارتباطا متعسفا ٠ اى ان العلامة اللغوية ليست هى الشكل الصوتى والصورة الكتابية المقابلة له فحسب بل لابد فيها من وجود رابطة تجمع بين ذلك الشكل الصوتى المادى والمضمون الشعورى الواعى وبهذا تكون العلامة اللغوية وحدة ذات شقين ٠

والعلامة اللغوية تتمثل بشكل مادى محدد فى كلمات ووسائل نحوية وصرفية تعبر عن العلاقات القائمة بين الكلمات ، أى انها تخلق من مجموعة الكلمات المتراصة فى احدى اللغات جملا سليمة من ناحية القواعد النحوية ، ولذلك فان الاعلام اللغوى ، يرتكز على دراسة هذا الشكل المادى للعلامة اللغوية كذلك ٠ كما يعنى بدراسة معنى الكلمة ، باعتبارها تعكس جزءا محددا من الواقع الموضوعى فى وعى الفرد المنتمى لجماعة لغوية ، ولان هذا المعنى عبارة عن فكرة ، وهذه الفكرة هى فى الوقت نفسه العنصر الاساسى من الصورة التى تعكس الواقع الموضوعى ٠

وتأسيسا على ذلك تتحدد الوظيفة الاجتماعية العملية للغة ، والتى يعنى بدراستها علم الاعلام ، لما تقوم به من دور كبير الان فى حياة العالم السياسية والتربوية ٠ ويزداد بوجه خاص فى عصر الصراع بين الاستعمار والتحرر وبين قوى الاستغلال والرجعية وقوى التقدم والتطور ٠ وان

الجانبين يتنافسان فى اجتذاب الافراد الى صفوفهم بحيث يحدد كل منهم موقفه من الصراع الدائر ويشركه فيه بدوره · وأقرب الوسائل التى يلجأون اليها فى سبيل ذلك هى الكلمة ·

لهذا كله يصبح من الزم الواجبات التى تواجه علم الاعلام اليوم ان يبحث فى اثر اللغة على تفكير النـاس وفهمهم للامور وتوجيه مشـاعرهم وارادتهم ومسلكهم العملى ، والدور الذى يمكن ان تؤديه وسائل الاعلام المختلفة فى احداث الاثر المطلوب ·

الفصل الرابع

اللغة الاعلامية

اللغة الاعلامية هى اللغة العربية الفصحى :

وتقدم اننا لا نعنى باللغة الاعلامية ، ما توصف به اللغة العلمية مـن تجريد نظرى ، انما نريد باللغة الاعـلامية انها لغة بنيت على نسـق عملى اجتماعى عادى ، فهى فى جملتها فن يستخدم فى الصحافة والاعلام بوجه عـام ٠

وهذه الخاصة فى اللغة العربية ظاهرة من تركيب مفرداتها وقواعدها تركيبا يرمى الى النمذجة والتبسيط ، أخص الخصائص فى اللغة الاعلامية، التى تستخدم الرموز المجسدة أو الانماط او النماذج التى تقوم مقام التجربة الفردية او الجماعية لتنظيم التجارب الانسانية العديدة ٠

فاللغة العربية فى طليعة اللغات الاعلامية بين لغات العالم الشرقية أو الغربية ، ولما جاء الاسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النمو تنتظم شبه الجزيرة العربية ٠

ولعل ذلك يرجع الى ان العرب كانوا أمة بيان ، وللكلام عندهم مكانة العمل لان القول والعمل عندهم مقترنان لا ينفكان ومتقابلان لا يتفاضلان ، فليس القول صورة مجسمة ومكبرة عن العمل كما هى حال الأمم المغالية فى الكلام ولا قاصرا عاجزا عن تصويره كما هى حال الأمم البكيئة العاجزة فى لسـانها ، فلا غرابة بعد هذا فى ان نجد الكثير مـن خصـائص العرب وخصالهم فى لغتهم (١) ٠

وتلك السمة البارزة فى اللغة العربية ، هى التى جعلت استاذنا المفكر الراحل عباس محمود العقاد (٢) يذهب الى ان علماء اللغات لا يعرفون لغة

---

١) محمد المبارك : « خصائص العربية » ص٤ ٠

٢) « اللغة الشاعرة » ص٦١ ٠

قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم والفاظهم كما تتراءى لنا اطوار المجتمع العربى من مادة الفاظه ومفرداته فى اسلوب الواقع واسلوب المجاز ·

ويقول الاستاذ العقاد : « ان المجتمع العربى فى قوامه الاصيل انما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وان الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العرب قلما تخلو من الاشارة الى الرحلة والرعاية : فالامة هى الجماعة التى تؤم مكانا واحدا أو تأتم بقيادة واحدة ·

والشعب هو الجماعة التى تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا ، والقبيلة هى الجماعة التى تسير الى قبلة مشتركة ، والفصيلة هى الجماعة التى تفارق فى مسلك واحد ، والفئة هى الجماعة التى تفىء الى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون فى مجال واحد ، والبيئة هى الموطن الذى يبوء اليه اصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال أو لغيره ، والقوم فى جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا اطلقت أولا على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا قوله تعالى : « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لا يسخر قوم من قوم » ، ومنه قول زهير :

وما ادرى ، ولست اخال ادرى   أقوم آل حصن أم نساء ؟

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية لغة دالة ، ترمى الى النمذجة والتبسيط ، من خلال منهج لوضع الالفاظ للمعانى الجديدة ، يختار صفة من صفات الشىء الذى يراد تسميته أو بعض اجزائه أو نواحيه أو تحديد وظيفته وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه من اللفظ الدال على صفته أو جزئه او ناحيته او وظيفته ·

فى هذا الموضع تختلف الامم وتتفاوت فى نظرتها الاشياء وفى وضعها للالفاظ الجديدة التى تطلقها على المسميات · وفى اللغة العربية امثلة قديمة وحديثة من الالفاظ العربية ، تؤكد هذه الصلة بين المدلول الاصلى للفظ والمعنى المقصود منه او الشىء المسمى ، فمن الالفاظ القديمة : السهل والسماء والقلب والعادة والانسان والبيت والعقل والفضل والشرف؟ يلاحظ فى هذه الالفاظ ان العرب اختاروا صفة السهولة فى السهل والسمو فى السماء والتقلب فى القلب والعود والتكرار فى العادة والانس فى

الانسان ، والمبيت في البيت ، والعقل وهو الربط في العقل لانه يعقل صاحبه عن الشر ، والفضل وهو الزيادة في الفضل المعنوي والارتفاع في الشرف (٣)٠

ولو نظرنا الى هذه الالفاظ الاخرى : عامل ووالٍ وجهاد وزكاة وهى الفاظ نشأت بعد الاسلام ووضعت لمعان جديدة لوجدنا انها أخذت من العمل، والولاية والجهد والزكاة بمعنى النماء أو الطهارة ، ومثل ذلك يقال عن الالفاظ المستحدثة في عصرنا كالسيارة من السير والنظارات من النظر والدبابة من دب على ارض والدراجة من درج والجامعة من الجمع بين فروع العلم المختلفة ٠ ولو قابلنا بين هذه الالفاظ وامثالها من اللغات الاخرى كالفرنسية والانجليزية لوجدنا اختلافا في طريقة التسمية وفي اختيار الصفة التى بها تكون التسمية ، فانه يلاحظ أولا ان اللغات الاخرى قلما تحتفظ بالمعاني الاصلية للالفاظ على أمثال المسميات ، أما العربية فهى في اغلب الاحوال تحتفظ بالمعاني الاصلية للالفاظ التى تطلقها على مسميات جديدة كما هى الحال في الالفاظ التى استشهدنا بها وبذلك تبقى علة التسمية ظاهرة في الغالب ، وقد تكون خفية ولكنها تعرف لادنى تأمل ونظر٠ وقد تدق احيانا وتخفى احيانا اخرى ، فالفاظ العربية في الجملة معللة (٤)٠

ان العرب يذهبون حين « النمذجة » او « التسمية » الى اخص صفات المسمى أو النموذج وابرازها ، أو الى عمله الاساسي ، ووظيفته اكثر من ذهابهم الى ظاهره وشكله الخارجي او تركيبه واجزائه ٠ فبينما نرى الفرنسي مثلا قد أطلق لفظ Bicyclette اى ذات الدولابين على اداة الركوب المعروفة بهذا عندهم اطلق عليها العربي لفظ الدراجة ، فالفرنسي حللها الى اجزائها ونظر الى تركيبها والى حالتها الساكنة ونظر العربي الى وظيفتها وعملها وحركتها فسماها دراجة وكذلك السيارة سماها الفرنسي (Airport) اى المتحرك بنفسه وسماها العربي بلفظ يدل على عملها كذلك قل في المكوة وهى في الفرنسية (Fer à repasser) اى الحديدة التى يتكرر احمرارها وفي المطار وهو في الفرنسية (Aérodrome) ومعناها الحرفي السباق الجوى وفي الانجليزية (Airport) اى الميناء الجوى وقد تكون التسمية فيها مشبهة للطريقة العربية في الدلالة على العمل أو الصفة البارزة كلفظ (Moteur) اى المحرك ٠

---

٣) محمد المبارك : « خصائص العربية » ص٥١ ـ ايضا « فقه اللغة » ص١٢٩ ـ ١٩٥ ٠

٤) المرجع السابق ٠

وقد لاحظ الاستاذ العقاد (٥) هذا المعنى فى دلالة اسماء الامكنة فهى دلالة مضطرة على هذا المثال فى اكثر البقاع التى تسكن أو يرحل منها واليها ٠

فالمنزل حيث ينزل الانسان ، والبيت حيث يبيت بالليل وكذلك الموقع والمرجع والمأوى وكذلك المسافة بين مكان ومكان انما هى الموضع الذى يساف ترابه للاهتداء الى الطريق ٠

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة (المشاع) فى البادية الاولى فيطلق اسم (القصر) على المكان الذى يبنى مقصورا على بانية خلافا للبيوت والحياة التى تقام فى كل مكان ٠

واسم المكان معناه (التمسكن) خلافا للنقلة والتنقل بغير استقرار ٠

ويلاحظ هذا ايضا فى الكلمات التى تدل على العشيرة أو على الرابطة الاجتماعية بين الاحاد ٠ فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر وكذلك الرفيق الذى يؤخذ من الطريق وقبل الطريق وكذلك الزميل من صحبة الزاملة والقريب الذى يقترب من منزلك وتناسبه كلمة (العدو) للخصم الذى يعدوك أو يعدو على جوارك ٠

ونتتبع هذا المعنى أو نتقراه فى المعانى المجازية فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرب والنحو والمصدر والمورد والمقام والمقامة ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ونطلق القصة على الحكاية وهى قص الاثر ونطلق الاثر على المخلفات وهى بقايا المواطىء والاقدام ٠

ونعتقد ان النظر فى الفاظ اللغة من هذه الناحية متمم لدراسة اللغة الاعلامية سواء منها ما يراد لتاكيد عوامل النجاح فى (الرسالة الاعلامية) للبلوغ والتاثير فى الجماهير أو لتقرير قواعد هذه اللغة الاعلامية من حيث ما ترمى اليه من نمذجة وتبسيط أو للتفريق بين لغة الاعلام ولغة الادب ٠

فكل كلمة فى اللغة الاعلامية يجب ان تكون مفهومة من جمهور المستقبلين كما يجب ان تعرض بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة أو الاستماع

---

٥) اللغة الشاعرة ص٦١ ٠

اما فنون التورية وازدواج المعانى أو الهالات الانفعالية حول الالفاظ وغيرها من فنون الادب التى تؤدى المعانى وخاصة فى الشعر ، فهى بعيدة تماما عن لغة الاعلام لانهـا تقطع تيار الاتصـال الذى يجب أن يظل مجراه صـافيا نميرا ٠

واذا كانت اللغة العربية كما وصفها الاستاذ العقاد (٦) هى (اللغة الشعرية) و (الشاعرة) لغة بنيت على نسق الشـعر فى اصـوله الفنية والموسيقية ، فهى فى جملتها فن منظوم منسق الاوزان والاصوات لا تنفصل عن الشـعر فى كلام تالفت منه ولو لم يكن من كلام الشـعراء ٠ فان اللغة العربية كذلك لغة اعلامية ٠ ونريد بذلك انها لغة بنيت على نسق الفن الاعلامى بمفهومه الحديث ، تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها كما انها تتمشى مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، فالالفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم الى الاشياء ، ذلك ان فى تسميتهم لها بأسم بعينه وفى اطلاق لفظ دون غيره عليه واختيار صفة من صفاته ما يدل على اتجاههم فى التفكير وتقييمهم للاشياء ٠

فاستعمالهم العامل للوالى والحاكم يدل على انهم فهموا الولاية بعد الاسلام على انها عمل من الاعمال واستعمالهم لفظ (المرء المرأة) يدل على تساوى الرجل والمرأة فى الاصل عندهم ، ولفظ المروءة مشتق منهما معا ومعناه الصفات المستحسنة المأخوذة من اخلاق الانسان ذكرا كان أم انثى ٠

الفكرة الزمنية فى اللغة العربية :

من أهم المقاييس التى يعرف بها ارتقاء اللغات : مقياس الدلالة على الزمن فى افعالها ٠ ثم فى سائر الفاظها ٠

وهذا المقياس يصبح من أهم مظاهر اللغة الاعلامية ، لان الصحفيين ورجال الاعلام يكتبون لكل الناس فى كل الاوقات وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات أو لكل الناس بعضا ، من الوقت ، فكل كلمة أو كل مجموعة من الكلمات تتضمنها عبارات النص الاعلامى يجب ان تكون مفهومة من عامة القراء وجمهور المستقبلين ، ولهذا تظهر بلاغة اللغة الاعلامية من علامات الزمن فى افعال لغتها الأم ٠

---

٦) واللغة الشاعرة ـ ص٨ ٠

لان عامل الوقت يلعب دورا رئيسـيا فى تغطية الاخبـار وتحريرهـا واخراجها من جهة ، كما يتميز الاعلام بالدورية والايقاع من جهة اخرى فهو يروى حدثا بعينه فى اطار زمن محدد فاللغة التى تدل على الزمن بعلامات مقررة فى الفعل انسب واصلح للاعلام من اللغة التى خلت من تلك العلامات. وبمقدار الدلالة تكون هذه اللغة الاعلامية اكثر من تلك .

ولا نحسـب ان لغـة نفهمها ـ أو نفهم عنها ـ كما يقول الاسـتاذ العقاد (٧) قد اشتملت على وسائل للتمييز بين الاوقات كما اشتملت عليها اللغـة العربية سـواء نظرنا الى ضرورات سـكانها أو نظرنا الى تصريف افعالها وكلماتها .

فكل لحظـة من لحظات النهار والليل كان لهـا شـأنها فى حيـاة سكان البادية بين السفر والاقامة والحل والترحال .

فمنها ما هو صالح لبدء السير ، وما هو صالح للراحة القصيرة وما هو صالح للراحة الطويلة وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار .

ولهذا وجدت كلمات البكرة والضـحى أو الغدوة والظهيرة والقائلة والعصر والاصيل والمغرب والعشـاء والهزيع والقائلة والعصر والاصـيل والمغرب والعشاء والهزيع الاول من الليل والهزيع الاوسط والموهن والسحر والفجر والشروق .. ويكاد التقسيم على هذا النحو ان ينحصر بالساعات على صـعوبة التفرقة بين هذه الاوقات فى كثير مـن اللغات الاخرى بغير الجمل والتراكيب (٨) .

وكل موسم من مواسم السنة له شأنه فى المرعى والانتاج وطلب الماء او التجارة او الامان ولهذا وجدت اسماء المواسم والفصول جميعا ووجدت معها ثلاثة أسـماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس فى مصـطلح الفلكيين : فهى السنة وهى العام وهى الحول .

ولكل منها موضعه فى التعبير . بل لهذا وجدت للاوقات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر فى المدة .

---

٧) « اللغة الشاعرة » ـ ص ٧١ وما بعدها .
٨) المرجع السابق ص٧٢ ـ ٧٣ .

فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن · وتنطوى فيها اللحظة أو اللمحة للوقت القصير والبرهة والردح للوقت الطويل · والفترة للمدة المعترضة بين وقتين ۰

بل وجد فيها للزمن المقصود المعين والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان الدهر للمدة المحيطة بجميع الازمنة والعهود والاحيان ·

مثل هذا الاحساس بالزمن لا تصوره الكلمات فى لغة من اللغات التى نفهمها على صورة ادق من هذه الصورة ولا ادل على الفوارق بين اجزائها كما يقول استاذنا العقاد « فان الزمن الماضى » مهم عند ابناء البادية العربية فى كل عهود من عهوده ·

لانه مستودع المفاخر والانساب والثارات والسوابق والذكريات وليس من المصادفة ان يسمى التاريخ باسم الايام وان يعرف لكل يوم اثر فيما كان وما يكون ·

« اما الزمن الحاضر فلا غرابة فى العناية باجزائه وتقسيماته · لان كل لحظة منه ذات شان فى الحركة والاقامة · وفى المرعى والتجارة وفى الحرب والامان » ·

وليس من الطبيعى ان يبلغ احساس قوم بالوقت هذا المبلغ ثم يخلو كلامهم من الدلالة على الاحساس به فى مختلف مواضعه ومناسباته ·

فاذا نظرنا فيما يقوله النحاة من العرب فى هذا الصدد وجدناهم يربطون ربطا وثيقا بين الصيغة والزمن فيقسمون الازمان الى ثلاثة : الماضى والحال والمستقبل مكتفين بتلك الازمنة الاساسية على ان بعض المتكلمين من العرب قد انكروا وجود الزمن الحالى وراوه مندرجا فى الماضى والمستقبل بعضه فى الماضى والباقى فى المستقبل ولكن جمهور النحاة يابون هذا ·

فيقول ابن يعيش « وقد انكر بعض المتكلمين فعل الحال وقال ان كان قد وجد فيكون ماضيا والا فهو مستقبل وليس ثم ثالث والحق ما ذكرنا وان لطف زمان الحال » ·

وقد فطن لهذه الحقيقة عالم من اقدر علماء الاجروميات والمباحث اللسانية على حد تعبير العقاد (٩) ـ ففى كتاب أصول الاجرمية الانجليزية لمؤلفه الدكتور اتوجسبرسن « يقول هذا الباحث المحقق » ان لنا ـ على الاصح ان نحسب ان الزمن ينقسم الى جزئين : ماضى ومستقبل وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كانه النقطة الهندسية التى لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع ولكنها على الدوام منصوبة الى المستقبل » ٠

وهذه التفرقة الفلسفية المنطقية ملحوظة فى التفرقة الاجرومية بين الحاضر والمستقبل فى لغة العرب ـ كما يقول العقاد ـ فاذا اراد المتكلم ان يذكر المستقبل على ما ياتى وبمعنى الانشاء واستحداث الفعل على الطلب فصيغة المضارع تدل على الحال والاستقبال وصيغة المضارع مسبوقة بالسين تدل على المستقبل القريب ومسبوقة « بسوف » تدل على المستقبل البعيد ٠

ومن اشهر اقوال النحاة العرب ما جاء فى فقه اللغة للثعالبى وغيره من كتب اللغة ، من ان المضارع قد يستعمل الماضى مكان المضارع مثل قوله تعالى : « اتى امر الله فلا تستعجلوه » أى سياتى وقوله « واتبعوا ما تتلو الشياطين » اى تلته ومثله وكان الله غفورا رحيما أى ولا يزال ، الخ ـ ويقرر علماء البلاغة ان التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى انما يكون تنبيها على تحقيق وقوعه ويمثلون لذلك بقوله تعالى : « ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض » أى يصعق ومن أسرار الفكرة الزمنية فى اللغة العربية الاستعمالات المختلفة للفعل (اتى) فنجد فى القرآن الكريم « أتى امر الله فلا تستعجلوه » ٠

- قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد ٠
- فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى ٠
- انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى ٠
- الا من اتى الله بقلب سليم ٠
- كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسل الا قالوا ساحر ٠
- هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ٠

---

٩) « اللغة الشاعرة » ص٧٦ ٠

وفى هذه الاستعمالات القرانية للفعل « اتى » نجد اساليب مختلفة ففى الآية الأولى زمن الاتيان هو المستقبل وفى الثانية هو ما بعد الماضى وفى الثالثة ما بعد الماضى ايضا وفى الرابعة للحال المستمرة التى تشبه الحقائق الثابتة وفى الخامسة للمستقبل وفى السادسة لما قبل الماضى وفى السابعة للماضى المؤكد ·

ويحق لنا ان نقول مع العقاد : ان اللغة العربية لغة الزمن بأكثر من معنى واحد : لغة الزمن لانها تحسن التعبير عنه ولغة الزمن لانها قادرة على مسايرة الزمن فى عصرنا هذا وفيما يلى من عصور ·

اللغة العربية لغة معرفية :

تقدم اننا فى لغة الاعلام لابد ان نفرق فى الوظيفة اللغوية بين الاسلوب (المعرفى) أى الذى يؤدى الى معلومات والاسلوب (اللامعرفى) الذى يؤدى الى خرافات وأوهام لتنقية اللغة الاعلامية من الاستعمال التخديرى للغة الدعاية والسياسة ·

فعندما يقول شخص لآخر « صباح الخير » فانه لا يعنى التفسير الاشارى للعبارة وانما يريد ان يحدث تاثيرا عاطفيا أو اقامة صلة قوية بصديقة ·

وعندما اشار تشرشل الى الالمان بلفظ (الهون (Huns) كان يريد اثارة الكراهية ضدهم ولا يريد ان يرجع بنا الى اصول القبائل الجرمانية · وعندما يسب شخصا آخر ناعتا اياه بأنه حيوان أو كلب فانه لا يريد المعنى الاشارى أو الاخبارى بقدر ما يريد اثارة الغضب والتحقير والازدراء (١٠) ·

ومع ان اللفظ ليس الا رمزا للدلالة على الشىء فاننا كما يقول الدكتور ابراهيم امام ـ نلاحظ فى مجتمعات كثيرة ان هناك من يخلط بين الرمز والشىء أو بين اللفظ ومدلوله فالراية الحمراء رمز الخطر ولكنها ليست الخطر نفسه · وكلمة أسد ليست هى الاسد نفسه وانما هى رمز له ·

---

١٠) امام : العلاقات العامة والمجتمع ـ ص٢٢٩ ·

وقد يبدو ان هذا الكلام من البساطة بحيث يعتبر من البديهيات ولكننا نجد البدائين بل الكثير من المحدثين ايضا يخلطون بين الرمز والشيء ٠٠

وفي جنوب ايطاليا ـ لا يلفظ اسم الشخص المحسود اتقاء لخطره اذ يعتقد الايطاليون ان مجرد نطق الاسم خطر داهم لذلك يشيرون اليه بعبارة (الذى لا يسمى) وكلمة الموت لا تلفظ صراحة فى معظم اللغات وانما يستعاض عنها بالفاظ وعبارات مختلفة دفعا لشر هذا الرمز ٠

وان رأى هو ـ كما يذهب الدكتور امام (١١) ـ ان الرموز اللغوية قد تطورت بتطور المجتمع والمعتقدات السائدة فيه ففى البداية كانت اللغة تتأثر بمعتقدات السحر ثم تطورت فاصبحت عملية وجدانية واخيرا بدأت مرحلة التعبير العقلى ٠

فالمجتمع البدائى يؤمن بقوة السحر الكامنة فى الالفاظ وارتباطها ارتباطا وثيقا بالاشياء وكان المصريون القدماء يعتقدون بأله هو الكلمة ولا تزال هذه العقيدة سائدة فى معظم الأديان ولكن بصورة تتناسب مع التوحيد ، ثم تطورت اللغة فى مدارج التعبير العاطفى الوجدانى ، فاستغلها الكهنة للتأثير فى الناس بالعبارات الغامضة والكلمات ذات الجرس الموسيقى والتى تشبة المخدر ٠

ولا شك أن الاستعمال التخديرى للغة فى السياسة والدعاية لا يزال منتشرا فالخطب المسجوعة والالفاظ الرنانة والعبارات العاطفية الغامضة والرموز الانفعالية تؤثر جميعا فى عواطف الناس وخاصة فى المستويات الحضارية المختلفة ٠

وهذا الاستعمال التخديرى للغة هو الذى تشجعه الدعاية ٠ أما الاعلام فيستعمل فيه التعبير العقلى الفكرى والمناقشة الواضحة الناضجة ٠

وقد كثر حديث اللغويين عن هذين النوعين فنرى فى دراساتهم ابحاثا عن : النثر العلمى المعرفى والنثر العاطفى ، ويتحدثون عن خصائص النوعين فى الالفاظ والعبارات والموضوع وما يثيره كل من النوعين فى الاذهان والعقول وما يهدف اليه النثر المعرفى من محاولة التعبير عن الافكار

---

١١) المرجع السابق ـ ص٢٣ ٠

بقدر مساى من العبارات رغبة فى ابراز الحقائق المجرده دون مبالغة فيها ودون التاثر فى الاذهان بالصور الخيالية والمجازات أما فى النثر العاطفى فان الأمـر لا يكـاد يقتصر على مـدلولات الالفـاظ بل يتعـدى هـذا الى ما يلى المدلولات من ظلال المعانى ولما تثيره ى الذهن من صور وأخيلة يتاثر بها السامع أو القارىء ، وتستنتج منها الاذهان من المعانى فوق ما تحملته تلك الالفاظ أو العبارات ولذلك يمكن الربط بين النثر العاطفى والشعر او يمكن أن يعد نوعاً من الشعر غير منظوم ·

ومع هذا يرى هؤلاء أن ليس من اليسير أن نضع حدا فاصلا بين النوعين : المعرفى والعاطفى ، فلا يكاد يخلو المعرفى من كل عاطفة خلوا تاما كما نرى فى العاطفى احيانا عبارات لاتهدف الا الى التعبير عن الحقائق

ولكن « فندريس » يذهب فى كتابه « اللغة » الى الفصل بين النوعين حتى كاد يجعل كل منهما لغة مستقلة فيتخذ من اسلوب التخاطب بين الناس ميدانا لتلك اللغة الانفعالية ومن الأسلوب ميدانا للغة المنطقية ·

ولعل أوضح ما فى علاجه لهذين النوعين شرحه لاختلاف ترتيب الكلمات فى كل منهما اذ يقول :

« ينحصر الفرق الأساسى بين اللغة الانفعالية واللغة المنطقية فى تكوين الجمله · وهذا الفرق ينبثق جليا عند ما نقارن اللغة المكتوبة باللغة المتكلمة فاللغة المكتوبة واللغة المتكلمة تبتعدان فى الفرنسية أحداهما عن الأخرى الى حد أنه لا يتكلم اطلاقا كما يكتب الى جانب الاختلاف فى المفردات وذلك لأن الترتيب الذى تتماسك فيه الكلمات فى الجملة المكتوبة ينفصم دائما فى الجملة المتكلمة ان قليلا او كثيرا ·

وهذه الخاصة المعرفية فى اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفها على حدة الى تركيب مفرداتها على حدة الى تركيب قواعدها وعباراتها فى بنية الشكل الصحفى وفنون الاعلام المختلفة ·

فاللغـة العربيـة فى طبيعـة تركيبهـا لاتحتـاج الجمـل الخبريـة (الاعلاميـة) فيها الى افعال الثبات أو ما يسمى فى اللغات الغربية « فعل

الكينونة ، فنحن نقول فى العربية على سبيل الاخبار (فلان شجاع) دون حاجة مثلهم الى ان نقول : فلان هو شجاع ونقول : « كل انسان فان » دون حاجة الى ان نقول « كل انسان يكون فانيا » أو « كل انسان يوجد فانيا » أو كل انسان كائن فان ٠

كما هو شأنهم فى تركيب كلامهم واذا قلنا مثلا أن (الامة العربية واحدة) ثبت هذا المعنى فى اذهاننا ثبوتا لا يحتاج معه الى شىء من الخارج لا فعل الكينونه ولا أى رمز من اللغة ٠

والفكرة المفهومة من الارتباط واضحة ماثلة دائما فى نفس العربى يلتفت اليها حين يواجه المعنى فاذا اراد أن يبرزها أو ان يؤكد مثلها بلفظ كقوله « انه هو الحق » (١٢) ٠

ومعنى هذا أن الأسناد فى اللغة العربية يكفى فيه انشاء علاقة معرفية بين (موضوع) (محمول) أو مسند اليه دون حاجة الى التصريح بهذه العلاقات نطقا أو كتابة فى حين أن هذا الاسناد الذهنى لا يكفى فى اللغة (الهندو ـ الاوربية) الا بوجود لفظ صريح مسموع أو مقروء يشير الى هذه العلاقة فى كل مرة وهو فعل (الكينونة فى اصطلاحهم) ٠

واللغة العربية اذا كانت تعنى بالالفاظ فذلك من أجل المعانى أى لكى يؤدى الرمز وظيفة معرفية تحفز السامع أو القارىء للعمل ٠

وخير الادلة على ذلك لغة القرآن الكريم ، والتى وصلت الى أقصى آيات الاعجاز لفظا ومعنى فكان لها ذلك التأثير العظيم فى استنهاض الهمم لتحقيق المثل الأنسانى الأعلى ٠

وتأسيسا على هذا الفهم لروح اللغة العربية ، قال ابن جنى فى « الخصائص » فى باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ ٠

فاذا رأيت العرب قد اصلحوا الفاظها وحسنوها وزينوا حواشيها وهذبوها وصقلوا غريبها فلا ترين أن العناية اذ ذلك انما هى بالالفاظ

---

١٢) مقال الدكتور عثمان أمين ـ مجلة العربى العدد ١١٨ ـ ١٩٦٩م الكويت ٠

بل هى حـدنا خدمة للمعانى وتنويه وتشريف ثم قال : « فكأن العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتزخرفها عناية بالمعانى التى وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها ٠٠ وقد قال رسول الله (ص) ان من الشعر لحكمه وأن من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله يعتقد هذا فى الفاظ هؤلاء القوم التى جعلت مسـاند واشراكا للقلوب وسـببا وسلما الى تحصـيل المطـلوب عرف بذلك أن الالفاظ خدم للمعانى والمخدوم اشرف من الخادم والأخبار فى التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من أن يؤتى عليها ٠٠

واذا كانت اللغة العربية تختلف عن اللغـات الاوربيـة من حيث أن الجملة فى الأخيره اسـمية يتقدم فيها الفاعل على الفعـل ولا يتقدم الفعل فيها الا شذوذا فى حالات قليلة جدا اهمها حالة الدلالة على المفاجاة ووقوع الفعل على انتظار فان القول فى الذهن العربى هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر ومن هذا يتسـاوى « القول » و « ان نقول » فى الادراك الصحيح (١٣) ٠

على أن الجملة الاسمية موجوده فى اللغـة العربية ، وليسـت مـع وجودها قليله الاستعمال فى موضعها فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزا عن التركيب الذى يتقدم فيه الفاعل على الفعل ولكنه تقدم للكلام على حسـب مواضـعه وتصحيح لموقع الفاعل من آراء المتكلم وفهم السـامع ٠ وتلك أخص الخصائص فى لغة الاعلام ٠

فاننا نقول « محمد حضر » اذا كنـا ننتظر خبرا عن محمد أو عـن حضوره على الخصوص ولكننا نقول « حضر محمد » لمن يسمع خبرا عن الاخبار على اطلاقه ولا يلزم أن يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور بل لعل السامع كان ينتظر كلاما عن حسن وعن على كما ينتظره محمد أو لعله خبر سفر وليس بخبر حضور أو غير منتظر (١٤) ٠

وخاصة اخرى تجعـل اللغـة العربيـة اكثر « اعلاما » من غيرها من اللغات الحيـه المعروفة وهى خاصـه « الايجاز المعرفى » وفى هذا المعنى قال ابن خلدون : « ولما كانت الملكات الحاصله للعرب من ذلك أحسن الملكات واوضحها ابانه عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها واوضحها ابانه عن

---

١٣) العقاد : اشتات مجتمعات ـ ص٥٧ ٠
١٤) المرجع السابق ـ ص٦٠ ٠

المقاصد لدلالة غير الكلمات الحاصله على كثير من المعانى مثل الحركات التى تعين الفـاعل عن المفعول والمجرور أو المضـاف ومثـل الحروف التى تفضى بالافعال الى الذوات من غير الفاظ اخرى ، وليس يوجد ذلك الا فى لغة العرب ٠ واما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم فى مخاطبتهم أطول مما نقدره بكلام العرب ٠

وتلك اخص الخصائص فى لغة الاعلام الحديث حتى ليذهب علماء الصحافة فى لغـات الغرب الى أن الأسـلوب الاعلامى يعنى : « اعطـــاء الحقائق بأقصى مايمكن من الدقة والسرعة واليسر والظروف (١٥) ٠

ومن ذلك اختلاف صيغة المبنى للمجهول بين اللغات الأوربية واللغة العربية لان العربية تدل على المبنى للمجهول بصيغه خاصة فى اوزان الفعل الثلاثى والفعل الرباعى او الخماسى او الفعل المزيد على الجملة بعبـارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين (١٦) ٠

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول : فتح الباب « بصيغة المجهول » ولكن العبارة الاوربيـة التى تدل على ذلك تقابل قولنا (ان البـاب يكون مفتوحا ، او ان الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقة الصياغة العربية ، لأنه اقرب الى الوصف منـه الى الأخبار أو الاعلام ، ولاسـيما التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (ان الباب مفتوح) ٠

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم وهى صيغة الفعل المطاوع فيقول القائل (انفتح البـاب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليـه دلالته الدقيقة كل من صيغة المبنى للمعلوم وصيغة المبنى للمجهول ٠

ويظهر الفارق فى الدلالة على المعانى المختلفة عند استخدام الفعل فى الجمل المفيدة على حسب دلالتها ٠

فاذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن يهمه أن يعرف من الذى فتح البـاب ٠

---

١٥) [illegible] : [illegible] — ص٦٢ ٠
١٦) [illegible] : [illegible] — ص٦٢ ، ٦٤ ٠

واذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجها ـ ايضا الى سامع يهمه أن يعلم شيئا عن الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بانه يعرفه ولا يريد ان يذكره ·

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك وهى حالة انسان منتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذى فتحه كما لا يعنيه ان يقول له المتكلم انه يجهله او يسكت عنه ·

فى هذه الحالة يقول العربى : « انفتح الباب » فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التى ينتظر فيها السامعون خبرا عن فاعل الفتح ، معلوما كان أو مجهولا أو مسكوتا عنه مع علم السامع به تعمدا لاخفائه أو لاهماله ·

واللغة الدقيقة التى استوفت وجوه الدلالة ـ هى كما يقول الأستاذ العقاد (١٧) اللغة التى تلاحظ مقتضى الحال فى كل عبارة من العبارات الثلاثة ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين بل تستخدم كل عبارة لموضعها الذى لا لبس فيه ·

وهذه هى صفة اللغة العربية فى وفائها بالمعانى المقصوده فى الاتصال الاعلامى على حسب ارادة المرسل والمستقبل أو على حسب ضرورة التفاهم بين الاثنين ·

وهذه الصفة فى اللغة العربية تميزها بما يمكن أن نسميه « الديناميه » أو الحركية ، التى تجعلها اصلح اللغات لطبيعة الاعلام ، وتمنحها طواعية فى ايراد حادث وقع حالا يبعث على اهتمام القراء به ·

كما تتمكن من اعلام القراء بكل ما يريدون أن يلموا به من سرد صحيح موقوت لاحداث وكشوف واراء وامور من أى نوع تؤثر فى القراء او تثير اهتمامهم ·

فاللغة العربية بذلك تضم فى ثناياها اخص خصائص لغة الاعلام وهى العلاقات المتغيرة بين الانسان والانسان وبين المرء وبيئته ، اجتماعية أو اقتصادية او سياسية او مادية او غير ذلك من العلاقات ·

---

١٧) العقاد : اشتات مجتمعات ـ ص٦٣ ، ٦٤ ·

وعلى ذلك فان فى اللغة العربيــة طواعيــة تمكنها من الاجابة على الاســئلة التى تجول فى خاطر رجل الاعلام دائمــا وهى : « ماذا حدث » « ماذا يجرى الان ؟ » « والا من جديد ؟ » « اثمه ما يثير » « اهناك ما يؤذن بجديد ؟ » ·

ومرجع ذلك الى الخصائص الاعلامية الأصيله فى اللغة العربية والتى تبين مــن تكييفها وفقا للقوالب الاعلاميــة المختلفــة بحيث استخدمت فى الصحافة الحديثة وفى الوسائل الاعلاميــة المستحدثه ولم تقع فى اخطــاء لغوية ولاسيما عند صوغ العنوانات المختصره ·

ذلك ان الخصائص التى تتميز بها لغة العرب أستوفت وجوه الدلالة على ما نعلم فى ملاحظة مقتضى الحال وكذا ما راينا من ذلك مثلا خاصتها فى المبنى للمجهول ، ووجدنا العربية تثبت للفاعل درجاته وانواعه بدقة نبعت من منطق اللغة الذى يفهم بالقياس كما يفهم بالسماع والتوقيف ·

ولذلك فاننا عندما نقول فى معطيات هذا الفصل : ان اللغة الاعلامية هى اللغة العربية الفصحى نعنى ذلك جميعا على نقيض ما يذهب اليه البعض فى اللغات الاوربية (١٨) من ان لغة الاعلام لغــة الفن الصحفى بالذات مستقله تمام الاستقلال عن اللغة الأصلية الفصيحه ·

والاعتراضات التى تثار حول اختيار عبارات العنوانات فى الصحيفة هى اعتراضات أقرب الى الجوهر منها الى القــالب فاللغــة فى العنوانات لا يقصد بها الا عرض الخبر عرضا موجزا أما الخبر نفسه فينبغى الا يكتب بهذا الأسلوب الموجز ·

على ان اللغة العربية بمرونة خصــائصها ، تمكنت من تجاوز هــذه الاعتراضات لانها لغة تتميز بالايجاز والوضوح والنفاذ المباشر والتــأكيد والاصالة والجلاء والاختصار والصحة ·

وذلك ما عنيناه من قولنا : ان اللغة العربية لغة معرفية ·

---

١٨) العقاد : اللغة الشاعرة ـ ص١٥ ·

اللغة العربية وظيفية هادفة :

ويبين مما سبق أن اللغة العربية تمتعت بخصائص اعلامية تجعلنا فلاحظ أنها تتفق مع غايات الاعلام الحديث ، من حيث أنه أداة وظيفية ، وليس فنا جماليا يقصد لذاته لانه يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والافكار اليهم ·

وذلك ما نريد ان نذهب اليه من قولنا : أن اللغة العربية وظيفية هادفة لأنها كما رأينا لغة معرفية تهدف الى الاعلام والتفسير والتوجيه والتنشئة الاجتماعية ·

فأن من خصائص هذه اللغة العربية فى تعبيراتها أن الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالتها الشعورية المجازية ودلالتها العلمية الواقعية فى وقت واحد بغير لبس بين التعبيرين ·

فكلمة الفضيلة تدل بغير لبس على معنى الصفة الشريفة فى الأنسان ولكن مادة فضل بمعنى الزيادة على اطلاقها لا تفقد دلالتها الواقعية على المواد المحسوسة بل يصح عند جميع المتكلمين والمستمعين أن يفهموا « فضول » القول على انه وصف غير حميد ، لان الزيادة فى غير جدوى تخالف الزيادة المطلوبة اذا كان المقام مقام القول فى صفات الكلام ·

ولا يصعب الجمع بين التعبير الواقعى والتعبير المجازى الشعرى فى مئات من الكلمات تجرى على الالسنة كل يوم وتؤدى الى السامعين معانيها النظرية الفكرية ومعانيها الحسية فى وقت واحد بغير لبس بين المقصود فى كل مقام · فاللغة العربية اذن تستطيع أن يكون لها تعبيرها الذى يناشد حاسة الجمال لدى القراء وتتضمن ايضا اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة والوظيفة الهادفة ، وسيلته اللغة العربية الاعلامية تكاد تجعل منها فنا تطبيقيا قائما بذاته لتصبح تعبيرا اجتماعيا شاملا فى الاتصال الجماهيرى لانها لغة حركة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى . الخ ··

هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة فاللغة العربية تمتاز بدقة تعبيرها . والقدرة على تمييز الأنواع المتباينة والأفراد المتفاوتة والاحوال المختلفة سواء فى ذلك الامور الحسية والمعنوية ·

ومن أمثلة ذلك أن : المشى عام ، ودرج للصبى الصغير ، وحبا للرضيع وحجل الغلام أن يرفع رجلا ويمشى على أخرى وخطر الشاب باهتزاز ونشاط ، ودلف الشيخ مشى رويدا بخطى متقاربه ، وهدج مشى مثقلا ورسف للمقيد واختال وتخلج واهطع وهرول وتهادى وتاود أنواع من المشى (١٩) ٠

والنظر عام ، ورمقه نظر اليه بمجامع عينيه ، ولحظه نظر ليه من جانب اذنه ، ولمحه نظر اليه بعجلة ، وحدجه ونظر اليه شزرا أى نظر العداوه واستشف الثوب رفعه لينظر الى صفاقته واستكفه واستشرزه نظر اليه وصدق جمع عينيه لشدة النظر وتصفح نظر فى كتاب أو حساب ليكشف صحيحه من سقيمه ٠

والطيران عام ، الدف والاسفاف والرفافه والتحليق والتدويم والرفيف انواع مختلفة له ٠

فالدقة فى العربية دليل على بلوغ أصحابها درجة عالية فى دقة التفكير خاصة اعلامية تجعلنا نقول أنهم يتصفون بمزيد الوضوح وتحديد المقصود تحديدا يقتضيه المنطق العلمى ولا يمكن أن تكون اللغة البعيده عن الدقة المتصفة بالعموم أو الأبهام أو الغموض اداة للتعبير الاعلامى الدقيق ، ولابد من التقابل فى الخصائص والصفات بين التعبير والتفكير والتخصيص اللغوى والدقة فى التعبير أداه لابد منها لرجل الاعلام صحفيا كان أم اذاعيا لتصوير دقائق المعلومات وابرازها فى جوانبها الخاصة المتميزة وصفاتها القائمة على الوظيفية الهادفة ٠

ونحن اليوم أحوج ما نكون الى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا وأحياء الفروق بين الألفاظ لتكون لدينا لغة تصلح أن تكون أداة للاعلام العربى فى مواجهة التقدم الفنى الهائل وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير ٠

ذلك ان العربية قد أصيبت فى عصور الانحطاط بمرض العموم والغموض والابهام ، كنتيجة لافتقاد وظيفتها الهادفة فى هذه العصور فضاعت الفروق الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة ، وغدت مترادفة وكثر استعمال الالفاظ فى المعانى المجازية وصرفت عن معانيها الاصلية فضاع الفكر بين الحقيقة

---

١٩) « فقه اللغة » للثعالبى ـ ط١ ص١٥١ ـ ٨٢ ، ١٥٧ ٠

والخيال وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة وأصبح لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة واداة من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة أو موضوع تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبه أو عرض ذلك الموضوع ، فاذا كان الموضوع وصف حديقة أو تعزية صديق أو التعبير عن فرح أو طرب لم يتغير الكلام ايا كانت تلك الحديقة وفى أى بلد وأيا كانت مناسبة التعزية أو الفرح (٢٠) وفى ذلك قتل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الاعلاميه من ابراز المقومات والمزايا الخاصة والدقائق الخفيه ·

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة كانوا يدركون هذه الميزه من المزايا العربية فعنوا بابراز الفروق بين الالفاظ فى مؤلفات خاصة ككتاب الفروق « لابى هلال العسكرى » وأبواب الفروق من كتاب ادب الكتاب لابن قتيبه والقسم الأول من « فقه اللغة واسرار العربية » للثعالبى ·

كما كان كتاب العربية يحرصون على هذه الميزه الاعلامية فى لغتهم فيضعون الالفاظ فى مواضعها ويحرصون على دقة التعبير فكان الجاحظ يستعمل الالفاظ التى تتخصص مدلولاتها بما لا تتناول سواها بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فاذا ذكر آله أو اداه أو طعاما او لباسا او شيئا من هذه الأشياء المادية ذكرها باسمائها الخاصة وفرق بهذا التخصيص بين أنواعها المختلفة فمن ذلك الشبوطه والجوافه والشلقه لضروب السمك والجعفريه لضرب من السفن ، والسرجه والمصباح والقنديل ما يستصبح به والصمام ما تسد به القوارير والكماح للعامل الذى ينظف المثاعب والمجارى والشارع للسكه الكبيره والرائغ للطريق الضيقه بين المنازل (٢١) الخ ·

ونجد مثل هذه الدقة فى الوصف عند كثير من كتاب العربية فى مختلف العصور ولاسيما فى القرون الأربعة الأولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف البغدادى (٥٥٦هـ ـ ٦٢٩هـ) فقد كان دقيقا فى ملاحظته وتعبيره فى رحلته الى مصر التى سماها « الافادة والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر وحيواناتها وآثارها وصفا يبعث فى الانسان الدهشه والتعجب فمن ذلك قوله فى وصف البامية وهى ثمر بقدر ابهام اليد ، كأنه جراء (٢٢) القثاء ، شديد الخضرة الا ان عليه زيرا مشوكا ، وهو من حيث

---

٢٠) محمد المبارك : خصائص العربية ص٦٢ ·
٢١) محمد المبارك : فن القصص فى كتاب النجلاء للجاحظ ص٣٨·
٢٢) جراء جمع جرو الصغار من كل شيء ·

الشكل يحيط به خمسة اضلاع فاذا شق عن خمسة ابيات بينها حواجز وفى تلك الأبيات حب مشطف ، مستدير أبيض أصغر من اللوبيا ، هش ، يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابيه كثيرة (٢٣) ٠

بهذا الأسلوب البسيط الدقيق فى كلماته وصف البغدادى فى رحلته هذه سائر ما شاهده فى مصر من النبات والحيوان ومعالم العمران والآثار القديمة وانما كانت دقة الوصف من استعمال الالفاظ المطابقة لمعانيها الدقيقة فى دلالتها ٠

وهذه الخاصة الوظيفيه للغة التى استخدمها كتاب العربية خير استخدام جعلت علماء الصحافة والاعلام يذهبون الى ان الجاحظ ـ وهو من كتاب القرن الثالث الهجرى ـ يمكن أن يكون أول صحفى ممتاز أو انه عاش فى القرن الذى نعيش فيه ٠ يقول الدكتور ابراهيم أمام (٢٤) ٠ يمكن النظر الى أدب الجاحظ فى مجموعه على أنه أدب تتوفر فيه الكثير من خصائص الفن الصحفى لقد كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس فى المجتمع وهو فى الوقت نفسه غزير الانتاج الى درجة تلفت النظر وانتاجه وثيق الصله بالأفكار فى تلك البيئة العباسية من دين وسياسه وثقافة وعادات وتقاليد اجتماعية لقد كان الجاحظ موسوعى المعرفة دقيق الملاحظة سلس الأسلوب قوى العارضه ساخرا متهكما ، ولكن دون مراره ٠

وأهم من ذلك كان مصورا بالقلم تصويرا فنيا يجسم افكاره تجسيما مشوقا اخاذا ٠ ويكفى أن نشير الى رسالة التربيع والتدوير التى وصف فيها أحمد بن عبد الوهاب لكى نبين عبقرية الجاحظ فى فن الكاريكاتور القلمى ٠ وفضلا عن ذلك فانك تلمح فى كتابات الجاحظ حبا للحياة وولعا بالناس وتقديرا للانسان فهو ليس فيلسوفا يكتب عن الأفكار المجرده ولكنه اديب اقرب الى الصحفى يكتب عن المجتمع بأسلوب رشيق سلس اخاذ » ٠

وبمقارنة الجاحظ بمعاصريه نستطيع أن ندرك خصائص أسلوبه القريب من الصحافه فابن المقفع مثلا اديب وادبه خلاصه مطالعاته وتجاربه وتجارب اسلافه من البيئة الفارسية القديمة ، وهو يسلك فى كتابة أدبه طرقا فنية

---

٢٣) عبد اللطيف البغدادى فى مصر ٠ مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة ص٢٠ ٠

٢٤) دراسات فى الفن الصحفى ـ ص٤٤ ٠

خالصة ، وهى تعبير مجازى ممتاز كان يتحدث على السنة الطير والحيوان ويعتمد على الصور البيانيه الرائعة ولكنه مستوى ادبى جمالى يرتبط بالرمز الفنى ولا يتصل بالواقع العملى الا اتصالا يسيرا .

النمذجة والدقة فى اللغة العربية :

تقدم اننا نعنى بالنمذجة فى لغة العرب انها لغة دالة ، والنمذجة والتبسيط من اهم سمات لغة الاعلام التى تعرض الاحداث والافكار منتزعة سماتها كما لو كانت وحدات مستقلة ، وهى نمذجة مقصورة لاسباب خارجية اهمها التبسيط للجماهير التى تحتاج الى الفاظ تعبر عن المفاهيم الخلقيه والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأفكار العامة التى نشات فى الحياة الأنسانية ونمت وتطورت .

وقد قامت اللغة العربية بسد هذه الحاجة الى الالفاظ العامة والأنماط لاغناء الحاجة اليها للتعبير عن هذه المعانى العامة فى الميدانين المادى والمعنوى منذ عهد بعيد .

فاللغة العربية غنية بالالفاظ الدالة على المعانى العامة كما انها غنية بالالفاظ الخاصة الدقيقة ولغة الاعلام تحتاج الى النوعين كليهما فى حياتها وتطورها ولكل منهما موضع يليق به .

يعود هذا الاستعداد لتخصيص الالفاظ بمعانيها الى سعة الاشتقاق فى اللغة العربية على قواعده التى تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فان الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفصل عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ، فياتى الاسم معبرا عن واقع فعله عن المقصود بوصفه وتصلح المادة الواحدة أساسا كاملا من المعانى المتفرعه عليها (٢٥) .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية أو يسرى منها الى معانى تناسبها وقد تخالفها فى بعض عوارضها .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الاوزان بمقدار ما يحتاج اليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه والمتكلم هو صاحب الشان فى اختيار

---

٢٥) العقاد ، اشتات مجتمعات ، ص١٠٠ ــ ١٠١ .

الكلمة وليست الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لانها وضعت من أصلها ارتجالا أو محاكاة لصوت أو تلفيقا للاجزاء من مختلف المواد ·

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للمره أو للهيئة أو للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة الملازمة والصفة المرتهنه بالحدث والزمان (٢٦) ·

فالمتكلم المميز هنا هو صاحب الشان فى تصريف المشتقات على حسب اغراضه واحتمالات تفكيره واللغة وصلت على السنة المتكلمين بها الى خلق القواعد التى يتبعها تكوين المفردات قبل ان تعرض لهم الحاجه الى استخدام جميع تلك المفردات أو انشاء الكلمات المرتجله مع كل مشاهده تاتى للمتكلم بشىء جديد يحتاج الى لفظ جديد ولذلك لم تضع الرابطه الاشتقاقيه بين الالفاظ العربية على اختلاف عصورها وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتها ومساكنها فكلمة « طائرة » وسيارة وهاتف واشتراكية ولدت فى هذا العصر ومع ذلك فان الرابطة الاشتقاقية لم تصنع بينها وبين طائر ومسير وهاتف الجن وشرك مع ان بين ميلاد تلك الالفاظ وقريباتها هذه مده تزيد على خمسة عشر قرنا · ولانزاع فى ان منهج اللغة العربية فى الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعانى والنماذج لا يسهل اداؤها فى اللغات الأخرى فى نطاق التركيز الاعلامى الذى هو سمة الأسلوب العربى الأصيل ·

فالالفاظ المنتسبه الى أصل واحد تشترك فى قدر من المعنى وهو معنى المادة الاصلية العام كالطيران فى طائرة والسير فى سيارة وتسير والاشتراك فى الشرك والاشتراكية ويقابل هذا المعنى المتداول أن العنصر الثابت من اللغة والمكون من جزء مادى هو الحروف الثابتة فى مادة الكلمة وجزء معنوى هو معناها العام ، هو أداة النمذجه ووسيلة الاتصال بين جماهير الأمة العربية :

واذا كانت النمذجة فى لغة الاعلام لا تقتصر على الشخصيات بل تتجاوزها الى الأفكار والمذاهب والعقائد بحيث أصبحت هناك افكار ثابتة عن الشيوعية أو الراسمالية وتتلقى الجماهير ثقافتها ومعلوماتها من خلال هذه

---

٢٦) نفس المرجع ص١٠٢ ·

النماذج ، فقد كانت العربية من أوائل اللغات استخداما للنمذجة عن طريق استخدام العام مثلا فى بعض ما يدل عليه لسبب اجتماعى ما يزيل تقادم العهد عموم معناه ويقصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله ولدينا فى اللغة العربية آلاف من أمثلة هذا النوع ٠

فمن ذلك جميع المفردات التى كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها فى الاسلام فى معان خاصة تتعلق بالعقائد او الشعائر أو النظم الدينية : **كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود ٠٠ الخ**

فالصلاه مثلا معناها فى الأصل الدعاء ـ كما جاء فى القرآن الكريم : « **وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم** » ـ ثم شاع استعمالها فى الاسلام فى العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء حتى أصبحت لا تنصرف عند اطلاقها الى غير هذا المعنى ٠ والحج معناه فى الاصل قصد الشىء والاتجاه اليه ثم شاع استعماله فى قصد البيت الحرام ، حتى اصبح مدلوله الحقيقى مقصورا على هذه الشعيره ، الخ ٠٠

وتقوم النماذج فى اللغة العربية كذلك على اساس كثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى لسبب اجتماعى ما يؤدى غالبا الى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله ٠ فمن ذلك مثلا فى اللغة العربية كلمات المجد والافن والوغى والغفران والعقيقه ، الخ ٠٠ فالمجد معناه فى الاصل امتلاء بطن الدابه من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازا فى الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصلى واصبح حقيقه فى هذا المعنى المجازى ولهذا السبب نفسه انتقل معنى « **الافن** » من قلة لبن الناقلة الى نقص العقل وانتقل معنى « **الوغى** » من اختلاف الأصوات فى الحرب الى الحرب نفسها ، الخ ٠٠٠

ان هذه الخاصة فى اللغة العربية من نمذجة للمعانى تستهدف التبسيط فى شكلها المتسع المتنوع الموجود فى العربية مما يؤكد خصائصها الاعلامية كمعنى الفاعلية والمفعولية والمكانية وهى ليست انماطا ثابته لا تتغير ولكنها ترتبط بالتطور الفكرى والاجتماعى وحاجته الى نماذج أو انماط جديدة وقد حدث شىء من هذا فى تاريخ العربية فقد استعمل فى العصر العباسى ما سموه **بالمصدر الصناعى** كالانسانية والحيوانية وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفة لحاجتنا اليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية والاشتراكية وغيرها ٠

ان اوزان العربية وأبنيتها هى أحدى مقوماتها وخصائصها المميزة ، وهى كما تقدم تقوم بوظيفة أعلاميـة معرفيـة وبوظيفة فنية ، فالكلمات التى تستعمل للغرضين كثيرة فى اللغة العربية وليست بهذه الكثرة فى اللغـات الأوربية ٠

العربية لغـة الاعـلام :

وظاهر من جملة هذه الملاحظات أن اللغة العربية تتضمن فى ابنيتها الوظيفية الهادفة ، وتتضمن اتصـالا ناجحا اساسا الوضوح والسـهولة والسلاسة ، وتركيبها والفاظها ، وهى جميعا خصائص اعلامية : فهى لغة معرفية تقوم على الوظيفيه والتبسيط ، وهى لغة عمليـة تعبر عن الحيـاة والحركة والعمل والانجاز لانها لغة قوم يتلازم عندهم القول والتفكير والعمل فى حياتهم فقول العربى تفكيره ، وتفكيره بدء لعمله ، ولذلك اعتبره الشاعر الجاهلى زهير أحد شطرى الانسان اذ قال : « لسان الفتى نصف ونصف فؤاده » ٠

تلك بعض السمات فى اللغة العربية ، هى اللغة المؤثره حقا ٠

ومن الطريف أن هذه اللغة الحية هى نفس اللغة التى اقتربت من الأدب عند الجاحظ بأسلوبها السهل الممتع القوى المعبر المتدفق فى حيويه وأيقاع ٠

ومن ذلك يبين أن اللغة العربية ـ وهى وعاء العقل العربى ـ تتميز بخصائص اعلامية نشات فيها من روح الأمة العربيـة وتجاربها المتراكمه المستمرة ، وتدل على مرونة اللغة العربية واستجابتها لمتطلبات الحيـاة ومقتضيات الحضارة وتدل كذلك على الذهن العربى المتمتع بالنقاء والصفاء والتفتح والانطلاق وكل ذلك من معطيـات الطبيعة الصحراوية وانعكس كل ذلك على اللغة العربية وظهرت فى مفرداتها وتعابيرها الخصائص الاعلامية النابعه من هذه المعطيات نفسـها فنجد فى أقوال العرب : اللفظ المعبر ، المسـئول عن وظيفته فى الجملة ، والجملة الصحيحة المسـئولة عن دورها ووظيفتها فى تأدية الفكرة وايضاح المعلومات ٠

الفصل الخامس

لغة التعبير الاعلامى

تقدم أن اللغة ـ شانها فى ذلك شان الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور فى مختلف عناصرها : اصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها وأنه ينبغى علينا ان نربط بين دراستنا للغة ودراستنا لانواع النشاط الاجتماعى والانسانى الأخرى وأن نفسر دلالة كل لفظ فى إطار السياق الحقيقى الذى تنتسب اليه ، واللغة بهذا المفهوم تعد نمطا من انماط السلوك البشرى لا يؤدى مجرد وظيفة ثانوية بل يؤدى دورا وظيفيا خاصا به ـ دورا فريدا لا يمكن أن يحل محله شيء آخر والكلمات المنفردة هي فى الواقع تصورات لغوية لا وجود لها فى الحقيقة اذ انها نتاج تحليل لغوى متطور ٠٠ ذلك لان طريقة الجماعة اللغوية فى التفكير والشعور واسلوبها فى تجربة العالم واتخاذ موقف منه لا تتوقف فى الحقيقة على بنية اللغة ، وما يطرأ عليه اثناء تطورها التاريخى المستمر من تغييرات أو يعرض لها من تقلبات ومصادفات ـ بل تتوقف على واقع الحياة التى تعيشها الجماعة اللغوية وتتحدد بالظروف الموضوعية التى تحيط بالناس ٠

فليست اللغة ـ على حد تعبير الدكتور جنتر هينزه ـ هى التى تحدد التاريخ ـ بل أن الناس هم الذين يحددونه من خلال صراعهم الدائم مع العالم ، ومواقفهم المختلفة من الواقع ومواجهتهم المستمرة للبيئة ٠

فلم يسبق من قبل ان كان للكلمة المنطوقة او المكتوبة مثل مالها اليوم من قوة وسلطان ، فأصبحت تصل الى كل هذه الاعداد البشرية التى تقرأها أو تسمعها فى وقت واحد « أن عصرنا وهو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية هو كذلك عصر الوسائل الجماهيرية الحديثة (١) » ٠

لقد بلغ التواصل بين الناس اقصى مداه واضخم ابعاده فقراء الصحف والكتب والمجلات يتزايد عددهم كل يوم وأجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة

---

١) مجلة الفكر المعاصر العدد ٦٤ ـ القاهرة ١٩٧٠م ٠

تدخل الكلمة المنطوقة فى كل بيت وتؤثر فى نفس الوقت على تفكير مئات الألوف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وارادتهم وسلوكهم ·

وتصبح الوظيفة الاجتماعية للغة ـ موضوع « علم الاعلام اللغوى » الذى يدرس المنفعة العلمية للغة ، بحثا فى ذلك الاستخدام الذى لا يهدف من ورائه الى توصيل « معنى أو مغزى أو دلالة لغوية معينة » بل يرى اللغة وظيفة اجتماعية بحتة ·· بحيث لا يمكن فصل الناحية اللغوية للعبارة عن السياق الاجتماعى والثقافى ـ فاللفظ يرتبط ارتباطا قويا بالموقف الذى يحدث فيه ـ اى بالناس والاشياء التى يتعاملون بها ـ هـذا مما حـدا بمالينوفسكى ان يقول عبارته الماثورة فى مقاله « مشكلة المعنى فى اللغات البدائية » الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما البعض ارتباطا لا ينفصم ، وسياق الموقف لاغنى عنه لفهم الالفاظ ·

ويذكرنا كورتسبسكى ان اغلب مشكلاتنا الاجتماعيـة متركزة حـول مصطلحات غامضة كثيرة الصور ـ وهذه المصطلحات تتداخل مع انفعالاتنا تداخلا نتج عنه ان استجاباتنا الدلالية تصبح مختلطة ايما اختلاط ـ ويرجع كورتسبسكى الانحرافات الشخصية والقوميـة والعالميـة الى « ردود افعـال عصبية ـ دلالية تستلزم اعادة التربية » ·

ويقول كورتسبسكى « ان اكثر شقائنا فى حياتنا لا ينشأ فى الميدان الذى تنطبق عليه كلمة « صادق » او كاذب بل فى الميدان الذى لا تنطبق عليه احدى هاتين الكلمتين اى فى المجـال الكبير مجـال الوظيفة النسبية وخلو المعنى حيث ينعدم لا محالة » ويصف كورتسبسكى الرموز مثلا « النقود » بانها تجريدات بالغة القوة تحكم حياتنا عن طريق الذين يسيئون استعمالها ـ اى الذين يبرعون فى استعمالها استعمالات مضللة ويرى كورتسبسكى اخر الامر كما رأى ثورمان ارنولد ان حل مشكلاتنا يتلخص فى أن نعثر على من يستعمل رموزنا استعمالا صحيحا · وقد درس ارنولد مشكلة « الرموز بما فيها الكلمة وناقش سلطاتها علينا وحلل فى كتابه المشهور « فولكلور الرسمالية (٢) القوة السحرية التى تمتاز بها بعض العبارات الاسرة فى اللغة الانجليزية الاميركية مثل الدستور ومؤسسو هذا البلد تحليلا يثير

---

٢) The Folklore of Capitalism
The constitution of the founders of this country

الضحك المر والسخرية وقضية ثورمان اننا يحكمنا من يسيئون استعمال ما للكلمات من سلطان ، موجهينه الوجهة التى يرضونها ولكنه لا يقدم اقتراحا لوقف هذه الاساءة اللهم الا القيام بتمرينات « مقوية » فى تعريفات الكلمات والموضوعات ٠

وهكذا يبدو لنا ان اتباع كورتسيسكى من امثال ستيورات تشيزوهاياكاوا قد اهتموا بابراز مدى حاجتنا الى توضيح الموضوعات والاشياء والاسماء فى مجالات ـ مختلفة كالقانون ، والاقتصاد والحكم والادارة والاجتماع ، ولكنهم يسرفون فى الوعود اذ يرون اننا حالما نصل الى التعريفات الواضحة للموضوعات والكلمات ، وحالما نبحث الكلمات التى لا معنى لها فاننا نصل الى حل مشكلاتنا الاجتماعية ٠

ومعنى ذلك ان هذه المدرسة ترى أن الدراسة الدلالية ـ وهى دراسة لغوية فى اصلها ستحل المشكلات الاجتماعية غير اللغوية كالفقر ، والجهل والحرب ٠٠ الخ ٠ ولكن لا شك أن قراءهم تعتريهم خيبة الأمل أو يصيبهم اليأس عندما يدركون آخر الأمر أن « التحليل الدلالى » لن يحل لهم مشكلاتهم الاجتماعية على أى وجه من الوجوه (٣) ٠

ولكن الذى لا شك فيه أن الخلط المقصود من استعمال الكلمات ـ والتفنن فى تضمينها ايحاءات مخالفة ـ مسائل تمارسها مجتمعاتنا المتحضرة على نطاق واسع وخاصة فى مجالات الاعلام السياسى والاتصال بالجماهير ولا شك أيضا أن علماء الدلالة يستطيعون أن يقدموا للاعلاميين وعلماء النفس وغيرها من المشتغلين بالاتصال الجماهيرى عونا صادقا لحل مشكلات انحراف الرأى واساءة استخدام الرموز (٤) ٠

وقد اهتم علماء العرب بدراسة موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى ـ فقال متى بن يونس لابى سعيد لا حاجة بالمنطقى الى النحو ، وبالنحو حاجة الى المنطق لأن المنطقى يبحث عن المعنى والنحوى يبحث عن اللفظ ، فان مر المنطقى باللفظ فبالعرض وأن مر النحو بالمعنى فالمعنى اشرف من اللفظ ، واللفظ أوضح من المعنى (٥) ٠

---

٣) د٠ ابراهيم امام العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة) ٠
٤) د٠ ابراهيم امام الاعلام والاتصال بالجماهير ص١٣٠ ٠
٥) ابو حيان التوحيدى : المقابسات (المطبعة الرحمانية) ص٧٤ ٠

وتناوله اللغويون فكتبوا فيه الرسائل اللغوية ، ثم اتسع الأمر بهم واشتدت الحاجة الى المجامع اللغوية ، فآل الأمر الى المجامع والمعاجم على أنهـا مجموعات ضخمة لالفاظ العربيـة تعكس لونا من الوان التطور فى استخدام الالفاظ ٠

على ان اللغويين الأقدمين ذهبوا الى اعتبار اللغة الفصيحة مقصورة على المستعمل منها فى لغة الشـعر الجاهلى ولغة الصـدر الأول للدولة الاسلامية ، وفى ذلك انكار للغة ذاتها وجعلها أشبه ما تكون بالتحفة الأثرية التى حرص عليها ويحتفظ بها لانها علق نفيس شانها شان سائر الاعلاق النفسية والعاديات العتيقة (٦) ـ وذلك ان اللغة كما تقدم من صنع المجتمع وفى ذلك ما يجعلنا نذهب الى ان هذه اللغة لابد أن تتطور فتساير الزمان والمكان ٠٠ لان المشكلة اللغوية تتعقد فى حضارة العصر ـ التى تتطلب أدوات لغوية تترجم عنها ترجمـة صادقة وليست اللغة العربيـة بعيدة عن التطور فالالفاظ العربية كما يدل البحث التاريخى كانت عرضة للتبدل الذى اقتضاه الزمان وتقلب الاحوال والنظم الاجتماعية وما الالفاظ الاسلامية الا لون من الوان هذا التطور الذى عرض للفظة العربيـة البدوية القديمـة فاستحالت شيئا آخر يقتضيه الدين الجديد والبيئة الجديدة ٠

وحين ننظر فى لغة الاتصال بالجماهير التى تستعملها اليوم أجهزة الاعـلام العربى ، ممثلة فى الخبر والمقـال الصحفى والحديث والتقرير الصحفى والمقابلة الاذاعية والتلفزيونية نجد أنها لغة مباشرة تصل الى الهدف الذى نقصده بطريقة فورية وتنصب عليه متجنبه اختيار الايحاءات الجمالية والفنية للالفاظ ولايثارها هذه البسـاطة والمباشرة فانها تتخلى بالتدريج عن العبارات المقتبسة والأنمـاط المحفوظة المتوارثه التى يعافها الذهن الذكى وتاباها روح المعاصرة ٠

ومن هنا كانت هذه اللغة الاعلامية تؤثرأن تقول (٧) :

عرض للبحث بدلا من عرض على بساط البحث ٠.

---

٦) ابراهيم السامرائى التطور اللغوى التاريخى ص٣٩ ٠
٧) فاروق شوشة ـ مجلة الهلال ابريل ١٩٧٠ ـ القاهرة ٠

وقاتل ـ بدلا من خاض غمار القتال ... واشتد القتال بدلا من حمى وطيس القتال ..

و ـ انتهت الحرب ـ بدلا من وضعت الحرب أوزارها .

و ـ صب غضبه ـ بلا من صب جام غضبه .

و ـ نتحدث ـ بدلا من نتجاذب أطراف الحديث .

وهل منا الآن من يقول : الحرب الضروس أو الموت الزؤام ؟ وفى استغنائنا عن كل هذه التعابير التى تشبه الكليشهات الثابته اقتصاد ذهنى ومادى هو سمة من سمات لغتنا الاعلامية المباشرة (٨) .

كما اصبح المخبر فى الصحيفة أو الاذاعة يكيف الأخبار وفقا للقالب الصحفى او الأذاعى المطلوب ـ مع حرص على القواعد المصطلح عليها فى النحو والصرف والبلاغة وما اليها .

واذا كانت اللغة الاعلامية تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها فانها تحاول كذلك أن تحرص على خصائص اخرى فى الأسلوب وهى البساطة والايجاز والوضوح والنفاذ المباشر والتاكيد والاصالة والجلاء والاختصار والصحة ، فاصبحت اللغة الاعلامية تجنح الى الاستغناء عن الكلمات الزائدة كاداة التعريف التى لا لزوم لها مثل : شبت النار فى القرية بحيث تكون أقوى فى لغة الاعلام حين تكون : شبت نار فى القرية ـ اما أدوات التعريف اللازمة فلا تستغنى عنها اللغة الاعلامية بحال من الاحوال .

كما تستغنى اللغة الاعلامية عن الافعال التى لا قيمة لها مثل : قام باعداد بحث بحيث تكون أقوى فى لغة الاعلام حين نقول : أعد بحثا .

وتستغنى لغة الاعلام عن الصفات وظروف المكان والزمان واحرف الأضافة مثل دمرت السيارتان تدميرا ـ وتقول لغة الاعلام دمرت السيارتان ومن هنا تؤثر اللغة الاعلامية أن تقول :

ـ عمارة من ثمانية عشر طابقا بدلا من عمارة عالية من ثمانية عشر طابقا .

---

٨) المرجع السابق .

كان من الذين غـادروا القطار ـ بدلا من كان بين الذين غـادروا القطار ٠٠ الخ كما تجنح هذه اللغة الاعلامية الى الاستغناء عن احرف ربط الكلمات فتؤثران تقول : قال فى حديثه ، بدلا من : وقد قال فى حديثه ٠

وتستغنى كذلك عن الأسماء المعروفة فتؤثر أن تقول جاء من الاسكندرية بدلا من جاء من الاسكندرية فى الوجه البحرى ـ ولا تميل لغة الاعلام الى الجمل الطويلة وتؤثران تقول :

ـ استغرقت المناقشة نحو ساعتين بدلا من :

استغرقت المناقشة مدة تقرب من ساعتين :

ومن أهم سمات اللغة الاعلامية استخدام الالفاظ البسيطة الصحيحة الواضحة فتؤثر استخدام الكلمات القصيرة المألوفة على كل ما عداها من كلمات فتستخدم حريق بدلا من اتون وسافر بدلا من ظعن ٠٠ الخ ٠

وقـد تسللت بعض التعبيرات والأساليب الى لغتنا الاعلاميـة بفعل الترجمة من اداب ولغات أوربية ، مثل ذر الرماد فى العيون ـ يكسب خبزه بعرق جبينه ، لا يرى ابعد من أرنبة انفه ـ يلعب بالنار ـ لا جديد تحت الشمس والقى المسالة على بسـاط البحث وتوتر العلاقات ويلعب دورا خطيرا فى السياسة أو التاريخ أو شئون الحياة العامة وأن هذه القضية تشكل خطرا دائما على السلام أو ان هذا العمل يشكل ازمة من ازمات الأمم المتحدة ٠

وقد كان من أثر الترجمة الصحفية وهى جزء هام من اقسام الاخبار الخارجية فى الصحف العربية استخدام أسلوب جديد لا علاقة له بالادب بل ان اللغة العربية استخدمت تراكيب جديدة مستمدة من طبيعة تعبير اللغات الاجنبية ومثال ذلك شيوع استخدام الجمل الأسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة فهذه هى طريقة التعبير الاوربى تماما بالجمل الأسمية المستقلة التى تجعل فيها النقط والوقفات فقرات ٠

وطريقة تحرير الأخبار الصحفية المترجمة من أجهزة « التيكرز » أو المبرقات الصحفية قد ساعدت على تطوير أسلوب صحفى جديد على اللغة العربية تتناثر فيه الجمل وتستقل عن بعضها البعض فى وحدات ذات مغزى غير ان هذا الأسلوب الأخبارى الصحفى سرعان ما أخذ يغزو فنون الاعلام

الأخرى حتى طغى على المقال والتحقيق والحديث والعمود واليوميات وغيرها ٠

وتقدم ان من الأمثلة الطريفة على الفرق بين لغة الاعلام ولغة الادب عنصر التكرار الذى يعتبر عاملا هاما للقضاء على الغموض وازدواج المعنى فالصحفى لا يتردد فى تكرار كلمات معينة بغرض الوضوح وتبديد كل غموض محتمل ٠

وفى سنة ١٩٤٠ نشر « بريل » كتابا عن الالفاظ الأساسية فى الجرائد اليومية فى مصر « وفيه دراسة احصائية للالفاظ الواردة فى الصحف اليومية فى مصر فى المدة ١٩٣٦ ـ وسنة ١٩٣٩ وبلغ ما احصاه من الالفاظ المستعملة ـ ١٣٦ الف كلمة وكانت النتيجة التى وصل اليها ـ بريل تتفق والنتائج التى تحدث عادة فى احصائية الالفاظ فى اللغات وهى ورود عدد مرتفع من الكلمات بالنسبة لغيرها ٠

واثبت بريل ان خمسمائة كلمة ترد حوالى ٦١٪ من نسبة مجموع الكلمات وأن الف كلمة ترد حوالى ٧٦٪ من نسبة مجموع الكلمات أى ان الف كلمة تكون ثلاثة أرباع الثروة اللغوية للكاتب ٠

ولذا يذهب أصحاب اللغة الى أن تعليم اللغات يجب أن يسبقه احصاء شامل للالفاظ حتى يعتمد اختيار الالفاظ على كثرة ورودها فى الاستعمال ونرى أن هذا الاحصاء الزم ما يكون فى علم الاعلام اللغوى لتحقيق المنفعة العملية للغة ٠

وقد لاحظ لانداو فى دراسة اللغة العربية أن اكثر الالفاظ المختارة فى كتب تعلم اللغة العربية لا تفى بالحاجة لانها تختار على غير أساس عقلى ٠

واستعان لانداو بعدد من مساعديه فى احصاء الالفاظ وعمد الى اتمام العمل الذى بداه بريل ، فاختار ستين كتابا من مصر ألفت فى موضوعات متباينة لكتاب مختلفين فى التاريخ والاجتماع والاقتصاد ووصف الرحلات وغيرها وقلة فى الادب الرفيع ونشر نتيجة بحثه فى كتاب ظهر فى نيويورك سنة ١٩٥٦ تحت عنوان احصاء اللفظ فى النثر العربى الحديث ، وقد اثبت ٤٠٠ ـ ١٢ وحدة لفظية تشمل على حوالى ٠٠ ـ ٧٢ كلمة ٠

وجمع فى القسم الاول من كتابه الالفاظ مرتبة ترتيبا هجائيا ، وفى القسم الثانى رتب الالفاظ على حسب نسبة ورودها ثم اضاف اليها نسبة ورودها فى الصحف اليومية عن بريل كما وضح النسبة بين ورودها فى المنشور وبين ورودها فى الصحف اليومية ·

وكانت النتيجة التى وصل اليها أن الخمسمائة كلمة الأولى نسبتها ٥٦٪ من مجموع الالفاظ تقريبا بدلا من ٦١٪ فى الصحف وان الالف كلمة الأولى نسبتها ٧٠٪ من مجموع الالفاظ بدلا من ٧٦٪ كما هى فى الصحف ·

ويرتبط هذا الاحصاء بالمادة التى يقع عليها الاختيار فاذا كان لانداو قد اختار من كتب الأدب قدرا اكثر ولم يقم للغة الصحف هذا الوزن لجاءت نتيجة الاحصاء مغايرة بعض الشىء كما يقول الدكتور مراد كامل أى لما جاءت كلمة حكومة مثلا فى المكان الخامس والعشرين من الترتيب ··· ولما جاء لفظ الجلالة الله فى المكان الثامن عشر ·

وكذلك يؤثر تحديد معنى الكلمة فى الترتيب فنجده قد اعتبر مثلا الكلمة وصيغ اشتقاقها وتصريفها كلمة واحدة وعد جمع التكسير كلمة لذاتها اما الصفة فقد عدها احيانا كلمة لذاتها مثل بيضاء وأبيض وأحيانا كلمة واحدة مثل « اكبر » وكبير وعد كلا من الظرف واسم الفعل كلمة لذاتها اما اسماء الفاعل والمفعول فقد عدها مع فعلها وعد الكلمة التى تشترك لفظا وتختلف معنى ـ على حسب معناها مثل « مرشح » فى الانتخاب أو من البرد « وقص قصة أو بالمقص والجد (ابو الاب أو الحظ أو الاجتهاد) ·

وقد افاد هذا الاحصاء من ناحية أختيار الالفاظ ونسبة ورودها · ولكن تنقص هذه المحاولة دراسة أدق وبحث أعمق وتفصيل أوضح فى اطار علم الاعلام اللغوى بحيث تتيح فرصة لمن اراد معرفة الالفاظ التى يكثر ورودها فى لغة الاعلام . الأمر الذى يعمل على انتشار العربية الفصحى لتقف على قدم المساواة مع اللغات العالمية الواسعة الانتشار ·

وتمتاز هذه اللغة الاعلامية لغة الاتصال بالجماهير أيضا بالمرونه والقدرة على الحركة فهى لغة حركية وهذه الصفة تتمثل فى استيعابها لمنجزات الحضارة وروح العلم وواقعية المجتمع الجديد ـ وهذه المرونة هى التى تكسبها جمالها ، والجمال شرط اساسى لاى لغة · على أن اللغة الاعلامية العربية تؤثر الافصاح فى التعبير عن ذلك كله تارة بالتنقيب فى كمائن اللغة عن الكلمات العربية التى تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات ،

عادية كانت أو معنوية وتارة باستحداث الفاظ وصيغ من المادة العربية تسد الحاجة الى التعبير الحضارى فى حياتنا الراهنة ، يقول محمود تيمور (٩) ·

ولم يبق كبير جدال فى اننا الى الفصحى جانحون وعن الدخيل والعامى متجافون وحسبنا أن الفصحى هى فى يومها الحاضر ـ كما كانت على توالى الحقب فى حضارة العرب لغة علم ومعرفة للامة العربية فى رحابها الفساح ·

لذلك بات من واجبنا أن نمكن لهذه الفصحى فى ميدان التعبير الحضارى الشامل للحياة العامة فى البيت والمصنع والمتجر والسوق حتى يجد الكاتب حاجته منها سهلا منالها حين يتوق الى الافضاء بما يخطر لفكره من معنى أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من اداة ·

ولقد كان للوعى اللغوى اثر بالغ خلال الحقبة الماضية فى امداد الفصحى بالمئات من الكلمات التى عبرت عن جديد الحضارة وما زالت جهود اللغويين والباحثين والمترجمين والكاتبين عامة تتواصل فى هذه السبيل ويظهر انتاجها فيما تنشر الصحف السيارة من أنباء ورسائل وفيما تخرج المطابع من مؤلفات ونشرات ·

ولقد كان موقف مجمع اللغة العربية من الفاظ الحضارة موقفا طيبا حين اقبل على المسميات الدائرة فى الحياة العامة يعالج ان يتخذ لاسمائها الاجنبية بديلا مستمدا من الكلم الفصاح وهو نفس الموقف الذى اتخذه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى فى حملته لمحاربة اللفظ الدخيل فى العالم العربى ، وما نجد ثماره فى معجم قل ولا تقل والذى تطالعنا به مجلة اللسان العربى ·

وجاء هذا الموقف ضرورة بالنسبة لالفاظ الحضارة وكلمات الحياة العامة مما تمس اليه حاجة الاستعمال فى البيوت والشوارع والاسواق ، اذ الكاتب او الصحافى انما يكتب كلاهما ليفهم القارىء فى المحيط العام فلزام عليه أن يستخدم من اللفظ ما هو مألوف لديه ـ متعارف عنده فان عدل عن المألوف المتعارف الى غريب من اللفظ غير مأنوس جديد غير شائع اظلم قوله وغم تعبيره وانقطع بينه وبين قارئه خيط الابانه والافهام ·

---

٩) ابو حيان التوحيدى ـ معجم الحضارة ص٢ ·

من هذه الكلمات الفصاح ما صارع كلمات دخيلة تمكنت واستقرت حتى لم يكن احد يحسب أن فى الامكان اقتلاعها واحلال غيرها محلها فى مجال الاستعمال • ولئن دل هـذا على شيء ، انه ليدلنا على ان اسـتقرار الكلمات الاجنبية وثباتها لا يدعو الى الاستعمال لها •• واليأس من تغييرها• فالمحاولات المتجددة المثابره لكفيلة ببلوغ الغاية •• مادام تغليب الفصـيح نزعة النفوس ووجهة الأذواق (١٠) •

فى السعودية وفى لبنان وفى الكويت تستعمل كلمة الهاتف مكان كلمة التليفون وتستعمل كلمة الحافلة مكان كلمة الاوتوبوس وفى مصر تشيع فى الصحف كلمة الدراجة النارية مكان كلمة الموتوسيكل وكلمة اللافتة مكان كلمة اليافطة •

فان لم تكن تلك الكلمات الاجنبية واشباهها قد زالت دولتها فانها على مدرجة الاختصار وان لم يكن بديلها من الكلمات الفصاح قد شاع كل الشيوع فانه على وشك أن يكون صاحب غلبة وسلطان (١١) •

منذ قليل أخذ بعض الكتاب يتحدثون عن جهاز اخترعه رودلف كيلر يفيد المحققين ورجال الأمن فى تسجيل ظواهر جسمانية ونفسية تكشف عن كذب القول وزيف الادعاء ، واسم هذا الجهاز « بوليجراف كيل فارع » فذهب كاتب الى تسميته جهـاز الحقيقة وسـماه كاتب آخر المفضـاح والكاتبان كلاهما يسايران نزعة الافصاح فى التعبير بلفظ عربى يؤدى مؤدى ذلك اللفظ الاجنبى •

وفى مناسبة مرور خمس وعشرين سنة على أنشاء الطيران فى مصر ـ تنوقلت كلمة اليوبيل الفضى بقدر ضئيل ، أما الكثيرة من الصحف فكانت تستخدم كلمة العيد الفضى متجافية عن كلمة اليوبيل التى كانت الغالبة فيما مضى من زمن قريب •

وفى ساحة اللغة الرياضية ـ لعبة كرة القدم جد اللاعبون ومن اليهم من تلقاء انفسهم بمعزل عن مجامع اللغة وفى غير فرض من أحد تسمية ما يتصل بهذه اللعبة من ظواهرها وأدواتها بأسماء عربية فصاح تغلبت الى

---

١٠) محمود تيمور معجم الحضارة ص٥ •
١١) المرجع السابق ص٦ ، ٨ •

شأو بعيد على مقابلاتها من الكلمات الاجنبية التى اقترنت بتلك اللعبة فى طرونها على حياتنا الحديثة فكلمة « الفوت بول » فازت عليها كرة القدم وكلمة التيم صرعتها كلمة الفرقة او الفريق ، وكذلك نتيجة المباراة بين منتخب الهاف تيم والجول والباك ومنتخب والشـوط والهدف والظهير حتى لقـد أصبح الريفرى حكما بلسان عربى مبين (١٢) ٠

وفى هذا الصـدد تقرأ نبذة كتبها مراسل رياضى فى احـدى صحف الصباح واصفا بها مباراة رياضية قال :

الضباب الكثيف يخيم على الملعب والرؤية عسرة ولم يبق من المباراة سوى ثمانى دقائق واحد الفريقين فائز على الآخر بهدف واحد ٠٠ وفجأة تختفى الكرة ويبحث الحكم عنها ٠ الى آخر ما جاء فى النبذة ٠

هذا المراسل الرياضى اللغوى يستعمل فى فقرة قصيرة أربع كلمات فصحية هى بماراة للماتش وفريق للتيم وهدف للجول وحكم للريفرى ٠

وهناك مراسل فنى يدبج نبذة عن صنع التماثيل فى احـدى صحف الصباح يقول فيها : ـ الفن والعلم انهـا يتعاونان فى وحدة الحراريات والخزف وترى فى الصـورة الفنانة وهى تضع لمسـاتها الاخيرة لتمثالين صغيرين عن الفلاحة ٠

ذلك اية ما يسود الصحافة العربية اليوم من اتجاه جديد نحو التحيز للالفاظ الفصاح والسمو بالأسلوب الكتابى (١٣) ٠

ليس بدعا اذن ما نلاحظـه من وفرة الكلمات الجديدة التى صنعها الاعلام واستعملها كتابه محاولين بها اقصاء الكلمات الاجنبية الدالة على مسميات فى ميدان الحياة العامة ، فالاعلام بذلك يسهم فى تحقيق أغراض المجامع اللغوية وهيئات التعريب ، ويشيع من فصيح الفاظ الحضارة ما يشيع ويسهم فى تطور الوعى اللغوى والنقمة على الكلمة الدخيلة الملموسـة أو العامية المبتذلة تزداد على الايام ٠

بالامس كانت كلمة البوستة والبوستجى هما الشائعتان فى الاستعمال نطقا وكتابة ، وما يسوغ اليوم لكاتب ان يكتبها عادلا عن كلمة البريد والساعى أو الموزع ٠

١٢، ١٣) المرجع السابق ص٦ ـ ١٠ ٠

وبالامس القريب أيضا كانت كلمة التايبريتر هى صاحبة السيادة وكادت اليوم تنزع عنها سيادتها كلمة « الآلة الكاتبة » ٠

على ان المعركة حول الالفاظ الحضارية الدخيلة التى تدور فى حياتنا العامة ما لبثت أن أسفرت عن مباراة بين الفاظ عربية يحاول بعضها أن يتغلب على بعض فى الدلالة على تلك المسميات ٠

ذاعت فى مصر كلمة المذياع للدلالة على الراديو وفى لبنان يحاولون ان ـ يستبدلوا بكلمة الراديو كلمة المواج ٠

وهكذا انتقل الكفاح اللغوى من حرب بين الالفاظ العربية والالفاظ الدخيلة الى تنازع البقاء بين الالفاظ العربية اعيانها فى مختلف بلاد الناطقين بالضاد بغية انتخاب الاصلح الذى تكتب له الغلبه والشيوع ، وما اكثر الفرق بين الحالين ، فالمباراة بين المعرب والدخيل تهديد بهزيمة لفظ عربى فاما المباراة بين الالفاظ العربية بعضها وبعض فلن تكن نتيجتها الا انتصار اللفظ العربى على أية حال (١٤) ٠

وفى اللغات الاجنبية نسمع أو نقرأ كلمات متداولة فاذا بحثنا عنها فى المعجمات العصرية الحاضرة لتلك اللغات لم نقف لها على أثر وذلك لان تلك الكلمات لم ترتفع الى مراتب الالفاظ التى توافرت لها سلامة التعبير ومن ثم لم تقرها الهيئات الثقافية ولم تسجلها المجامع اللغوية ، فهى تستأنى بها حتى يتضح الأمر فى شانها ليكتب لها الرفض والزوال أم يتاح لها القبول والاستقرار ٠

يقول محمود تيمور :

لقد عن لى ان اتمثل مجمعنا اللغوى هذا قد انشىء قبل نصف قرن أو يزيد فوردت عليه الكلمات التى كانت شائعة يومئذ من نحو الغازته أو الجونال والروزنامة والاسبتالية والخوجة والوابور واللوكاندة والاجزخانة فاذا هو قد سجلها بحجة شيوعها ومنحها جواز البقاء والاستقرار اما كان ذلك يقطع الطريق على من حاولوا من بعد احلال كلمات فصاح لتلك الكلمات الدخيلة فما كنا نظفر بكلمات الجريدة أو الصحيفة والدراجة والسياره والمالية ودار الكتب والقطار والفندق والصيدلية ٠

---

١٤) المرجع السابق ص١٣ ـ ١٠ ٠

لقد قطعت اللغة الاعلامية العربية رحلة طويلة كاملة من أجـل أن يتحقق لها شكلها المستقر المتطور الذى نراها عليه اليوم من خلال صراع الالفاظ والتعبيرات والمصطلحات من خلال قيود التزمت والمحافظة ومشاق التعريب والاقتباس والترجمة ، ومن خلال محـاولة الوصـول عبر أجهزتنا الاعلاميـة المختلفة الى القارىء والمستمع والمشاهد ·

فاللغة الاعلامية اذن هى اللغة التى تشيع على أوسع نطاق فى محيط الجمهور العـام وهى قاسم مشـترك أعظم فى كل فـروع المعرفـة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحته والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والاداب ذلك لان مادة الاعلام فى التعبير عن المجتمع والبيئة تستمد عناصرها من كل فن وعلم ومعرفة ·

وقد اكتسبت اللغة الاعلامية هذه المرونة من امتياز الفصحى بالعمق الذى يجعلها تنبض بالحياة والذى يجعلها تقوم على الترجمة الأمينه للمعانى والأفكار والاتسـاع للالفـاظ والتعبيرات الجديدة التى يحكم بصـلاحيتها الاسـتعمال والذوق والشـيوع واذا كانت لغتنا الفصحى تباهى فيما مضى بالسجع والترادف والكناية والمجاز ، فانها أصبحت اليوم تحرص على السهولة والجزالة والدقة والوضوح فهذه هى روح العصر وتلك هى مقتضياته كمـا يقول الدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيس مجمع اللغة العربية فى القاهرة ·

وعلى ذلك لم تعد لغـة الاعلام كما كانت فى لغـة الصحافة فى القرن التاسع عشر خليطا من العامى والدخيل فقـد تحقق التحول العظيم بنهضة التعليم وشيوعه وبتوافر وسائل التثقيف والاعلام وبانتعاش الوعى الجماهيرى أيما انتعاش ، وانفتح الطريق امام لغة الاعلام الفصيحة لتتسرب فى كل مكان وليكون لها فى التعبير الجماهيرى سلطان ·

وان هذا التحول لفرصة اما حراس اللغة المحافظين على سلامتها ، أو على حد تعبير الأستاذ تيمور ، لكى يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامى والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص فانهم اذا تضافرت جهودهم فى تلك السبيل أمكن لهم ان يشيعوا اللفظ فى المجالات والكتب وهى تقرأ وتسـمع فتقرع الأسماع فى المجالس والاندية والاذاعات ، ونتيجة ذلك أن يصـبح اللفظ الحضارى طعاما جماهيريا يسوغ فى الافواه كما جرى على الاقلام ·

على ان الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام قد حققت ما يهدف اليه المجمعيون من محافظة على سلامة اللغة العربية وتمكينها وهى قادرة على

الوفاء بمطالب العلوم والفنون ، كما يقول الدكتور مدكور ، بل ذلك رهن الجهد المتواصل الذى يبذل فى العالم العربى من اجل مواكبة لغة الضاد لمقتضيات العصر ، والذى يسعى ليجعلها لغة العلم المتقدم التى بدأت تفرض نفسها الآن على المحافل الدولية ويجب ذكر أن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قد أسهم بجهد كبير فى ابراز هذه الحقيقة عندما القى خطابه التاريخى فى الأمم المتحدة باللغة العربية ، ولا نغفل أن الوكالات المتخصصة ومنها هيئة العمل الدولية قد اعتبرت اللغة العربية لغة رسمية فى مؤتمراتها ٠

وعلى ذلك فاننا يمكن أن نقول أن الاعلام والصحافة بوجه خاص قد حققتا للغة العربية كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة وكل ما نادى به الغيورون على هذه اللغة من وجوب تبسيطها بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء ومن وجوب تزويدها بالحيوية الكافية حتى لا يضيق بها أحد من القراء بل من وجوب تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد أو مستحدث فى الادب والعلم والفن جميعا ٠

بيد أن لغة التعبير الاعلامى مع ذلك فى حاجة شديدة وملحة الى معجم يشمل مجموع ثروتها أى كل ما استوعبته الموسوعات اللغوية العربية القديمة والحديثة من مفاهيم وكل ما تضمنته الكتب العلمية والتقنيه العربية على اختلاف أنواعها قديما وحديثا من مدركات ودلالات اصطلاحية ، معجم يشمل هذا كله ويعرض مرتبا ترتيبا علميا باعتبار معانى المفردات والعبارات فى تبويب قويم ملائم لعقلية العصر وذوقه يتسنى معه العثور بدون عناء على الالفاظ المؤدية للمعانى التى تتردد فى اذهان المشتغلين بالتعبير الاعلامى ٠

ومن حسن حظ لغة الضاد أن الرأى العام العربى قد وعى حاجتها الى هذا المعجم (١٥) وعبر عن وعيه هذا على لسان أعضاء مؤتمر التعريب الذى أنعقد بالرباط من ٣ الى ٧ أبريل سنة ١٩٦١ والذى جعل ضمن قراراته التوصية التالية :

يوصى المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية فى العثور على الالفاظ الدقيقة لما يجول فى اذهانهم من المعانى والصور ٠

هذا المعجم الذى يفتقده رجال الاعلام العرب وتشتد حاجتهم اليه والذى أخذ المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى على نفسه

---

١٥) مقدمة معجم المعانى للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ٠

انجازه ضمن التصميم المشارى للتعريب المنشور فى شكل اخبار بعنوان « منهاج لتنسيق التعريب فى العالم العربى » وقد قام بانجاز هذا المعجم فعلا السيد الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريف الأستاذ عبد العزيز عبد الله وهو كما يقول المؤلف :

كتاب يضم بين دفتيه جميع الفاظ اللغة العربية مبوبة حسب معانيها تبويبا موضوعيا ملائما لعقلية هذا العصر وذوقه يسهل على الباحث ، ان يعثر فيه على الالفاظ المؤدية للمعانى التى تجول فى خاطره ويتوقف فى التعبير عنها كتاب يمكن اعتباره معجما للمعانى ومحيطا بكل ما فى اللغة العربية من الالفاظ والمعانى بحيث يسوغ لنا عندما لا نجد فيه اللفظ الصالح لمقابلة مصطلح اجنبى أو اللفظ المؤدى لمعنى معين ان نجزم بان اللغة العربية خلو منه فيمكن حيذاك وضع لفظ جديد ٠ (١٦)

وعلى ذلك فان معجم المعانى المنشود للغة الاعلامية ينبغى أن يتجنب الحوشى من الالفاظ وان يلغى ضدية المفردات المعروفة بالاضداد وذلك بأن بحذف من مدلول اللفظ أحد المعنيين المتضادين فيبقى محتفظا بالراجح بين أهل اللغة أو بالدقيق أو الفريد أو النادر الذى يصعب وجود لفظ آخر يؤديه أو الذى تشتد اليه حاجة التعريف ٠٠ مثال ذلك أن يحذف من مادة « بيع » معنى الشراء فتبقى مختصة بمعنى البيع كما يحذف من مادة الشراء معنى البيع ، وأن تختص مادة خفى بمعنى السر والكتمان ، وأن يحذف منها معنى الظهور والاعلان ٠٠ الخ ٠

وكذلك ينبغى الاقلال من معانى الكلمات المشتركة بحذف معانيها الغريبة أو النادر استعمالها بها مما لا تحتاج اليه اللغة العربية لوجود الفاظ اخر تؤديه ٠

كما يجب التمييز بين معانى المترادفات فى لغة التعبير الاعلامى باظهار الفوارق الدقيقة الموجودة بينها أصلا فى اللغة والمطموسة باقتضاب المعاجم شروحها وايجازها اذ كثيرا ما تورد المعاجم العربية مرادفا فى شرح لفظ بقصد تقريب معنى هذا الاخير للفهم ، لا على سبيل تحديد مدلوله بكيفية دقيقة اكاديمية ٠

---

١٦) المرجع السابق ٠

ومثال ذلك فعل « شجما » فى ثيابه فقد ورد شرحه بمفردة واحدة هى فعل تجمع فى لسان العرب لابن منظور وفى تاج العروس للزبيدى وفى المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفى متن اللغة لاحمد رضا لكن عندما يتعرض اليه معجم المعانى يورد معناه بالشرح التالى · (١٧)

وتجمع وانكمش حتى توارى فى ثيابه فلم يعد يظهر منه الا لباسه ومن شان امثال هذا الشرح أن تبعث امثال هذه المفردة من القبر الذى دفنتها فيه الشروح المعجمية المقتضبة ، والأضمن ان يترك فعل شجما ويستعمل بدله فعل تجمع ليعنى به ما يعنيه الاول تماما بدون زيادة ولا نقصان ولا أدنى فرق ؟ ·· وكذلك يمكننا ان نقول عن فعل تبدأ ـ الذى شرحته المعاجم بمفردة واحدة هى فعل « بدأ » لا غير بينما للفعل الأول معنى أدق من الثانى وذلك انه فعل المطاوعة من بدأه بمعنى جعله يبدأ قبل غيره أى بتعبير العصر أعطاه الاسبقية ، فيكون شرحه على الاصح وبالتدقيق خول له ـ أو خول لنفسه أن يبدأ قبل غيره فبدأ · ومن شان هذا الشرح أن يجنب الكاتب الوقوع فى كثير من الاخطاء التى قد تنشأ عن استعمال تبدأ بمعنى بدأ حيث لا يسوغ لغة هذا الاستعمال وعن استعمال اسم المفعول وبدأ بمعنى مفضل بينما قد يكون الشىء مبدأ من غير أن يكون مفضلا والعكس بالعكس·

وفى الحديث الشريف « الخيل مبدأة يوم الورد أى يبدأ بها فى السقى قبل الابل والغنم ، ولذلك يجتنب معجم المعانى نقل الشرح المقتضب الوارد لهذا اللفظ فى المعاجم العربية القديمة والحديثة بهذا النص « مقدم مفضل » ويشرحه على النحو التالى : ـ

رجل مبدأ مخول له أن يبدأ قبل غيره وشىء مبدأ حقيق بان يبدأ به قبل غيره ويضع قبالته المصطلح الفرنسى Prioritair والمصطلح الانجليزى Priority holder وتاسيسا على ذلك نجد أن معجم المعانى (١٨) يحقق ما سبق أن اكدنا عليه من ضرورة وجود معجم يفيد منه رجال التعبير الاعلامى محققا المنهج المنشود فى دراسة مفردات اللغة الاعلامية عن طريق البحث الاستقصائى عن المفردات فى مختلف كتب اللغة العربيــة القديمة منها والحديثة والصحف والمجلات ثم تجريد مصطلحات معاجم الترجمة الفرنسية ـ

---

١٧) عبد العزيز بنعبد الله : مقدمة معجم المعانى ·
١٨) المرجع السابق ·

العربية الانجليزية ـ العربية المختصه منها وغير المختصه وتصنيفها حسب مواضيعها ·

ويعتمد هذا المنهج كذلك على الاستقصاء فى بحث المعاجم العربية والاجنبية القديمة والحديثة عن مفردات الموضوع المعالج والحرص بقدر الامكان على مقابلة المفردة العربية باللفظ الاجنبى كما ثبت فى هذه المقابلة ·

وبذلك يتمكن التعبير الاعلامى من استخدام لغة دقيقة ـ المعرب والمبنى من جهة ويسهم فى تعميمها من جهة اخرى ـ عن طريق سعى وسائل الاعلام لتحقيق وظائفها الرئيسية من راى وخبر حتى لدى بعض الصحف التى تعتبر صحيفة راى اكثر منها صحيفة خبر ، وبالطبع يغلب على صحافة الراى الجانب السياسى والاجتماعى الذى يهم المواطنين فى حياتهم اليومية المرتبطة بالشئون العامة فى المجتمع سياسية كانت ام اجتماعية او الى جانب هاتين الوظيفتين وهما الخبر والراى اخذت وسائل الاعلام تسهم فى نشر وتنمية الثقافة ولا سيما الادب ولذلك اصبحت لها وظيفة ثقافية لغوية ونافست « الكتاب » منافسة شديدة فى اداء هذه الوظيفة بحكم انها ارخص ثمنا واكثر انتشارا واسهل قراءة من الكتب ولذلك قلما نرى اديبا لا يكتب فى الصحف ذلك لانها اقوى وسائل الاتصال بالجماهير وان كانت الأجهزة الآلية الحديثة كالاذاعة والتليفزيون اخذت تنافس الصحافة ايضا فى شتى الوظائف ومع كل ذلك فان الكلمة المكتوبة ما تزال تحتفظ بقيمتها وثباتها عند الجماهير وهذا هو السبب فى ان الاذاعة والتليفزيون لم يستطيعا القضاء على اجهزة الاتصال الأخرى بالجماهير ··· فالكلمة المكتوبة فى الصحف تتيح للانسان ان يقف عندها ليفهمها على مهل ··· ويناقشها بينه وبين نفسه ·· وفى كل هذا لا تزال القراءة اعمق واوضح وسيلة للمعرفة والفهم والثقافة ·

وبناء على ذلك يلاحظ أن الكتب والصحف والمجلات لم تختف كاجهزة للثقافة ونشر المعرفة · وفى مجال الأدب لم تكتف الصحافة بانشاء مجلات اسبوعية او شهرية متخصصة فى نشر الانتاج الادبى والفنى بل نرى الصحف اليومية والاسبوعية تخصص اجزاء منها او ملحقات خاصة بشئون الثقافة والادب والفن · وكانت فكرة الصفحة الادبية الاسبوعية قد انتشرت فى الصحافة المصرية من سنوات ·

وكثير من كتب الثقافة والادب والنقد الموجودة الآن ضمن تراثنا الثقافى العام كانت فى الأصل مقالات نشرت فى الصحف ثم جمعت بعد ذلك

فى الكتب ولاتزال تعتبر من الكتب الهامة فى التثقيف العام مثل ٠٠ المنتخبات لاحمد لطفى السيد وفى أوقات الفراغ للدكتور محمد حسين هيكل وحديث الاربعاء باجزائه الثلاثة للدكتور طه حسين ومطالعات فى الكتب والحياة لعباس العقاد وحصاد الهشيم للمازنى وفى الميزان الجديد للدكتور محمد مندور ٠

وعندما نتبين قيمة هذه الكتب التى ذكرناها وتاثيرها فى الاجيال المتعاقبة نستطيع أن ندرك الخدمة الكبيرة التى تؤديها الصحافة للغة والفكر فى المساهمة فى نشر ثمار أقلام الكتاب القادرين ٠

وصفوة القول ان للصحافة واجهزة الاعلام تاثيرا كبيرا على اللغة فمن المؤكد انها هى التى خلصت النثر العربى من الزخارف اللفظية كالسجع والطباق وغيرها من المحسنات التى كانت تعتبر عبئا على التعبير واحلت محل هذا الاسلوب المزخرف ـ الأسلوب المرسل السهل السريع الذى يحرص على المادة الفكرية والعاطفية والتعبير عنها ، اكثر مما يحرص على البهرجة اللغوية والزخرفة اللفظية ٠ وكان للصحافة فضل كبير فى خلق لغة الاعلام التى تجمع بين البساطة والجمال وسرعة الأداء والتعبير ٠

الفصل السادس

الاعلام فى التنمية اللغوية

تتاثر اللغة فى تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة ، يرجع اهمها الى اربع طوائف :

اولا : انتقال اللغة من السلف الى الخلف ·

ثانيا : تاثر اللغة بلغة اخرى ·

ثالثا : عوامل اجتماعية ونفسيه وطبيعية لحضارة الأمة وتعلمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ، وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ومناحى وجدانها ونزوعها ، وبيئتها الجغرافية وما الى ذلك (١) ·

رابعا : عوامل ادبية مقصوده تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة وما تبلغه معاهد التعليم والمجامع اللغوية ، وما اليها فى سبيل حمايتها والارتقاء بها ·· وهلم جرا (٢) ·

وحينما ننظر فى هذه العوامل جميعا ، نجد أن الاعلام يقوم بدور القاسم المشترك الاعظم بينها ، نتيجة ليسر تبادل الاعلام ، وادخال الآله لترى وتصغى وتتكلم وتكتب للانسان · وحول هذه الآلات نهض عدد من أكبر المؤسسات الاعلامية وهى أجهزة الاتصال الجماهيرى · الا أن الوظائف الاعلامية ذاتها ماتزال هى الأساسية فوظيفة مراقبة الأفق يعهد بها الآن الى وسائل الأخبار الجماهيرية بكل ما لها من مخبرين ووكلات انباء ومواصلات سلكية ولاسلكية وطباعة وتسهيلات اذاعية · ووظيفة الوصول الى التراخى

---

١) تشترك هذه العوامل جميعا فى انها من مقومات الحياة الاجتماعية ولذلك جعلها الدكتور على عبد الواحد وافى طائفه واحدة على الرغم من اختلافها فى انواعها ·

٢) د· وافى : علم اللغة ص١٧٣ ·

الاجتماعى واقامة السياسة وأدارة التنفيذ عنها بصفة رئيسية الى الحكومة ولكن منظمات كالاحزاب السياسية والأجهزة الجماهيرية تحتل مكانا ضخما ضمن عملية تشكيل الرأى العام ودفعه للعمل · ما كان يقوم به نفر قليل فى محادثه قصيرة قد يستغرق الآن شهورا من المناقشة ويشمل ملايين الناس وربما يتطلب حملات على نطـاق الأمة ولكن المهمة ماتزال كمـا كانت أيام القبيلة وهى تقرير السياسة والقيادة · اما مهمة تبصير الأعضاء الجـدد بالمجتمع فتتولى المدارس امرها الآن الى درجـة كبيرة ، وكذلك الوسـائل التعليمية : والاذاعة التعليمة والتليفزيون التعليمى والافلام التعليمية ودوائر المعارف (٣) ·

ولم تعد الحاجة الى المعرفة والتدريب مقصورة على الطفولة · لذلك انشئت معاهد تعليم الكبـار والمعاهد المتخصصة للمتعلمين (فى الزراعة مثلا) ·

وليس للمجتمع عن الخدمات الاعلامية غنى فهى ما تزال مطلوبة ، وان تكن قد زادت تعقيدا · (٤) ·

اما انتقال اللغة من السلف الى الخلف فانه يخضع من ناحية التطور الى عوامل جبرية لا اختيـار للانسـان فيها ، ولا يدله على وقف آثارها أو تغيير ما تؤدى اليه · ولو ان بعض أجزاء الاعلام هنا أيضـا قـد نمت وتعقدت واتخذت طابعا رسميا · بحيث أصبح فى مقدورها أن تجعل لغة الكتابة مواكبة للتطور اللغوى لتمثل حالة الحياة اللغوية فى الأمة ، فتسعى اجهزة الاعلام الى تضييق مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة ، لان هذه الاخيرة فى تطور مطرد ، فكان الاعلام يقف فى مفترق الطرق بين لغة الكتابه ولغة المحادثة ، يساعد على التطور ، ويمسك لغة المحادثة لئلا تبعد عن لغة الكتابة فلا تصبح كل منها غريبه عن الأخرى كما حدث فى فرنسا وايطاليا ورومانيا واسبانيا والبرتغال أيام أن كانت لغة الكتابة فيها هى اللاتينية ، وما كانت عليه بلاد العرب ـ وما تزال تعانى ـ من مشـكلة العـلاقة بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى المتخذه كلغة كتابة ·

٣،٤) ولبور شرام : أجهزة الاعلام ترجمة محمد فتحى ص٦٠ ·

فالوظائف الاعلامية بذلك تساعد على التطور من جهة ، وعلى تضييق مسافة الخلف بين لغة الكتابة ولغة المحادثة من جهة اخرى وذلك عن طريق المستحدثات والهياكل التى وسعت فى نطاقها ، حيث نميت الكتابة حتى تنتقل اللغة من السلف الى الخلف ويحتفظ المجتمع برصيده من المعرفة ، ونما فن الطباعة حتى تضاعف الآلة ما يكتب الانسان ارخص واسرع مما يستطيع الانسان نفسه أن يفعل ·

حول هذه الآلة نهضت كل مؤسسات الطباعة والنشر والمدارس العامة · وطورت الآلات فيما بعد حتى لا يتقيد ما يمكن ان يراه الانسان بالمكان أو الزمان فاخترعت الآلات التى تجعل الانسان يسمع على بعد مسافات هائلة وكذلك قامت شبكات الهاتف الكبرى والتسجيل الصوتى والاذاعة ولما انضمت آلات الاستماع الى آلات المشاهده وجد الأساس للافلام الصوتية والتليفزيون (٥) ·

وبعبارة اخرى اكتشف المجتمع فيما بين ايام القبيلة وعهد الحضارة العصرية كيف يشارك فى الاعلام ، وكيف يخزنه ، متخطيا بذلك المكان والزمان ليصون اللغة من الضياع وليزيدكم المجتمع الفعال من العشرات الى الملايين·

هل يخلق الاعلام بعض الهياكل والأشكال الأخرى للغة ، أم ان الهياكل والأشكال الأخرى للغة هى التى تخلق مرحلة معينة من تنمية الاعلام ؟

هذا سؤال لاطائل من ورائه ·

فالذى لا شك فيه أن لكل منهما تاثيرا قويا على الآخر : التطورات الجديدة فى لغة المجتمع تؤثر على الاتصال ·· المهم هو أن مستوى معيناله ومرحلة معينة من تنمية الاتصال لابد أن يصاحب مرحلة معينة ومستوى معينا من التنمية اللغوية بوجه عام · فاذا ما بلغت هذه اللغة الاعلامية اشدها : وتم تكونها ، واكتمل نموها ، واتسع متنها ، ووضحت دلالات مفرداتها وتعددت وجوه استخدامها وتشعبت بها فنون القول ، وقويت على تادية حقائق الحياة العصرية ، اخذت تؤدى وظيفتها فى تقريب المستويات اللغوية ، وتصبح هى لغة الكتابة ·

---

٥) شرام : اجهزة الاعلام ص٦٠ ·

وكالات الانباء وما تفعل :

أن أى احتكاك يحدث بين لغتين أو لهجتين ـ كما يذهب الى ذلك علماء اللغة (٦) يؤدى لامحالة الى تاثر كل منهما بالأخرى .

ولما كان من المتعذر ـ ولاسيما بعد ثورة الاعلام وتزايد تداوله ـ ان تظل لغة بمأمن من الاحتكاك بلغه اخرى ، لذلك كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد عن هذا الطريق . على أن أكبر عوامل الاحتكاك تتمثل فى وكالات الانباء العالمية التى تقدم خدمات اعلامية ضخمة ، ويمتد توزيعها فى مدى بعيد ، لما تملكه من تسهيلات فى وسائل الاتصال والارسال ونحو ذلك وقد كان لوكالات الانباء أثرها فى اللغة العربية عن طريق ترجمة البرقيات الاخبارية ، فنجد الأفعال الاجنبية تتسرب الى اللغة العربية . ومثال ذلك أن حشد الجنود التركية على حدود سوريا (يشكل) خطرا على هذه البلاد وفعل (يشكل) كما تقدم هو ترجمة حرفية ، دخلت لغة الصحافة والسياسة وأستقرت فيها استقرارا تماما . ومن ذلك قول بعض الصحفيين (وهنا قفزت طائفة كبيرة من علامات الآستفهام) معبرا بذلك عن معنى الغرابة او التعجب ! وقول آخر : فكان على أن اضع أعصابى فى ثلاجة بعد سماعى هذا الكلام .

ومن ذلك يتبين أن وكالات الأنباء قد اتاحت فرصة الاحتكاك بين اللغة العربية وبعض اللغات ولم يكن تاثرها بالمفردات فحسب ، وانما انتقل التاثر الى القواعد والاساليب كذلك ، وان كانت اللغة العربية قد صبغت معظمها بصبغة اللسان العربى حتى ليبدو بعيدا عن اصله .

ومن مظاهر التاثر فى التراكيب المستمدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكانها وحدات مستقلة .

فهذه هى طريقة التعبير الاوربى تماما بالجمل الاسمية المستقلة التى تجعل النقط والوقفات فقرات متتالية .

وعلى ذلك فان اتساع نطاق تداول الاعلام ، يتيح بين اللغة فرصا للاحتكاك اللغوى وفى ذلك ما يدفعنا لكى نعيد للغتنا تاثيرها النفاذ فى

---

٦) وافى علم اللغة ص١٧٥ ـ صفحات ٢٣٨ ـ ١٥٣ .

اللغات كما كانت قديما فأخذت منها اللغات ـ الأوربية : الليمون الموصل (وهو نسيج خاص ينسب الى الموصل) والزعفران ، والشراب والسكر الكافور والقهوة (عسل قصب السكر المجمد) والقهوة ، والقطن ، والكرفة ، والكمون والدمشقى (نسيج ينسب الى دمشق) وما الى ذلك ، مما يتبين معه أن انشاء وكالة انباء عالمية ، تابعة تبعية مباشرة لجامعة الدول العربية ، تلتزم الحيدة فى نشر الأخبار وتبنى لغتها الأخبارية على اللغة العربية وحدها دون غيرها أمر جدير بالنظر فيه ·

اللغة والتنمية الاجتماعية :

تتأثر اللغة ايما تاثر بحضارة الأمة ، وشئونها الاجتماعية ، فكل تطور يحدث فى ناحية من نواحيها يتردد صداه فى أداة التعبير ·

ومن هنا فان الاتصال بالجماهير جاء امتدادا ونتاجا للثورة الصناعية ليشـــمل :

أ) الانتاج الكمى : للكلمات والظلال والاصوات ·

ب) التوزيع الجغرافى الواسع : وبدونه لا يكون للانتاج الكمى أى معنى ·

ج) التوزيع بالقطاعى عن طريق محطـات البث التليفزيونى والأرسال الاذاعى ، والصحافة والمسارح والمكتبات والمدارس (٧) ·

وعلى ذلك ، فان الاتصال بالجماهير ، من أهم المظاهر الحضارية ، التى تســهم فى رقى تفكير الأمة وتهذيب اتجـاهاتها النفسـية ، والنهوض بلغتها ، وسمو أساليبها وتعدد فنون القول فيها ، ودقة معانى مفرداتها ، وادخال مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة وما الى ذلك ·

والاتصال الجماهيرى يسهم بذلك ، ويقدم هذا التطور الى الجماهير فى المسرح والمدرسة والمسجد والنادى ، بحيث تصحبه اللغـة فى الطريق وفى السوق والبيت ·

---

٧) Barnaw, Erike : Mass Communication (N.Y.) 1956

وعن هذا الطريق يسهم الاتصال الجماهيرى فى عمليات التنمية وانتقال الأمة من البداوة الى الحضارة ، الأمر الذى يهذب لغتها ويسمو بأساليبها ، ويوسع نطاقها ، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة فى التعبير والدلالة ٠

وعلى ذلك فان عملية التنمية فى المجتمع تقتضى زيادة سريعة فى اعداد المتعلمين ، وفى الخدمات التعليمية وتوسيع نطاقها ، وفى وسائلها الاعلامية التى تستخدم لاثارة التعطش الى مزيد من الاعلام لتشجيع الناس على تعلم القراءة والكتابة ، التى تصبح كما يقول ليرنر فى عبارة (المحرك الاعظم فى تطوير كل مظهر من مظاهر الحياة ٠٠ المهارة الشخصية الأساسية التى تعد بمثابة اللبنة الأولى فى البنيان العصرى كله) انه يكسب معبرا الى عالم افسح ٠

وفى المسح الذى قامت به جامعة كولومبيا عن التنمية فى الشرق الاوسط قال الاميون المتجاوبون عن مواطنيهم غير الأميين (انهم يعيشون فى عالم آخر ، وهذه هى فى الجوهر الوظيفة التعليمية لاجهزة الاتصال الوطنية عندما تبدأ الدولة فى التنمية ، ان تفتح الباب على مصراعيه للجميع، باب العالم الأكبر بمعرفته الفنية العصرية وشئونه العامة) (٨) ٠

وربما كان اكثر الطرق عمومية لوصف ما يقوم به الاعلام المتداول الواسع النطاق فى أمة نامية هو أن تقول انه يهيىء المناخ للتنمية الوطنية ٠ فهو ييسر خبرة الخبراء ، حيث تقوم الحاجة اليها ، ويقدم المنبر للمناقشة والقيادة والتخطيط بالسياسة ، وهو يرفع المستوى العام للتطبيقات ٠ تبدء عملية التحول العصرى عندما يكون هناك دافع (يدفع الفلاح لأن يريد أن يصبح مالكا للارض ويدفع ابن الفلاح لان يريد أن يتعلم القراءة حتى يحصل على عمل فى المدينة ، ويدفع ابنه الفلاح لان تريد أن ترتدى فستانا وتزين شعرها) ٠ لا يمكن أن يحدث التغيير فى يسر وكفاية كبيرة الا اذا اراد الناس التغيير ٠ وبصفة عامة فان الاعلام الذى يتزايد تداوله هو الذى يضع بذرة التغيير حين يتسع افقه هو الذى يهىء المناخ لوحدة الأمة ذاتها ٠ فيجعل كل اقليم يلم بالأقاليم الأخرى « باناسه وفنونه وعاداته وسياساته ، ويجعل القادة الوطنيين يحدثون الشعب ، والشعب يحدث القادة كما يحدث نفسه ويجعل الحوار فيما يتعلق بسياسة الدول ميسورا على نطاق البلد

---

٨) شرام : نفس المرجع ص٦٥ ٠

كله ، ويجعل الأهـداف الوطنية والمنجزات الوطنية ماثلة دائما فى اذهان العامة (٩) يستطيع الاعلام العصرى اذا أحسن استخدامه أن يساعد على تحقيق فكرة القومية العربية والتقريب بين أقطار العروبة بجماعاتها ولهجاتها المحلية ، وأن يجعل خطة التنمية اللغوية خطة (وطنية) حقيقية ٠

وعلى ذلك فأن أثر الاعلام فى التنمية اللغوية مرتبط بأثره فى التنمية الاقتصـادية الاجتماعية فالاتصـال اللغوى الاعلامى اسـاس لكل عمليـة اجتماعية ، لانه فى الحقيقة تفاعل المجتمع مع نفسه ، فالحضارة الاسلامية ، لانها كانت تقوم فى بعض جوانبها على الاتصـــال الاعلامى ، منذ نزول القرآن الكريم ، وعلى تفـاعل المجتمع الاسلامى مع نفسـه خلقت توافقـا وانسجاما بين حضارة الأمة الاسلامية ولغتها العربيـة ، التى تمكنت عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعى من أن تكون مرنة التعبير واسعة الثروة فى المفردات ، سهلة القواعد عذبة الاصوات سهلة النطق ، خفيفة الوقع على السمع ، تقل فى كلماتها الحروف غير المتحركة بينها تكثر أصوات المد الطويلة (الالف ، الياء والواو) والقصيرة (الفتحة ، الكسرة ، الضمة) ولا يكاد يجتمع فى مفرداتها ولا فى تركيبها مقاطع متنافرة ، ولا يلتقى فى الفاظها ساكنان ٠ والامة العربية اليوم تستعيد خصائصها وتتحرر من بقايا التاثير الأجنبى الذى كان هدفه طمس معالم الحياة العربية ومحو خصائصها الاصيلة ، والجانب اللغوى جانب أساسى من جوانب التنمية ، ومقوم من أهم مقومات الحياة العربية والكيان العربى ، والرابط الموحد بين العرب ، والمكون بنية تفكيرهم والصلة بينهم وبين كثير من الأمم ٠

لقد تردت اللغة العربية الى ماتردت اليه الحياة فى سائر مجالاتها الأخرى فى عصور الانحطاط التى استمرت عدة قرون ، فضاعت من اللغة مزية الدقة التى عرفت العربية فى عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح حين فقدته اللغة نفسها واتصفت بالغموض وانفصلت عن معانيها فى الحياة واصبحت عالما مستقلا، ليعيش الناس فى جوه، بدلا من أن يعيشوا فى الحياة ومعانيها ٠

وقـد انتهت عصور الانحطـاط الى الالتقاء والاصطدام بالحضـارة الأوربية وانفتحت أمام العرب آفاق جديدة كانت نتيجة ضروب من التفاعل وانواع من المواقف والمشكلات والأزمات ومن جملتها مشكلة اللغة ٠

---

٩) المرجع السابق ٠

ومن أشهر الدراسات فى هذا الصـدد دراسة دانيل ليرنير (زوال المجتمع التقليدى : التحول العصرى فى الشرق الأوسط) · والتى تفيدنا فى دراسة أرتباط اللغة العربية بالتحول العصرى ·

فى عامى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ادار مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية التابع لجامعة كولومبيا ١٦٠٠ استجواب طويل مع أفراد فى ست دول فى الشرق الأوسط ، وهى ايران ومصر وتركيا وسوريا ولبنان والاردن وكان القصد من هذه المحادثات هو التعرف قـدر الأمكان على مدى تعرض كل شخص للوسائل الاعلامية ، وعلى كثير من مواقفه ، وعلى الأخص مواقفه تجاه التنمية السياسية والاجتماعية فى بلده · كان دكتور ليرنر احد اعضاء المكتب الذى أشرف على العمل الميدانى فى الشرق الأوسط ·

ولقد دعى عام ١٩٥٤ بعد أن ترك كولومبيا لاعـادة تحليل البيانات المسـتخلصة من المحادثات ، بقصد اعداد كتاب عن الدراسـة فزار الشرق الأوسط من جـديد وتحادث مع الكثير من المستجوبين والمجيبين ثم كتب كتابه : زوال المجتمع التقليدى ·

وبينما كان يلاحظ الحوادث فى الشرق الأوسط محاولا أيجاد العلاقة بينها وبين الـ ١٦٠٠ أستجواب طاف بذهنه كما قال (الكفاح الجبار على مدى القرون الذى انتهى الى احلال العصرية محل أساليب القرون الوسطى، لذلك ركز جهده على العملية التى أسماها (التحول العصرى) والتى تعنينا فى هذه الدراسة ، برغم انه كان مدركا تمام الادراك انه تعبير نسبى : فما هو عصرى اليوم لن يكون عصريا غدا ·

اخترق (التاورب) منذ سنوات المستويات العليا فى مجتمع الشرق الأوسط وكان تاثيره الأكبر على أساليب الطبقة المالكة لوقت الفراغ أما الأخذ بالاساليب العصرية فهو يصل اليوم الى نسبة اكبر مما كان ويمس التطلعات العامة والخاصة على السواء · ويقول ليرنر أن مركز هذا التغيير هو التحول فى وسـائل نقل الأفكار والمواقف فاذاعة الصـور الحيـة من الأسـاليب العصرية على جماهير كبيرة هـو مهمـة التحول العصرى) · استخدمت الأودية الوسائل الطبيعية ، أما التحول العصرى فقد اسـتخدم الأجهزة الجماهيرية · الأجهزة الجماهيرية كما يقول هى التى تصنع الفارق بين أثر هاتين الحركتين الاجتماعيتين ·

يرى ليرنر فى تحليله لتاريخ التحول العصرى فى البلدان التى يدرسها أن العملية تحدث على ثلاث مراحل :

١ - يحدث التحضر (فى بيئة المدينة الحضرية) · فالمدن هى التى تقوم على تنمية المهارات والموارد وهى مسألة معقدة تميز الاقتصاد الصناعى العصرى ·· وفى داخل هذا السهم الحضرى يتكون كلا الشيئين المبرزين للمرحلتين التاليتين ، وهما تعلم القراءة والكتابة ونمو اجهزة الاتصال · وهناك علاقة متبادلة بين هذين الشيئين ، فمن يقرؤون ويكتبون ينمون الاجهزة ، والاجهزة بدورها تنشر القراءة والكتابة من وجهة نظر تاريخية ، هى التى تؤدى الوظيفة الرئيسية فى المرحلة الثانية · فالقدرة على القراءة التى تكتسبها فى البداية قلة نسبية من الناس تعدهم لأمر المهام المتباينة التى يتطلبها المجتمع المتحول نحو العصرية · ثم تجىء المرحلة الثالثة عندما تتقدم التقنية الحديثة التى هى من نتاج التنمية الصناعية، فيبدا المجتمع فى انتاج الصحف وشبكات الاذاعة وافلام السينما على نطاق ضخم · هذا بدوره يعجل بنشر تعلم القراءة والكتابة هذا التفاعل هو الذى يؤدى الى قيام مؤسسات المشاركة ، تلك التى نراها فى جميع المجتمعات (العصرية المتقدمة) ·

وهو يشير ارتكازا على الاحصاءات والبيانات الديموغرافية ، الى ان ١٠ فى المائة قد تكون قريبة من الحد الادنى والحرج للتحضر ، وانه بعد أن يصل التحضر الى هذه النقطة - وليس قبلها - تبدا نسبة التعليم فى الارتفاع ارتفاعا ملموسا ·

وبعد ذلك يستمر ارتفاع التعليم والتحضر معا حتى يصلا الى ما يقرب من ٢٥٪ تستمر نسبة التعليم بعدها فى الارتفاع مستقلة عن النمو الحضارى · هذه النسب المؤدية قد تنطبق أو لا تنطبق فى جهات اخرى غير الشرق الاوسط ولكنها تحمل الاثارة للنظام الجارى ·

فالعنصر الاول اذا فى القوة الدافعة للتنمية كما يراها ليرنر هو تكوين الشخصية العصرية أو المتحركة أو غير الجامدة · والعنصر التالى هو ما يسميه (مضاعف التحرك : اجهزة الاتصال الجماهيرى) كان التحرك الجغرافى فيما مضى يكاد يكون السبيل الاوحد لنشر التحرك الاجتماعى وان ما حدث فى عملية التحول الى العصرية تلك . مثله فى ميدان اللغة . فقد سارت النهضة اللغوية مع سائر نواحى التحول العصرى فى خطوط متوازية ومراحل متشابهة وصادفت كذلك المشكلات نفسها ·

ذلك ان (مضاعف التحرك أو اجهزة التحرك أو أجهزة الاتصال الجماهيرية) على حد تعبير ليرنز ، كان عليها ان تستخدم لغة غير تلك الاداة الموروثة التى كانت تؤدى اغراض عصور الانحطاط وان تضطلع اللغة الجديدة ببعث التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة فى تحولها الى العصرية فمذهب المحافظين يميل الى التشدد والتزمت دفاعا عن اللغة الموروثة بمجموعها دون تمييز بين الاصل الثابت من عناصرها والعارض المتبدل ، بينما ذهب المجددون الى الملاءمة بين اللغة والحياة ، واشعرت الناس المشكلة اللغوية والحاجة الحقيقية الى التجديد ·

على ان هذا الصراع اللغوى انتهى الى الخروج عن التزمت وضيق النظر والى خفوت صوت العجمة والشعوبية ودعواتها ، والى دبيب الحياة فى اللغة العربية وشيوعها بين الجماهير ·

هذه هى القوة الدافعة للتنمية اللغوية : نواة من الشخصيات غير الجامدة المتقبلة للتغيير · ثم نظام تام لاجهزة الاتصال الجماهيرية لنشر وتعميم الخصائص الاصيلة والصفات الذاتية للغة العربية ، ثم تفاعل التحضر وتعلم القراءة والكتابة وبمشاركة الاجهزة وتفاعلها فيما بينها لخلق المجتمع العصرى حيث يتم التقارب بين الفصحى والعامية بارتفاع العامية واقترابها من الفصحى الى ميادين الحياة واتصالها الجماهيرى الذى يؤدى دور (المضاعف الاعظم) للتنمية ، والوسيلة التىتستطيع نشر ما يتطلبه الامر من معرفة ، ومواقف على نطاق لا يمكن حصره ، وبسرعة لم تعرف من قبل ، وفى ذلك لا يمنح اللغة قدرة على التجديد والتوليد والبناء فى ظروف الحياة الجديدة المتبدلة ·

ومن ذلك يبين أثر المجتمع بنظمه وحضارته واتجاهاته فى تطور اللغة وانتقالها من السلف الى الخلف وصراعها بعضها مع بعض وقد بالغ جماعة من العلماء فى تقدير هذه الاثارة ، حتى كادوا ينكرون ان لغير الظواهر الاجتماعية أثرا فى شئون اللغة ، كما ذهب فرديناد دوسوسور · على ان اللغة ـ ظاهرة اجتماعية تقتضيها حاجة الانسان الى التفاهم مع ابناء جنسه فلولا الحياة الاجتماعية ما كانت اللغات ·

وقد وجد ليرنر ، ان هناك علاقة متبادلة بين مقاييس النمو الاقتصادى ومقاييس النمو الاعلامى · بمعنى انه كلما زاد الدخل القومى للفرد والتحضر والتصنيع زاد أيضا تعلم القراءة والكتابة ومعه توزيع الصحف ،

وكذلك التسـهيلات الاذاعية وعدد أجهزة الاذاعـة وكل المقاييس الاخرى لوسائل المشاركة ٠

الاعلام والتنمية فى اللغة :

تبدو حركة التنمية المقصـودة فى مظاهر كثيرة من اكبرها اثرا فى التطور اللغوى الامور الآتية :

١ ـ تداول الاعلام بين الدول، وتأثر الصحفيين والكتاب بأساليب اللغات الاجنبية واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها ومصطلحاتها ، وانتفاعهم بأفكار أهلها وانتاجهم الأدبى والعلمى والاعلامى ٠ فلا يخفى ما لهذا كله من أثر بليغ فى نهضة لغة الكتابة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها ٠

فأكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى عصر بنى العباس ، يرجع الى انتفاع الأدباء والعلمـاء باللغتين الفارسـية والاغريقية ٠ فقد اخذوا فى ذلك العصر يترجمون آثارهما ويعقبون عليها بالشرح والتعليق ، ويستغلونها فى بحوثهم ويحاكون أساليبها ، ويقتبسون منها عددا كبيرا من المفردات العلمية وغيرها ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة وعن طريق ترجمتها تارة أخرى فاتسع بذلك متن اللغة العربية وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلم ويرجع كذلك اكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى العصر الحاضر الى انتفاع الصحفيين والأدباء والعلماء باللغات الاوربية الحديثة ، ومحاكاتهم لأسـاليبها ، وتعريبهم أو ترجمتهم لالفاظها ومصطلحاتها واستغلالهم فى مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات أهلها فى شتى ميادين الحركة الفكرية (١٠) ٠

ولذلك ذهب موجليوث الى ان اللغـة العربية لا تزال حية حقيقة ، وانها احدى لغات ثلاث استولت على سكان العالم استيلاء لم يحصل عليه غيرها (وهى الانجليزية والاسبانية) ٠ والعربية تخالف هاتين اللغتين فى ان زمـان حدوثهـا معروف ولا يزيد منهما على قرون معدودة ، على حين أن ابتداء اللغة العربية أقدم من كل تاريخ ٠

ذلك ان اللغة العربية لغة ذات نظام منسق متماسك يشد بعضه بعضا، تجرى فيها الالفاظ على نسق خاص ، فى حروفها واصواتها ، وفى مادتها

---

١٠) وافى : علم اللغة ص١٩٦ ٠

وتركيبها . وفى هيئتها وبنائها . ولذلك كان دخول الكلمة الغربية فى اللغة العربية تجنيسا لها ، أى تصبح من جنس كلام العرب ٠

والتعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات وتأثير بعضها فى بعض ، وقد أصبح من لوازم الحياة العصرية ، كنتيجة لاتساع تداول الاعلام ووسائل الاتصال فى ميادين الثقافة والعلم والاعلام ٠ ولم يكن التعريب الذى بحثه علماء اللغة قديما الا مظهرا من مظاهر التقاء العربية بغيرها من اللغات وهو المفردات ٠

ولوسائل الاعلام الجماهيرية فى هذه المرحلة من التاريخ اهمية خاصة ٠ فكما استطاعت الالة فى الثورة الصناعية ان تضاعف القوة البشرية مع انواع الطاقات الاخرى ، كذلك تستطيع أجهزة الاعلام الآلية فى ثورة الاتصال ان تضاعف الرسائل الانسانية ، وعلاقات التاثير ، الى درجة لم يسمع عنها من قبل ٠

وفى مواجهة ذلك ، فان اللغة الاعلامية ، ينبغى الا تخرج عن الاطار الذى حدده كتاب العربية فى بحث الاشتقاق والتعريب قديما وحديثا ٠

وهذه المهمة تقع على عاتق المجامع العلمية واللغوية وهيئات التعريب فى الوطن العربى لرد عوادى الدخيل المهاجم من اللغات الاجنبية كالمصطلحات العلمية والفنية واسماء المخترعات والمستحدثات الكثيرة المتنوعة ، بما تضع لها من المقابل العربى الفصيح ، قال العالم الاديب الشيخ احمد عمر الاسكندرى رحمه الله فى خطاب له :

« وقد جرت سنة الوجود على أن مصير اللغات أمام الانقلابات العظيمة والحوادث الجسام ، الى أحد حالتين اما ان تتسامح فى قبول كل ما يطرأ عليها من لغة غيرها ، الالفاظ ذات المعانى التى لم تعهدها من قبل ، فتندمج احداهما فى الاخرى على طول الزمان كما اندمجت لغة بقايا عرب الاندلس فى اللغة الاسبانيولية وعرب جاوة فى لغة الملايو ، واللغة القبطية ورومية سورية فى العربية أو يتخلف عنها خليط ليس من اللغتين كما فعلنا نحن فى لغة المحادثة ، فنشأت العامية المختلطة اللهجات المتشعبة المناحى ٠

وأما أن تحرز عنها وتتصرف فى استعمال الفاظها لضم هذه المعانى الغريبة اليها بطرق التجوز والاشتقاق واستعمال الغريب والعتيق منها فيما له أدنى ملابسة به فتحفظ بذلك كيانها وتبقى شكلها . بيد أنها تعظم

وتزداد نشاطا ورشاقة على ان لفظ التعريب قد ورد في المعاجم بمعنيين مرة بمعنى الترجمة ، كما يحدث في المغرب حيث يستعمل استعمالا شائقا في الصحف والاذاعة على ما يترجم من الفرنسية وغيرها الى العربية ، فمما هو معلوم « أن أيام الحماية الفرنسية والاسبانية كانت اللغة الاجنبية طاغية ثم بعد الاستقلال بدانا في ترجمة كل ما هو أجنبي الى اللغة العربية ونسمي ذلك تعريبا ، فالمقصود بالتعريب عندنا هو جعل الشيء عربيا (١١) ·

والمعنى الآخر للتعريب هو نقل اللفظ الاعجمي الى العربية كما هو في الاعجمية بعد وضعه في قالب عربي » فما يستعملونه في المغرب صحيح وما نستعمله نحن صحيح ايضا ، ولكن لابد لنا من الاتفاق على كلمة نستعملها ، فعند نقل اللفظ الاجنبي على حاله نقول عربناه ، وعندما نترجمه الى لفظة عربية نقول نقلناه الى العربية أو ترجمناه بالعربية » (١٢) ·

٢ ـ احياء الاعلام ورجاله لبعض المفردات القديمة المهجورة للتعبير عن معان لا يوجد في المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيرا دقيقا ، فكلمة « القطار » مثلا كانت تطلق في الاصل على عدد من الابل في نسق واحد تستخدم في النقل ، ولكن تغير الآن مدلولها الاصلي تبعا لظهور وسائل المواصلات ، فاصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية ·

وقد كان لاحياء هذا اللفظ قصة طريفة ، بطلها رئيس تحرير احدى الصحف المصرية في مطلع القرن التاسع عشر ، الذي جاءه خبر سقوط الآلة البخارية التي تجر عربات السكة الحديدية في الليل أثناء مرورها فوق أحد الجسور فلم يجد للتعبير عن هذه الآلة أوفق من كلمة « القاطرة » وذاعت الكلمة وتقبلتها الاذواق ، واطرد استعمالها حتى اليوم ·

ومثل كلمة القاطرة مئات الكلمات . صنعها وصاغها رجال الاعلام خاصة الصحفيين منهم . وهم يحاولون التعبير عن مجالات الحياة وحاجات المجتمع المتطور خلال القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ولا يخفى ما لذلك من اثر في تنمية اللغة واتساع فنها وزيادة قدرتها على التعبير ·

٣ ـ خلق الاعلام لالفاظ جديدة . للتعبير عن أمور لا يوجد في مفردات اللغة المستعملة ما يعبر عنها تعبيرا دقيقا وقد أجاز مجمع اللغة

---

(١١) محمد الفاسي : مؤتمر مجمع اللغة العربية ١٩٦٠م ·
(١٢) الامير مصطفى الشهابي : مؤتمر مجمع اللغة العربية ١٩٦٠م·

العربية بالقاهرة الالتجاء الى هذه الطريقة حيث تدعو الى ذلك ضرورة ، بأن لا يوجد فى مفردات اللغة متداولها ومهجورها ما يعبر تعبيرا دقيقا عن الاصطلاح المراد التعبير عنه ·

ويستعان عادة فى تكوين هذه الالفاظ بالقياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والاقتراض ·

١) والقياس لدى القدماء هو الاساس الذى نبنى عليه كل ما نستنتجه من قواعد اللغة ، أو صيغ فى كلماتها ، أو دلالات فى بعض الفاظها ·

فعلماء القرن الثانى الهجرى بعد أن وردت لهم تلك الذخيرة اللغوية العظيمة ، وبعد ان ورثوا من الاساليب الأدبية القدر الكبير ، جعلوا كل هذا الذى جاءهم عن العرب الفصحاء أساسا يبنون عليه ما قد يعن لهم ، أو نورا يهتدون على ضوئه ، رغبة منهم فى الاحتفاظ للعربية بطابعها ، والابقاء على خصائصها لانها ليست لغة الأدب العربى فحسب بل هى قبل كل شىء لغة الدين ولغة القرآن الكريم (١٣) ·

وليس القياس الا استنباط مجهول من معلوم ، فاذا اشتق اللغوى صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة فى مادة أخرى ، سمى عمله هذا قياسا · فالقياس اللغوى هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال رغبة فى التوسع اللغوى ، وحرصا على اطراد الظواهر النحوية ·

ويمكن أن نتلمس بعض نواحى القياس الطبيعى فى مثل الامور الآتية:

أولا : حين تذكر كتب اللغة المصادر ولا تذكر أفعالها أو العكس ، أو حين يذكر الفعل الثلاثى ولا يذكر بابه ، هنا يستطيع المرء أن يلجأ الى القياس ليستنبط مجهولا من معلوم ·

ومثل هذا القياس اذا اتيح لنا ، يكمل لنا نقصا كبيرا فى المعاجم وفى معجم اللغة الاعلامية على وجه التحديد ·

ثانيا : تعريب الدخيل ، وذلك بجعله على نمط الكلمات العربية

---

١٣) ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ص٧ ·

ونسجها ، قياسا على مسلك القدماء من العرب فى كلمات كثيرة فارسية ويونانية ·

ثالثا : تعميم المعنى بعد أن كان خاصا ، قياسا على ما فعله العرب فى كلمة « الخمر » التى كانت مقصورة على عصير العنب المسكر فأصبحت تفيد كل ما هو مسكر ولو لم يتخذ من العنب ، وكلمة « السارق » التى تطلق عادة على من يأخذ مال الاحياء خفية ، ومع هذا فيمكن اطلاقها على نابش القبور لاخذ ما على الموتى من اكفان (١٤) ·

فى هذه الامور وما شاكلتها نجد مجال القياس واضحا جليا · وهذا هو القياس الطبيعى الذى نعهده فى كل اللغات ، والذى به تنمو مادة اللغة وتتسع ، فتساير التطور الاجتماعى وثورة الاتصال الاعلامى وما تتطلبه من تجديد اللغة ·

وقد ظل القياس فى اللغة موضع الجدل والخصومة بين اللغويين فى كل العصور منهم من يضيق دائرته ويقصر استعماله والالتجاء اليه ، ومنهم من يوسع هذه الدائرة غير ميال بأقوال المتزمتين من اللغويين · ونحن الآن فى النصف الاخير من القرن العشرين ولا نزال نشهد نفس الجدل والخصومة بين علماء العربية ، ونراهم ينقسمون الى فريقين : فريق المجددين وفريق المحافظين وقد ازداد هذا الصراع عنفا منذ انشاء مجمع اللغة العربية على ان المجمع فى بعض دوراته قد انتصر للاخذ بالقياس فى مسائل معينة رأى الحاجة الماسة اليها فكان من قراراته (١٥) ·

اولا : جعل المصدر الصناعى كالجاهلية واللصوصية والرهبانية ··· الخ مصدرا قياسيا وذلك لكثرة الحاجة الى هذا المصدر فى التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون ·

ثانيا : صاغ « فعال » للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثى اللازم والمتعدى كذلك رأى المجمع قياس هذه الصيغة للدلالة على أصحاب الحرف والمهن ·

ثالثا : جعل المجتمع صياغة اسم الآلة قياسية ، كما جعل المصادر الدالة على الحرفة قياسية مثل نجارة وحياكة وتجارة ··· الخ ·

---

١٤) المرجع السابق ص١٦ ـ ايضا : القياس فى اللغة العربية ص٢٦

١٥) المرجع السابق ص١٦ ·

رابعا : جعل المصادر الدالة على التقلب والاضطراب كالغليان والخفقان ، والدالة على المرض كالقسم والبرص والسعال والزكام ، قياسية ٠

خامسا : يرى المجمع أن تقديم الفعل الثلاثى اللازم بالهمزة قياسية مثل خرج واخراج ٠

سادسا : كذلك اتخذ المجمع قرارات فى شأن الفعل المطاوع وصيغة استفعل كما اجاز استعمال بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة ، بشرط ان تتخذ لها طرق العرب فى تعريبهم ٠

الى غير ذلك من قرارات هامة نراها مبحوثة بحثا مستفيضا فى الجزئين الاول والثانى من مجلة المجمع ٠

ب) الاشتقاق :

واذا كان القياس اللغوى من أهم الطرق فى تنمية الالفاظ ، فان الاشتقاق هو الطريقة التنفيذية للقياس ، حين يكون الغرض من القياس تنمية الالفاظ ٠

أو على حد تعبير الدكتور ابراهيم انيس (١٦) ، ان القياس هو النظرية والاشتقاق هو التطبيق ، القياس هو الحكم العام الذى اهتدى اليه القدماء عن طريق نصوص العرب ، وطريقة تنفيذ هذا الحكم هو الاشتقاق ٠

وذلك لان الاشتقاق هو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من اخرى ، والقياس هو الاساس الذى تبنى عليه هذه العملية الاشتقاقية كى يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة ٠

وقد تنبه علماء العربية القدماء الى فكرة الاشتقاق منذ بدأوا يبحثون فى اللغة ، بحيث لم ينتصف القرن الرابع الهجرى حتى شهدنا البحث فى الاشتقاق يستقر على امور أقرها جمهرة العلماء ، واعترفوا بها ، واصبح الاشتقاق يعنى عندهم (استخراج لفظ من آخر متفق معه فى المعنى والحروف الاصلية) ٠ فاذا اتخذ المشتق والمشتق منه ترتيب الحروف سمى هذا بالاشتقاق العام ، والا فهو بالاشتقاق الكبير أو الاكبر ٠

---

١٦) من طرق تنمية الالفاظ فى اللغة ص٤١ ٠

ويرجع الفضل فى هذا التقسيم الى ابن جنى فى الخصائص وان لم يطلق على هذه الانواع تلك المسميات المتعارف عليها الآن (١٧) ٠

على ان الاشتقاق العام نوع من التوسع فى اللغة يحتاج اليه الاعلام الحديث ، وتلجأ اليه المجامع اللغوية للتعبير عما قد يستحدث من معان ، مما يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعى ، على اعتبار ان الاشتقاق فى أدق تعاريفه هو استمداد مجموعة من الكلمات من المادة اللغوية أو الجذر اللغوى مع اشتراك أفراد هذه المجموعة فى عدد من الحروف وفى ترتيبها ، كما تشترك فى الدلالة العامة ٠

هذا الاشتقاق العام هو الذى يمكن ان يستغله الاعلام فى تنمية الفاظ اللغة العربية أو استكمال المواد الناقصة ٠

جـ) النحت :

اذا كان الاشتقاق فى أغلب صوره عملية اطالة لبنية الكلمات ، فان النحت اختزال واختصار فى الكلمات والعبارات ٠

وقد رويت ظاهرة النحت عن الخليل فى كتاب العين وذكره الجوهرى فى (الصحاح) وابن السكيت فى (اصلاح المنطق) وابن فارس فى (المجمل) والثعالبى فى (فقه اللغة) وعقد الاسيوطى فى (المزهر) فصلا سماه (النحت) ذكر فيه بعض الامثلة المشهورة لهذه الظاهرة وذلك عن طريق تاليف كلمة من جملة لتؤدى مؤداها وتفيد مدلولها كبسمل المأخوذة من (بسم الله الرحمن الرحيم) وحيعل المأخوذة من (حى على الفلاح) ٠

أو عن طريق تاليف كلمة من المضاف والمضاف اليه عند قص النسبة الى التركيب الاضافى اذا كان علما كدرعمى والنسبة الى دار العلوم ٠

ويتم النحت كذلك عن طريق تاليف كلمة من كلمتين أو أكثر تستقل كل كلمة عن الاخرى فى افادة معناها تمام الاستقلال لتفيد معنى جديدا بصورة مختصرة وهذا النوع كثير الورود فى اللغات الاوربية قليل فى العربية واخواتها السامية ٠

---

١٧) ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ص٤٦ ٠

اما موقف المجمع اللغوى من ظاهرة النحت فلا يزال موقف التردد فى قبول قياسيته ولا يزال معظم اعضائه يرون الوقوف منه عند حد السماع رغم ان قلة من هؤلاء الاعضاء قد برهنوا فى بحوثهم على ضرورة جعل النحت قياسيا لتستخدمه فى مصطلحات العلوم الحديثة ولاسيما فى المصطلحات الطبية ٠

ومع ما تقدم نشعر ان النحت فى بعض الاحيان ضرورى يمكن ان يساعد الاعلام على تنمية الالفاظ فى اللغة ولذا ينبغى ان نسمح به حين تدعو الحاجة الملحة اليه ولاسيما حين يجرى على نسق من الامثلة القديمة ٠

وفى ذلك ما يجعلنا ندعو الى التطور الموجه فى وسائل الاعلام لتنمية الالفاظ فى لغتنا مع الرقابة والحذر حيث تنتظرنا الان ابناء العرب لغة واحدة مشتركة منسجمة ٠

ومن جهة اخرى فلا حياة لهذه اللغة المشتركة بدون استخدامها فى التاليف والترجمة فى الأدب والعلوم والفنون والصحافة والاذاعة (مرئية ومسموعة) وما الى ذلك فبمقدار نشاط اهلها فى هذه الميادين تتاح لها وسائل الانتشار والرقى ٠

وصفوة القول ان اجهزة الاعلام وما تفعله فى تطور لغة الكتابة تؤثر بطريق غير مباشر فى لغة الحديث والتخاطب الأمر الذى يحقق تلك الوحدة اللغوية التى تضيق فيها مسافة الخلف بين لغة الخطاب ولغة الكتابة ٠

ذلك ان اللغة هى جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقرى هى وبدونها لا يمكن ان تعمل ٠ وقد يكون مصدر الاعلام شخصا يكتب أو يتكلم أو انه قد يكون مؤسسة صحفية أو اذاعية أو دار نشر ٠ أما الرسالة نفسها فقد تكون مكتوبة أو ملفوظة أو مرسومة أو مصورة ٠ واما المستقبل فهو القارىء أو المستمع أو المشاهد٠

والامر الذى يعنى به علم الاعلام اللغوى هو كيف ترسل الرسائل الى الناس بوسائل الاعلام المختلفة بحيث تنقل المعانى كاملة دقيقة ؟ أو بمعنى آخر كيف تؤدى الالفاظ اللغوية وغيرها معانيها المختلفة بحيث ينتج عنها الاستجابات المطلوبة ٠

الاعلام وعلم الدلالـة :

والعلم الذى يسـاعدنا على فهم العلاقة بين الالفاظ والمعانى هو علم السيمياء أو العلم الذى يدرس القيم الدلالية للرموز وقدرتها على الابانة أو التمويـه والغموض ، فقد تكون اللغـة عـائقا للفكر بقدر ما هى اداة ضرورية له · ولذلك يعنى علم الاعلام اللغوى بدراسـة اللغة كقوة فاعلة تستعمل للتنوير · ولذلك كان علم الدلالة من أهم العلوم التى يفيد منها علم الاعلام اللغوى لان الدلالة هى الحالة النفسية التى تتوسط التاثير بالرمز والاستجابة له ·

فالانسان يتأثر بمنبه من المنبهات التى حوله ثم يستجيب لهذا المنبه وفقا لدلالته بالنسبة له · اذ ان الدلالات تختلف من حضارة الى حضـارة ومن بيئة الى اخرى بل ومن شخص لآخر ·

ولما كانت الدلالات هى التى تتحكم فى تصرفات النـاس وأسـاليب سلوكهم فان من يستطيع تغيير هذه الدلالات يمكنه ان يغير السلوك أو يعدله· ومن الواضـح ان هدف الاتصـال الجماهيرى هو تعديل السـلوك بطرق مختلفة ·

وليس تعديل الدلالات أو المفاهيم بالامر الهين كما يبدو للوهلة الاولى لان المعانى والدلالات أو تصـورات النـاس للعالم الخارجى على حد قول ليمان ـ تكون نتيجة لعوامل مختلفة بعضها وراثى والآخر تربوى واعلامى·

فشـخصـية الفرد وثقافته وحضـارته هى التى تخلع على الالفـاظ والرموز معانيها الاشارية فى المستوى العلمى والتذوقية الجمالية فى المستوى الأدبى والمعرفـة العمليـة فى المسـتوى العـادى كالتعـامل فى الحيـاة اليومية (١٨) ·

والانسان يميل بطبعه الى تنظيم المدركات وخلع المعانى عليها وفقا لاطاره الدلالى أو مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة · ولا يمكن للاعلامى ان ينجح فى تأدية رسـالته ما لم يعرف حقيقة الاطارات الدلالية للجمهور والافراد ويدرس كيف تكونت لكى يصـمم خطتـه التى تهدف الى التعديل

---

١٨) امام : العلاقات العامة والمجتمع ص٢٢٥ ·

والتغيير والتوفيق ويخطىء الاعلامى حين يظن ان ما يقدمه من اخبار ومعلومات سوف تفهم بالطريقة التى يفهمها هو بها ·

فهناك عقبات عديدة في سبيل التفاهم اهمها التحيز والتعصب والخرافات والاوهام كما ان هناك عقبات ناشئة عن عوامل السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية ·

على ان التطور الدلالى لا يلحق معانى الالفاظ · وانما يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة كقواعد الاشتقاق والصرف والاساليب كذلك كما حدث للغة الكتابة القديمة تحت تاثير الترجمة البرقية والاحتكاك بالاداب والصحف الاجنبية ورقى التفكير وزيادة الحاجة الى الدقة فى التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع ·

ويسهم الاعلام فى هذا التطور الدلالى عن طريق استخدام الكلمات العامة فى بعض ما تدل عليه الامر الذى يزيل عموم معناها ويقصر مدلولها على الحالات التى يشيع فيها استعمالها ·

أو عن طريق استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع أو استخدام الكلمة فى معنى مجازى ·

وتتدخل فى عملية تكوين المدلولات أو تصوراتنا للعالم الخارجى عوامل كثيرة · فالفرد لا يستطيع ان يصل الى المعانى والمفاهيم بالطريقة العلمية أو بالاسلوب القائم على المشاهدة والاستنباط لوجود عقبات كثيرة تقف فى سبيل ذلك وينبغى على الاعلامى ان يعرفها ويقدرها ·

فمعلومات الناس فى العصر الحديث تصلهم عن طريق الصحافة والاذاعة والسينما وغيرها من وسائل النشر وهذه كثيرا ما تلون الاخبار للدعاية أو لخدمة مصالح معينة سياسية أو اقتصادية أو غيرها ·

ولا شك ان أضيق مجال التعامل الاجتماعى يؤثر أيضا فى صحة المدلولات فميول الناس ومركزهم الاقتصادى وطريق تربيتهم تحدد المجال الاجتماعى الذى يعيشون فيه ويخصب هذا المجال بالاطلاع والثقافة والاسفار والمخالطة · ولكنه ينضب بالانزواء والجهل والفقر والتعصب ·

لذلك نجد ان مدلول كلمة (الغنى) مدلول غير دقيق بالنسبة للعامل الفقير وكذلك يكون مدلول كلمة (الفقير) غير دقيق فى ذهن الغنى الذى لا يخالط الفقراء ولا يعرف عنهم الا ما يقرؤه فى الصحف والمجلات والقصص وبعض المشاهدات التافهة السريعة ٠

وهنا ياتى دور الاعلام فى اعادة التوازن وابراز سياسة البناء وقوة الخير وهى عملية جد عسيرة ولكنها جليلة الخطر فى هذا المجتمع الحديث٠ ونحن نذهب مع شرام الى ان المجتمع قد أصبح ضخما يعوزه التجانس بعد أن أحدثت الصناعة والمواصلات الحديثة ما احدثته من تغيرات سريعة فى النظم الاجتماعية ٠

ويبين مما تقدم أن اللغة كظاهرة اجتماعية عرضة للتطور المطرد فى مختلف عناصرها :

اصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها ، وأن تطورها هذا يجرى تبعا للاهواء والمصادفات ، وان تطورها هذا يخضع فى سيره لقوانين اجتماعية مطردة النتائج ، ويصبح الاعلام أهم هذه القوانين الاجتماعية فى تنمية اللغة وتطورها ٠ ذلك ان الاعلام نفسه يرتبط ارتباطا وثيقا بحياة المجتمع وما يمتاز به من خصائص ويسير عليه من نظم ويسلكه من مناهج ٠

وفى الصفحات القادمة سنحاول تبيان ذلك من خلال وسائل الاعلام المختلفة ٠

الفصل السابع

لغة الصحافة

ذهبت طائفة من علماء اللغة الى ان للتغيير فى اللغة مزايا عديدة طان المثل الأعلى فى مستقبلها لا فى ماضيها ٠

ويرى هؤلاء العلماء أن اكمل اللغات هى تلك التى قطعت فى التطور أطول شـوط ٠

فالصحافة التى تحمل لغتها مسـئوليـة ما تشـعر به من نقص فى مواردها التحريرية هى صحافة عاجزة وهى المسئولة الأولى عن هـذا النقص فقد يكون من حسن حظ الصحيفة ان تجد امامها طريقا معبدا وتقليدا تسير عليها وان تستخدم لغـة عمل على تجهيزها وصقلها قبلها عدد من الصحف والكتابة والكتاب المتتابعين ولكن الأمر لا يعدو ان يكون الاختلاف فى درجة الصعوبة يقول ديكارت فى كتابه (حديث المنهج) ٠ ان من حسن تفكيره وهضم افكاره حتى يجعلها واضحة مفهومة يستطيع اكثر من غيره أن يفهم الاخرين اراءه ولو لم يتكلم غير البريتانية السـفلى ٠ المسـئولية لا تقف عند موهبة الكاتب أو الصحفى فحسب بل يجب أن يراعى كل منهما الوسط الذى يعيش فيه ، فالمتكلم يتكلم حتى يسمع والكاتب يكتب حتى يقرأ ٠

فلزم ان يجد الكاتب له جمهورا على درجة من الثقافة تسمح له بفهمه ٠ قـال (بوفون) لم نصل الى الكلام الجدى والكتابة الجدية الا بعد العصور المستنيرة فطاقة اللغـة تتوقف على عـدد الذين يمارسونها وعلى درجـة تعلمهم ٠

قال الدكتور طه حسين فى (مستقبل الثقافة) وهو يتحدث عن التفكير (هو الاداة الطبيعية التى نصطنعها فى كل يوم بل فى كل لحظـة ليفهم بعضنا بعضا وليعاون بعضنا بعضا على تحقيق حاجاتنا العاجلة والاجلة على تحقيـق منـافعنا الخاصـة والعـامة وعلى تحقيق مهمتنا الفرديـة والاجتماعية فى الحياة ٠

ان كانت لنا مهمة فى الحياة ونحن نصطنع هذه الاداة ليفهم بعضنا بعضا كما قلنا ولنفهم انفسنا أيضا ·

فنجـد اننـا نشـعر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر · ومعنى ذلك اننا لانفهم أنفسنا الا بالتفكير ونحن لا نفكر فى الهواء ولا نسـتطيع ان نعرض الاشـياء على انفسـنا الامصورة فى هذه الالفاظ التى نقدرها وندبرها فى رؤوسنا ونظهر منها للناس ما نريد ونحتفظ منها لانفسنا بما نريد ، فنحن نفكر باللغة ونحن لا نغلو اذا قلنا انها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب وأنما هى أداة للتفكير والحس والشـعور بالقياس الى الأفراد من حيث هم أفراد أيضـا ·

وعلى ذلك يمكن أن نذهب الى ان الكلمة المطبوعة باعتبارها أداة من أدوات المساس بالعواطف البشرية والتأثير فى الفكر والسلوك تتصف بنقطة ضعف بارزة هى أيضا نقطة قوة فالكلمة المطبوعة من بين الوسائل الجماهيرية هى الوسيلة الخالية من الصوت البشرى وبخلوها منـه تفقد العنصر الذى تستمد منه لغة السينما والاذاعة والتليفزيون دفئا وتأثيرا ·

على ان فى هذا الضعف قوة ، فالكلمة المطبوعة هى الاداة التى تمكن الجمهور من التحكم فى الوقت ، وعدم خضوعه لسرعة الصوت بحيث يستطيع ان يرجع الى الوراء ، ويستطيع أن يسقط بعضها ·

وقد تكون هذه الميزات طفيفة الآثار بين « الجماهير غير المركزة » على حد تعبير اريك بارنو بالنسبة « للجماهير المركزة » فهى كل شىء ذلك لان طغيان التوقيت الصوتى هنا عبء فادح · لو لم تكن للكلمة المطبوعة غير هذه الميزة لظلت بالنسبة للجماهير المركزة المصدر الرئيسى للاطلاع ·

ونقطة ضعف أخرى هى أيضا نقطة قوة تلك أن الطباعة عندما تعتمد على الالفاظ تتطلب من جمهورها اكثر مما تتطلبه اية وسيلة من الوسائل الأخرى · ذلك انها تقتضى مجهودا للقراءة وهو مجهود قد يصبح عبئا على بعض الناس بسبب ما لديهم من عقبات عاطفية أو عيوب بدنية أو نقص فى التدريب ·

كما انها تتطلب عملية تخيل مستمرة والقراء الذين لا يستطيعون أن يفوا بهذه المطالب بسـبب قلة التجربة او الكفاية قـد يتخلون عن عمليـة

القراءة · أما الاخرين فان مقدار مشاركتهم بالتخيل هى المتعة التى تتميز بها القراءة أى يستمتعون بالكتابة بقدر مشاركتهم (١) ·

ومن أجل هذا وحده تبدو الكلمة المطبوعة اكثر احتمالا فى أن تظل مصدرا رئيسيا للاستمتاع بالنسبة للذهن ·

وان الاحصاءات العلمية الحديثة تذهب الى تاكيد العلاقة بين الاعلام والتعليم من خلال اثبات ان توزيع الصحف يرتفع ارتفاعا كبيرا فى امريكا الشمالية وغرب أوربا (ما عدا اسبانيا) واستراليا ونيوزلنده حيث تقل نسبة الأمية عن ١٠٪ بينما تليها وسط اميركا وجنوبها واسبانيا وبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتى حيث تتراوح نسبة الأمية فيها بين ١٠٪ و ٨٠٪ وتشمل المنطقة الأخيرة الهند والصين ومعظم الدول الافريقية الاسيوية حيث تربو نسبة الأمية على ٨٠٪ (٢) ·

وينطبق ما قلناه عن الصحافة وعلاقتها بالثقافة والثروة على وسائل الاعلام الأخرى كالكتب والمجلات والاذاعة والافلام وغيرها ·

وينبغى الا تخدعنا هذه الاحصاءات الدقيقة عن عادات الجمهور القرائية والاستماعية ففى مصر وسوريا وكثير من البلاد العربية · يلجا الأميون الى المتعلمين ليقرأوا لهم الصحف فلا نكون مبالغين اذا قلنا أن اكثر من ٧٠٪ من سكان البلاد العربية يقرأون الصحف ويستمعون الىتلاوتها كما كما ان مستمعى الاذاعة لا يقلون عن ٨٠٪ من السكان ·

وفى مصر وسائر البلاد العربية يزداد عدد قراء الصحف بزيادة عدد المتعلمين وارتفاع مستوى التعليم ·

فقد وجد مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية أن ٦٥٪ من المتعلمين تعليما ابتدائيا يقرأون الصحف وترتفع هذه النسبة بين المتعلمين تعليما ثانويا فتبلغ ٧٥٪ وتصل هذه النسبة الى ٩٥٪ من بين المتعلمين تعليما عاليا · وقد اجرى هذا المكتب بحوثا متشابهة فى سوريا فوجد أن ٤٦٪ من المتعلمين تعليما ابتدائيا يقرأون الصحف وترتفع هذه النسبة الى ٦٨٪ بين المتعلمين تعليما ثانويا وتصل الى ٦٥٪ بالنسبة للمتعلمين تعليما عاليا ·

---

١) اريك بارنو : المرجع السابق ·
٢) World Communications (1956)

وعلى ذلك فان الكلمة المطبوعة تصبح فى الوطن العربى مدرسة للمثقفين الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة ومشاغلها حيث تصل بينهم وبين مناحى اهتماماتهم الثقافية ، وتكون بمثابة الحصة اللغوية اليومية أو الاسبوعية أو الشهرية • والصحيفة بذلك تيسر لهم استمرار حياتهم اللغوية ومتابعة هذا المد الذى بدأوه فى التعليم • كما ان الكلمة المطبوعة تصبح مدرسة لعامة المتعلمين الذين لا يملكون الفرصة للدراسة المنظمة ولا يجدون فى حياتهم ما يعينهم على ذلك وييسر لهم اسبابه •

ان عامة المتعلمين يجدون فى الكلمة المطبوعة المبسطة مجال تيسير المعرفة واتاحة أسباب اللغة •

وعلى ذلك فان لغة الصحافة ذات اثر كبير فى حياة الأمة الفكرية اللغوية حيث تتيح للفكر فرصة الظهور وتمكن له من فرص النمو كما تضيف - باستمرار - الى رصيد الفكر العربى وحياته الفنية والتعبيرية جديدا •

واذا القينا نظرة سريعة على اثر الصحافة فى اللغة فى النصف الأول من القرن الحاضر فى مصر نجد طائفة من مشاهير الكتاب فى الأدب والسياسة والاجتماع كان لمقالاتهم وكتبهم التى نشرت كمقالات فى الصحف اثر كبير فى تطور الشعر والادب العربى بوجه عام وهم يشتركون جميعا فى وفرة المحصول من المقالات فى المجلات والصحف على اختلاف انواعها غير انهم اختلفوا فى اسلوب الكتابة : فمنهم المتعلق وراء الفكر (العقاد) ومنهم المؤثر للاسلوب الحديث القريب التناول (المازنى) ومنهم الاكاديمى المتمكن من الاسلوب العربى الكلاسيكى القادر على معالجة نواحى الحياة الحديثة بهذا الاسلوب (طه حسين) •

والصحافة توجه النشاط العقلى للأمة • فتاريخ الصحافة اذا كان يشمل فترة طويلة من الزمن يسمح لنا بأن نتبين تاثير التطور الاجتماعى على عقلية الناس فاللغة الصحفية تتجه نحو التخلص من الخصائص الغيبية لتسير فى سبيل العقلية ونحو التعبير عن الأفكار الشخصية لترقى الى التجديد •

ولا يهولن الحريصين على اللغة وسلامتها ذلك المنهج الجديد ، فانه لن يمس جوهر اللغة العربية بل يسير طبقا لخصائصها وأساليبها الاصيلة والقديمة •

فاللغة العربية لا تضيق بالتجديد فقد اتسع صدرها لمراحل متعاقبة من التهذيب والتطور وبرهنت فى كل ذلك على قدرتها وقوتها وعلى استجابتها لمن يريد أن ينهض أو يمدها بقوة تساير بها ذلك النهوض الذى يزحف فى سرعة على جميع الاقطار من كل جانب وفى شتى فروع الثقافة النقلية والعقلية ٠

وعلى ذلك فان الصحافة العربية تسـهم فى تجديد اللغة العربية عن طريق عاملين رئيسيين ، أحدهما هو الكسب الخارجى أى ما يتسرب اليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة البرقية ، ثم يتاصل فيها ويصبح جزءا ثابتا منها ٠

وقلما نجد لغة لم تتاثر كثيرا او قليلا بسـواها فلا بدع أن ٠٠ن فى لغتنا العربية الفـاظ وأوضـاع استقرت فيها على توالى العهود فاصبحت بمنزلة الفصيح من كلامها نستعملها فى نثرنا وشعرنا دون ان نحسبها غريبة عنا » على حد تعبير الاستاذ انيس المقدسى » ٠ (٣)

ودراسة المفردات فى لغة الصحافة تتجه ناحية اخرى غير الناحية التاريخيـة فالكلمات لا تسـتعمل فى واقـع اللغـة الصحفية تبعا لقيمتها التاريخية ٠ ذلك ان للالفاظ فى الصحافة قيمة وقتية أى محددة باللحظة التى تستعمل فيها وقيمة مفردات خاصة بالاستعمال الوقتى الذى تستعمله ٠

وقد تمر لحظة تستعمل فيها كلمـة ما استعمالا مجـازيا ولكن هـذه اللحظة لا تطول لان اللفظـة فى اللغة ليس لها الا معنى واحـد فى الوقت الواحد ومن ذلك فى الأدب القديم مثلا ٠

اذان الحيطان ــ للنمامم أو المسترق للسمع جاسوس القلوب ــ لمن كان حاذق الفراسة اطفأ الله ناره ــ أى افقره ٠

ركب راسه ــ أى سار متعسفا لا يلوى على شىء ٠

قبلة الحمى ــ أى ما تتركه الحمى من أثر على الشفتين والثغر ٠

فقيمة الكلمة يعينها السياق ، اذ ان الكلمة فى الصحافة بالذات توجد فى كل مرة تستعمل فيها فى جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا ٠

---

٣) مؤتمر المجمع اللغوى ــ الدورة الحادية والثلاثون ٠ ٦٤ ــ ١٩٦٥م

والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعانى المتنوعة التى يمكن ان تدل عليها · ويخلص السياق الكلمة من الدلالات الماضية التى تدعها الذاكرة تتراكم عليها ويخلق لها قيمة حضورية (على حد تعبير الدكتور مراد كامل) ·

ومن ذلك ما جرى فى لغة الصحافة جريانا طبيعيا من الفاظ واوضاع جديدة لمعان شتى · فقيل مثلا : ـ

فنان ـ للماهر فى الفنون · أصبح على أمر ما أى انكره ، ووضع فاعله موضع الملامة ·

تجول فى البلاد ـ بدل جول فيها · اكتشف الأمر ـ أى كشفه واظهره لاول مرة · خابره ـ أى فاوضه أو بادله الخبر ومنه قلم المخابرات حكم على المجرم بالاعدام أى بالموت ·· والاعدام اصلا فقد المال ، فحولوه الى فقد الحياة ·

نظام وحدوى ـ نسبة الى الوحدة والقياس أن يقال وحدى ومثلها كتلوى نسبة الى الكتلة ·

وكان الكتاب والخطباء يقولون بحكم السليقة ثوروى نسبة الى الثورة فعدلوا عنها مؤخرا الى القياس المتكلف وصاروا يقولون ثورى ·

تكرر الشراب ـ أى تصفيته بتكرير نقله من حال الى حال · المظاهرات الشعبية ـ أى ظهور الشعب معا لمناصرة قضية ما وبعضهم يقول التظاهرات

والكلمة بكل معانيها الكامنة توجد فى الذهن مستقلة عن استعمالاتها المختلفة التى تتشكل بحسب الظروف الداعية لخروجها ذلك انه ليس فى الذهن كلمة واحدة منعزلة فالذهن يميل الى جمع الكلمات والى اكتشاف صلات جديدة تجمع بينها عن طريق تنظيم المدركات ·

وتأسيسا على ذلك وجدنا اللغة الصحفية تتجه الى الوضع اللفظى لمختلف المعانى والاغراض ، فأضافت الى اللغة كثيرا مما لم تعرفه من قبل واستخدمت فى ذلك النحت والقياس والاشتقاق ·

وقد زاد هذا الاتجاه اتساعا ابان نهضتنا الجديدة ومن هـذه الالفـاظ الحديثة التى وضعتها وعممتها الصحافة :

العضوية ـ اى الانتساب الى جمعية اوهياة ذات نظام خاص ·

المنطاد ـ لما يعرف فى الغرب بالبالون ·

الدراجة ـ وهى ترجمة للبيسكلات ·

الشيوعية ـ للنوع المعروف من النظام الاشتراكى ·

الهاتف ـ للتليفون ·

المذياع ـ لآلة الراديو المذيعة ·

المأساة ـ للرواية المسرحية المحزنة ·

البستنة ـ علم زرع البساتين ·

البلاط ـ لقصر الملك او مركز حكمه وادارته للمملكة (٤) ·

كما اتجهت لغة الصحافة فى اتجاه الوضع المجازى عن طريق توليـد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معانى خاصة مثل :

القوة الضاربة اى السلاح الكافى لضرب العدو أجتمع المؤتمر على صعيد الوزارة ـ اى كان مؤلفا مـ نوزارة الدولة ·

غسل يديه من المسالة ـ اى تبرأ منها ·

ضرب السوق السوداء ـ السوق يتعامل بها خفية تهربا من التسعيرة القانونية هو صاحب الكرسى ـ أى رئيس المجلس ·

الشارع يناصر فلانا ـ أى السوقة وعامة الناس ·

---

٤) انظر محـاضرة الاسـتاذ انيس المقدسى عـن « الكلام المولد فى معاجمنا الحديثة » مؤتمر المجمع اللغوى ـ الدورة الحادية والثلاثون ـ ٦٤ ـ ١٩٦٥م ·

احذ المبادرة ـ أى سبق غيره فى امرها ٠

انتهاك صارخ لحقوق الشعب ـ اى انتهاك واضح شديد ٠

ناطحات السحاب ـ للابنية ـ الشاهقة العلو ٠

توترت العلاقات بينهم ـ اى ساءت واشتدت صوت فى الجلسة لفلان اى كان من مؤيديه اظهر تاييده له (٥) ٠

كما اتجهت لغة الصحافة الى الاشتقاق الاسمى عن طريق اشتقاق صيغ من اسماء خاصة ٠ ومن امثلته :

قنن ـ من القانون ٠ نقول قنن الطعام اى تناوله بحسب قانون محدد ٠

مول ـ من المال ٠ مول المشاريع اى قدم المال اللازم لها ٠

تطور ـ من الطور فنظام التطور هو التقدم من طور الى طور ٠

عايد أو عيد ـ من العيد احتفل بالعيد أو هنأ به ٠

قيم ـ من القيمة ٠ تقييم الاشياء اى تقدير قيمتها ٠

استجواب ـ من الجواب ٠ استجوب القاضى فلانا اى طلب منه الجواب ٠

وقد شاع اشتقاق وزن تفعل من اسماء المدن والبلدان والامم والاعيان حتى كاد يصبح قياسيا : كقولهم تمصر أى اتخذ الجنسية المصرية أو تفرنس اى اتخذ الجنسية الفرنسية ، وهكذا تامرك وتألمن وتبلشف وتبلور واشباهها ٠ ومثل ذلك المنسوبات الى بعض الاسماء والصفات كقولنا ماهية ـ انسانية ـ أهمية ـ مسئولية ـ واقعية ـ تقدمية واشباهها (٦) ٠

كما تتجه لغة الصحافة الى استعمال الكثير من التعبيرات التى ترجمت حرفيا من اللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية ٠ وهذه التعبيرات

---

٥) المرجع السابق ٠
٦) المرجع السابق ٠

يبدو من ظاهرها انها عربية ولكن الصحيح انها تعبيرات مولدة وتسمى Neologisme ومترجمة ترجمة حرفية ، ومن ذلك :

« على طول الخط » و « غسل يده من الامر »

وعلى ذلك فان منهج البحث اللغوى فى الصحافة ، ينبغى ان يتجه اولا الى الجمع والوصف ثم الى التحليل والتعليل والتاليف وقد نجح اللغويون والنحويون قديما فيجمع مواد اللغة العربية ووصفها وتوصلوا الى تدوين اكثر ما جاء فى النثر وفى الشعر معا ، وكان نجاحهم الذى احرزوه فى الصرف والنحو واكثر منه مفردات اللغة ·

على ان بعض المستشرقين اهتم اهتماما خاصا بالالفاظ والمصطلحات العربية الجديدة التى ادخلتها الصحافة · نذكر منهم على سبيل المثال اللغوى الالمانى هانز فيهز الذى وضع فى اعقاب الحرب الثانية معجما بالمفردات العربية المستعملة فى الكتابات الحديثة ·

وبعد سنوات قليلة اشترك مع لغوى انجليزى « د· ج· ملتون كون » فنقله الاخير الى الانجليزية بعد ان نقحاه ووسعا فيه ونشراه سنة ١٩٦١ باسم « معجم العربية الكتابية الحديثة » ·

ومثله Charles Pellot فى كتابه « العربية الحية » L'Arabe viant المطبوع فى باريس سنة ١٩٥٢ و E.M. Bailey فيما جمعه من الفاظ الجرائد تحت عنوان قائمة الفاظ عربية حديثة A List of Modern arabic words وفريد فهمى ويوسف شلالة فى المعجم العلمى Dictionnaire pratique وعدد غيرهم ممن عنوا بهذا الامر فصرفوا انظارهم الى المستعمل فى لغتنا فى الكتابة الحديثة ·

ومهما يكن فالذى لا مراء فيه ان معاجمنا الحديثة ارحب صدرا من القديمة فى قبول شتى المولدات ـ كما يقول الاستاذ المقدسى (٧) فهذه المولدات الصحفية لم يتسع ميدانها فى عهد كما اتسع عقب الحرب العالمية الاولى حين ظهرت هيئات لغوية رسمية فاضطلعت بهذه المهمة كالمجمع العلمى العربى فى دمشق ومجمع اللغة العربية فى القاهرة والمجمع العلمى العراقى ببغداد ·

---

٧) نفس المرجع ·

والمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى بالرباط ٠ وكان لكل منها يد تذكر فى هذا المجهود اللغوى الكبير الى جانب عمل الصحافة خارج المجامع : « على ان الانظار كانت من الناحية اللغوية متجهة اكثر الى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، أولا لما يتمتع به من صفة التمثيل العام وثانيا لانه جعل غايته الرئيسية وضع معجم كبير للغة العربية جامع لجميع مواردها الاصلية والمولدة والمعربة من قديمة وحديثة مع شرح واف لها وتاريخ الدخيل منها وتبيان لاصولها وطرق استعمالها » (٨) ٠

« والذى يراجع مقرراته والاسس التى وضعها ليشيد عليه هذا البناء العظيم يجد انه مع شدة حرصه على سلامة اللغة وغيرته على تراثها القديم لم يقف ازاء ما طرأ عليها من تطور وقفة المستنكر ، ولا تردد فى اقتباس الجديد الموافق ولا سمح للعصبية اللغوية ان توجه نظره الى ما وراء فحسب فتعميه عن رؤية ما هو أمام بل جابه مشكلات اللغة بحس علمى فى أكثر الاحيان وناقش حلولها بصراحة وحرية تامة ، ولا ينكر انه كان يتعثر احيانا فى طريق وهمى طريق وعرة لا يؤمن فيها العثار ـ ولكنه على الغالب لم يكن يأبى النقد أو يأنف من التراجع عن الخطأ وتتجلى هذه المزايا فيه لمن يراجع المعجم الوسيط الذى اخرجته سنة ١٩٦٠ لجنة من المجمع ٠ ويجب الاعتراف بانه خدم اللغة خدمة تذكر أو سار شوطا لم يبلغه سواه فى تسجيل بل تفصيح ما استحدث فيها من الفاظ وأوضاع اقتضاها ، تطور المجتمع العربى (٩) ٠

والى ذلك يشير أمين سر المجمع فى تصديره لهذا المعجم حين يصف منهج المجمع فيقول :

« وتوسع فى المصطلحات العلمية الشائعة ودعا الى الاخذ بما استقر من الفاظ الحياة العامة وخطا فى سبيل التجديد اللغوى خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين ـ شأنهم فى ذلك شأن القدامى سواء بسواء ٠ وعم القياس فيما لم يقس من قبل واقر كثيرا من الالفاظ المولدة والمعربة الحديثة ، وشدد فى هجر الحوشى والغريب » ٠

ويبين مما تقدم ان لغة الصحافة لا تختلف فى منهج تطويرها للغة عما يريده اللغويون وحراس اللغة ، ورغم ان الصحفى مطالب بتكييف اخباره

---

٨) المرجع السابق ٠
٩) المرجع السابق ٠

ومقالاته وفنونه التحريرية وفقا للقوالب الصحفية المنشورة فان عليه ان يحرص على القواعد المصطلح عليها فى النحو والصرف والبلاغة وما اليها واذا كانت لغة الصحافة تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح فانها تحاول كذلك ان تحرص على خصائص اخرى للاسلوب لم ينكرها المجمعيون وحراس اللغة من بساطة وايجاز ووضوح ونفاذ مباشر وتاكيد واصالة وجلاء واختصار ·

وهناك بحث هام بحثا قام باعداده اللغوى الكبير الاستاذ انيس المقدسى تحرى فيه الشائع من المفردات المولدة (اى غير الدخيلة) وفى رأينا ان هذه المفردات انما هى من صنع الصحافة قبل ان تشيع فى لغة الادب المعاصر يضاف الى ما ورد فى المعاجم الحديثة مما اثبته الاستاذ المقدسى نحو مائة مصطلح مولد من قبيل العبارات الشائعة ـ كقولنا اخذ المبادرة ـ انتهاك صارخ للعدل ـ رشح فلانا لكذا ـ تبلورت الفكرة ـ الى الملتقى ـ وامثالها ·

ذلك ان لغة الفن الصحفى لا تهدف الى افساد حاسة الجمال لدى القراء بل العكس من ذلك تتضمن اتصالا ناجحا أساسه الوضوح والسهولة لتخطى عقبات التصميم المحدود المساحة للعمود فى الصحيفة والحروف الصغيرة التى تطبع بها ويكون من الصعوبة قراءتها ـ احيانا ـ وخاصة لضعاف البصر وهذه العوامل تهم الصحفى الى حد كبير اذ عليه ان يختار كلمة ويضعها فى جمل وفقرات تساعد على استبعاد تداعى المعانى أو ازدواجها ·

وتاسيسا على هذا الفهم اتجه مجمع اللغة العربية الى اقرار قياسية السين والتاء للجعل والاتخاذ وتصويب استعمال كتاب الصحافة وغيرهم « استهدف الشىء أى جعله هدفا » ·

وقد سبق للمجمع ان أقر قياسية دخول السين والتاء للطلب أو الصورة لكثرة ما ورد من أمثلته نحو :

استعبد عبدا ، واستأجر اجيرا ، استخلف فلانا واستعمر فى ارضه ، واستشعر الرجل اذا لبس شعارا ·

وفى اعتبار هذه الصيغة قياسية تيسير للاصطلاح العلمى والاستعمال الصحفى ولهذا ذهب المجتمع الى قبول ما يصلح من الكلمات على هذه

الصيغة للدلالة على الجعل أو الاتخاذ وبحث المجمع فعل « استهدف متعديا فى مثل قول استهدف المصلحة العامة مع انه لم يرد متعديا فى كتب اللغة فرأى تخريجه على أن السين والتاء فيه للجعل أو الاتخاذ فاستهدف المصلحة العامة جعلها أو اتخذها هدفا ٠

كما اقر المجمع (١٠) ان توهم اصالة الحرف الزائد وان لم يبلغ درجة القاعدة العامة ، ظاهرة لغوية فطن لها المتقدمون ودعمها المحدثون ولهذا ذهب المجمع الى ان يقبل نظائر الامثلة الواردة على توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحول ، مما يستعمله المحدثون ، اذا اشتهرت ودعت اليها الحاجة واقر المجمع كذلك جواز النحت واعتبره ظاهرة لغوية اخذ بها قديما وحديثا ، وقد وردت منه كثرة تجيز قياسيته فينحت عنه الحاجة من كلمتين أو أكثر على ان يستعمل الحرف الاصلى دون الزوائد وأن يلتزم الوزن العربى اذا كان النحت اسماء فان تضاف اليه ياء النسب ان كان وصفا وأن يقتصر على وزن فعال وتفعال ان كان فعلا ، الا اذا اقتضت الضرورة غير ذلك ٠

كما اجاز المجمع (١١) صوغ المركب المزجى عند الضرورة فى المصطلحات العلمية وعلى الا يقبل منه الا ما يقره المجمع ٠

والمركب المزجى هو ضم كلمتين احداهما الى الاخرى وجعلها اسما واحدا اعرابا وبناء ، سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين، ويكون ذلك فى اعلام الاشخاص واعلام الاخبار والظروف والاحوال والاصوات والمركبات العديدة مثل : نيويورك ـ نيوفوندلاند ـ يورك شير ـ بردرود ـ واشباهها من اسماء الاماكن وكذلك الكلمات ٠

ماورد ـ مازهر ـ سنامكى ـ وامثالها من اسماء العقاقير ٠

وفى ذلك ما يبين التقارب الشديد بين لغة الصحافة وجهود المجمعيين. بحيث نذهب مع **الدكتور ابراهيم بيومى مدكور** (١٢) الى ان لغة العلم أوشكت او كادت ان تصبح واحدة فى العالم العربى باسره لان المجمعيين « يعنون بأن يكون للمصطلح الاجنبى مقابل واحد رغبة فى التلاقى والتوحيد

---

١٠) الدورة الحادية والثلاثون ٦٤ ـ ١٩٦٥م ٠
١١) نفس المرجع ٠
١٢ ـ نفس المرجع ٠

ويقينى ان لغة الحياة العامة نفسها ستتشابه وتتماثل ما أمكن وتقل اوجه الخلاف فيها من قطر الى قطر بفضل المذياع الصوتى والمرئى والصحافة والمسرح والسينما » ٠

ذلك ان لغة الصحافة هى لغة الوضوح والدقة والبيان والسرعة ٠ يصطلح عليها العلماء والادباء والصحفيون فتكون قاسما مشتركا بين لغة العلم ولغة الادب وتكون عاملا من عوامل التقريب بين مستويات التعبير المختلفة ٠

وفى ضوء هذا الفهم للغة الصحافة ، اقرت المجامع اللغوية آلافا من المصطلحات التى تستمدها من الصحفيين والكتاب الذين لم تحرمهم المجامع حق وضع المصطلح ولم تعترض سبيلهم وانما ذهبت هذه المجامع الى ان استعمال لغة الصحافة اقرب الى اصول اللغة واشيعه بين الباحثين وأن يتخذ منه لغة موحدة فى العالم العربى بأسره ٠

على ان مسئولية الصحف ينبغى الا تنتهى عند حد الاجتهاد وكفى ٠ اذ ان عليها ان تسهم فى تعميم المفردات التى تقرها المجامع اللغوية وما تقرره من قواعد لتسهيل اللغة ولاسيما ان هذه المفردات وهذه القواعد انما تستمد من لغة الصحافة نفسها وما تقطعه من شوط فى تطوير اللغة ووسيلة الصحافة فى تحقيق ذلك سهلة ميسورة لما ادخلته من تعديلات على مواد الجريدة وزاد بذلك عدد صفحات الطبعة الواحدة منها فهناك صفحة للادب وهناك صفحة المرأة وهناك صفحة الشباب الخ ٠

وذلك كله فضلا عن الصفحات الحديثة التى خصصتها الجريدة لشئون السينما والمسرح والرياضة ٠

ومعنى ذلك ان الصحيفة الحديثة غدت اشبه شىء بموسوعة شعبية كبيرة تضم اليها اشتاتا من الدراسات المختلفة يقبل عليها القراء ، كل بحسب ميوله واهوائه وكل بحسب ثقافته واستعداده ٠

وهكذا فرضت الصحافة الحديثة على نفسها واجبا فى غاية الخطورة هو واجبها نحو الادب والعلم والفن والثقافة وفى مقابل هذا الواجب تتحدد مسؤولية الصحافة بازاء المصطلح العلمى وذلك عن طريق تعميمه بين القراء ليسايروا به ركب الحضارة الانسانية ويتمشون به مع التقدم البشرى فى كل مجال من المجالات السابقة ٠

وقد قام مجمع اللغة العربية بانجاز الفاظ مناسبة للعدد الوفير من المدلولات فى العلوم المختلفة مما انشأته الحضارة الغربية الحديثة · وقد اجاز المجمع استخدام بعض الالفاظ الاعجمية · وفى قرار التعريب « يجيز المجمع ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية ــ عند الضرورة ــ على طريقة العرب فى تعريبهم » وهذا القرار يجيز للعلمـاء ان يعربوا المصـطلحات العلمية اذا لم يكن فى استطاعتهم ان يجدوا الفاظا عربية بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز ·

ومنطق اللغة الصحفية فى تعميم المصطلح العلمى ، كما يقول الدكتور سـلوسن (١٣) يؤكد ان القـارىء لا يضـيره لفظ علمى غريب عليه اذا دعت الضرورة الى استعماله واللغة الصحفية لا تعتذر عن اسـتعمال هذا المصطلح ولا تحاول ان تشرحه بنظرية علمية فهى مثلا تستعمل كلمة « وحدة حرارية (كالورى) بدلا من ان تقول ما هى الوحدة الحرارية علميا وذلك عن طريق وضع المصطلح أو اللفظ العلمى فى سياق يوضحه مثل » : « ان ثلاث قطع من السـكر أو قطعة صغيرة من الزبد تولد ١٠٠ وحدة حرارية والانسان يحتاج الى ١٠٠ وحدة فى السـاعة و ١٦٠ اذا كان يقوم بعمل مجهد » ·

واذا كان ذلك شأن العلم الذى غزا كل مرافق الحياة وباتت أخبـار العلم منعكسة على كثير من تصرفاتنا اليومية حيث لا سبيل للناس الى عزل انفسهم عن أخبار العلم والكشـوف الحديثة فان لغة الصـحافة سرعان ما تعمم المصطلح العلمى على النحو السياقى فى تحويل المصـطلحات الى عبارات عادية لا غموض فيها · وذلك يتطلب ان يكون المخبر الصحفى على دراية وافية بالموضوع الذى يحاول شرحه والا خلط خلطا مزريا فى روايته وكتب عن فكرة خاطئة ·

وما يقال فى مصـطلحات العلوم يقال فى الادب والفاظ الحضـــارة والفنون والفلسـفة على انه فى مواجهة مسئولية الصـحافة تلك يبقى ان تتضافر الجهود لتوحيد المصـطلحات بين البلاد العربية حتى تحتفظ اللغة العربية بوحدتها وهى فى هذا الطور من النمو الذى تسير فيه لتلحق بركب الحضارة ·

---

١٣) Warren. K. Modern News Reparting (1934)

وغنى عن البيان ان لغة الصحافة تسعى لتكامل المجتمع بتنمية الاتفاق العام ووحدة الفكر بين افراده وجماعاته كما ترحب بالتعديلات والتغيرات التى يمكن للجماعة ان تطبعها وتقبلها ·

وتستعين لغة الصحافة على تحقيق هذا الهدف الكبير بمجموعة من الفنون التحريرية تصبح فيها اللغة أساسا لاكثر من شكل وفى مقدمة هذه الفنون التحريرية فن الخبر الذى يبدأ بعنـوان دال على الخبر ومطـابق لحقيقته ولكنه لابد وان يكون مثيرا للانتباه دون تهويل أو خداع وقد يكون للخبر أكثر من عنوان ·

ومع ذلك فان العنـوان ينبغى ان يكون قصـيرا ودالا وامينا · وفى جميع الاحوال يعتبر الخبر الصحفى اجابة عن ستة اسئلة تسمى بالانجليزية 5 w's and h منها خمس شقيقات والسادسة غير شقيقة اما الشقيقات الخمس فهن : من ؟ وماذا ؟ ومتى ؟ وأين ؟ ولماذا ؟ وأما الاخت السادسة غير الشـقيقة فهى كيف ؟ والاجابة عن من ؟ تعبر عن شـخصـية أو عدة شخصيات صنعت الخبر ، وتجيب ماذا ؟ عن الشىء الذى حدث ، اما متى ؟ فلبيان وقت حدوث الخبر كما تبين اين ؟ مكان وقوعه ثم ياتىالسبب لاجابة السؤال الخامس وهو لماذا وتبعث الاخت السادسة وهى كيفية وقوع الحادث الاخر وملابســـاته وظروفه · ولكن ليس معنى ذلك ان ترد الاجابات عـن الاسئلة الخمسة بهذا الترتيب بل لابد وأن يختار العنصر الاساسى والهام أولا ، كما انه ليس من الضرورى الاجابة عن الاسئلة جميعا فى بداية الخبر والا تعرضت المقدمة للحشو المفتعل ·

فالغرض من القالب الصحفى هو نشر الاخبار بوضوح ودقة تساعد القارىء على الفهم ولذلك فان الخبر ينقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية هى : العنوان والمقدمة وجسـم الخبر وفى جميع الاحوال يعبر الصـحفى عـن الحقيقة الموضوعية ويبتعد تماما عن الذاتية فى اختيار الالفاظ أو فى بناء الخبر أو الاجابة عن الاسئلة الستة التى سبق بيانها ·

وفى فن « الماجريات » تتجه اللغة الصحفية الى التسجيل والوصف لنقل تفاصيل روح الجلسة والوصف وتتطلب الامانة فى حذف التفاصـيل التى لا ضرورة لها حتى لا يستغل الحذف للتشويه أو الانحياز لفريق دون اخر فالموضوعية فى لغة الماجريات القضائية والبرلمانية والسياسية والدولية من اهم معالم الصحافة الجيدة ·

وأما صلب « التحقيق الصحفى » فيتخذ خمسة قوالب رئيسية هى : قالب العرض وقالب القصة وقالب الوصف وقالب الاعتراف وقالب الحديث.

وانجح التحقيقات ما يتصل بخبر جديد أو اكتشاف حديث كما يحدث فى التنقيب عن الآثار .

ويحتاج الكاتب الى اعداد الخلفية العلمية من المعلومات الضرورية لوصف المكان الذى يذهب اليه كما ينبغى ان يكون قوى الملاحظة يقظا حاضر البديهة . وأهم من ذلك قدرة الكاتب على الوصف باللغة وراعته فى نقل ما يشاهدة وكانه يرسم لوحات حية .

على ان « المقال الصحفى » من بين فنون التحرير يملك لغة خاصة تنفذ الى المغزى أو الدلالة ، اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية عن طريق الفاظ تقوم على البساطة والوضوح وتيسر الفهم على القارىء العادى . وذلك لان الصحفى يعرض افكارا وآراء ويفسر اتجاهات ويشرح بيانات وهو الامر الذى يدفعه الى استخدام لغة غير منمقة خالية من الصور البيانية لانها ربما تعوق القارىء فى فهمه لفكرة الكاتب فى سرعة ووضوح ويسر .

فالصحفى يرى الاشياء من ناحية دلالتها العلمية وتفسيرها الاجتماعى . الامر الذى يسم أسلوب مقاله بالاسلوب العلمى الاجتماعى .

ولغة الصحافة فى هذه الفنون التحريرية وما يتفرع عنها ، تعمد الى عرض معلوماتها عرضا مباشرا وموجزا وسريعا وتفضل استعمال الجملة القصيرة الايضاحية التى يتعلمها القراء عادة فى المخاطبة . وكذلك الافعال المحكمة المغزى سريعة المعنى .

ان الفعل القصير النشيط يتلاءم بشكل طيب مع الكتابة الصحفية الحديثة . وجميع الصحف تستهدف تيسير المطالعة للقارىء بغية التقليل الى الحد الأدنى من الجهد الذى يبذله لذلك فهى تفضل اللفظ القصير على الطويل والجملة القصيرة على الطويلة واذا نحن عمدنا الى تحليل أى عمود من اعمدة الصحف سبق ان قرأناه بسهولة جاز الا نجد فيه سوى عدد قليل من الالفاظ التى تشذ عن هذه القاعدة (١٤) .

---

١٤) بوند : نفس المرجع .

ولذلك يراعى فى كتابة المواد التحريرية عادة الا يزيد عدد الكلمات فى الفقرة الواحدة على ٧٥ كلمة والا تتالف الفقرة من اكثر من اربع جمل وقد ينقص عدد الجمل الى جملة واحدة فى الفقرة . والجمل القصيرة البسيطة تفضل عادة عن الجمل الطويلة المركبة ولكن محاولة ايجاز الكلام فى عبارات قصيرة ينبغى الا تقضى الى جعل الاسلوب مهلهلا متداعيا (١٥).

وبعد هذه الاطلالة السريعة على لغة الصحافة ، رايناها عملت عملا عمليا مجديا وحاسما فى تجديد اللغة العربية ورسمت خطة لنظام جديد للقواعد النحوية ولطوائف تخريج العبارات العربية تخريجا اعرابيا ولغويا فى حدود خصائص اللغة العربية وذوقها الأصيل الذى رسمه السابقون الأولون .

وهى بذلك تكون قد ادت بنجاح تام كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة ، وكل ما نادى به الغيورون على هذه اللغة .

---

(١٥) Johnson, S., Harris J., The Complete Reporter (1942)

الفصل الثامن

لغة الاذاعة

(المسموعة والمرئية)

لم يعد الناس مقيدين بالاصغاء المباشر فان المذياع والتلفاز ينقلان الآن صوت المتحدث يصل قبل اختراع المذياع الى اسماع بضعة الاف من الناس موجودين ضمن نطاق الاستماع اليه ـ اصبح الآن الجماهير على النطاق القومى بل الدولى ايضا (١) ٠

واستطاعت الاذاعة اللاسلكية بعد ولادتها بزمن ولمجرد جدتها ان تكسب انتباه المستمعين وتحافظ عليه وسرعان ما تضخم عدد المستمعين حتى بلغ الملايين وازداد عدد محطات الاذاعة الى الالاف وانتشرت البرامج على تعدد انواعها الى الالاف واختلاف الوانها فتجاوزت حدود التصور العادى ـ ونشأ عن ذلك كله تحميل الاذاعة مسؤولية هى من اعظم المسؤوليات التى ترتب حتى الآن على اى اختراع قام به الانسان على اعتبار انها قوة حيوية فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية والثقافية من حياة البشر ٠

والمشكلة ليست هى هل نستخدم الاذاعة وانما كيف نستخدمها ٠ ذلك لان الاذاعة تستطيع ان تفعل عديدا من الاشياء تستطيع ان تزود بالاخبار من لا يقرأون الصحف ٠

وتستطيع ان تزود وتجىء بالتعليمات والنصح لاولائك الذين يحتاجون الى المعونة فيما يتعلق بالزراعة او تحسين الصحة او تنمية المجتمع وتستطيع ان تجىء بالتعليم الى الافراد والجماعات من غير القادرين على الذهاب الى المدارس وتستطيع ان تذيع الموسيقى القومية والمسرحيات التى تعتبر من تراث الأمة الثقافى وتستطيع ان تذيع الترفيه الخفيف سواء كان موسيقى شعبية او ملهاة خفيفة او مسلسلات تمثيلية او حفلات او رياضة او ما اشبه (٢) ٠

---

١) شرام : اجهزة الاعلام ص ٢٩٤ ٠
٢) امام : العلاقات العامة والمجتمع ص٢١٣ ٠

وقد ثبت بالاحصاء الى ان الجمهور يحصل على ٦٠٪ من الاخبار عن طريق الاذاعة المسموعة وفى هذا ما يدل دلالة قاطعة على انه قد اصبح للكلمة المسموعة من الأثر ما يقل فى خطورته وضخامته عن الكلمة المقروءة وفى ذلك ما يضع الاذاعة فى موضع متقدم من قائمة وسائل الاعلام التى تؤثر فى تكوين الرأى العام ٠

على ان التعليم كما يؤثر على نوع القراءة فى الصحف فانه يؤثر على نوع البرنامج الاذاعى ونوع الفيلم : فصغار السن وقليلو الحظ من التعليم يميلون الى الاطلاع على النكت ، والصور والتسلية الخفيفة وهم يفضلون ايضا الاخبار المثيرة وخاصة اخبار الجريمة وقد دابت بعض الصحف ودور الاذاعة وغيرها على استغلال هذه الحقيقة سواء فى البلاد العربية أو غيرها بنشر الاخبار المثيرة والمعلومات التافهة المسلية والصور العارية وغيرها من الوسائل الرخيصة لرفع التوزيع وكسب المال باية طريقة ولو تعارضت مع صحة الشعب العقلية ومستواه الاجتماعى (٣) ٠

فلننظر مثلا الى انواع البرامج الاذاعية التى يفضلها الاميون والمتعلمون تعليما ابتدائيا والمتعلمون تعليما ثانويا والمتعلمون تعليما عاليا وفى البلاد العربية اجريت هذه التجارب على المستمعين فى مصر وسوريا والاردن ولبنان باعتبارها ممثلة للعالم العربى فكانت النتائج هى :

البرنامج المفضل	الاميون	تعليما ابتدائيا المتعلمون	المتعلمون ثانويا	المتعلمون عاليا
الاخبار	٤٥٪	٥٤٪	٦٠٪	٥٧٪
الموسيقى الشرقية	٥٩٪	٥١٪	٣٢٪	٢٩٪
الموسيقى الغربية	١٪	٨٪	٣٠٪	٤٢٪
القرآن الكريم	٤٤٪	٣٧٪	١٥٪	١٢٪
الاحاديث والمحاضرات	١١٪	٢٠٪	١٩٪	٢٣٪
موسيقى مختلفة	١٣٪	١٨٪	٢٤٪	٢٦٪

٣) بوند : نفس المرجع ص٥٠ ٠

ولا شك انه من الممكن تربية الشعب وتحسين ذوقه ورفع مستواه ، بل ان هذا واجب أساسي من واجبات الاذاعة ووسائل الاعلام المختلفة سيما ان قوة الصوت البشرى اذت الاتجاه المزدوج تستطيع ان توحي بصورة خيالية هي اكثر من ان تعوض من عدم توافر الرؤية . ذلك ان الصورة تتكون فى ذهن المستمعين دون ان تتقيد بتفصيلات محددة فهي لذلك صورة كاملة لأن المستمع يستطيع ان يكيفها وفقا لذوقه الخاص .

وعلى ذلك فان الاذاعة تكون فى موضع طليعى بالنسبة لجميع وسائل الاتصال بالجماهير فما هو السبب فى ذلك وكيف استطاعت ان تستأثر بكل هذا الانتباه والثقة العامة فى مثل هذا الوقت القصير ؟

ان « كنيث بارتلت » نائب رئيس مركز الاذاعة والتلفاز ومديره فى جامعة « سيراكيوز » هو مرجع فى شئون الاذاعة يبرز الخصائص غير العادية التى تتميز بها الكلمة وقد عددها بما يلى :

شمولها ، وطبيعتها المعاصرة ومخاطبتها المباشرة والفردية ومزاياها كأداة اجتماعية فريدة (٤) .

وعندما احست بعض المجتمعات الغربية بقوة تأثير الاذاعة المسموعة عنى المفكرون فيها بهذا الوسيط الجديد وسجلوا له انه يعيش على ديمقراطية التثقيف لانه يتيح للافراد والجماعات فى كل مكان ان تفيد من المعرفة وان تتذوق الفن وانه اقوى من الطباعة فى تأصيل هذه الديمقراطية الثقافية . ومن هؤلاء المفكرين افراد حاولوا التبشير ببلاغة جديدة وكان على رأس هؤلاء برناردشو وبخاصة عندما عين مقررا لمجلس الاذاعة البريطانية وضم هذا المجلس علماء فى الصوتيات والنفس والتربية الى جنب الفنون والمتخصصين فى الاذاعة يذكر الجيل الماضى المناظرات والدراسات والتحقيقات الكثيرة على هذا الوسيط الثقافى وبرزت تساؤلات قيمة : منها البحث عن طبيعة الجماهير التى تتلقى الكلمة المذاعة وعن الوحدات والانماط التى تتألف منها وحرص بعض المعنيين بالفكر والفن على الاشارة الى برامج الاطفال والمرأة وكيف السبيل الى ان يسهم الاطفال انفسهم فى البرامج الخاصة بهم أو ان يشترك النساء من قطاعات اجتماعية مختلفة فى اقتراح البرامج النسائية أو تأليفها (٥) .

---

٤) بوند : نفس المرجع ص٥٦ .
٥) عبد الحميد يونس : مجلة عالم الفكر ـ المجلد الثانى ـ العدد ٣٧ السادس ـ الكويت .

واستخدمت الاذاعة منهج العمل الميدانى وقياس الرأى العام فى تفهم حاجات الجماهير وحاولت ـ ولا تزال تحاول ـ ان تصل ما بين الانتاج من ناحية وبين التلقى من ناحية اخرى وهذا ما سارت عليه اجهزة الاعلام على اختلافها فقد تفننت فى صنع الاسئلة التى تكشف عن رغبات المستفيدين من هذه الوسائل على تباعد ديارهم وتباين منهم بل واختلاف لغاتهم وتقوم بعد ذلك بتحديد الاجابات لكى تفيد من النتائج فى وضع البرامج وتنمية لغتها وتلبية ما يطلبه اولئك وهؤلاء من مضمون اعلامى وثقافى ٠

ونتيجة لذلك تميزت لغة الاذاعة بالوضوح والاقتصاد والسلامة حتى يمكن ان تصل الى الجمهور الغفير والمشاركة فى تتبع المضمون ومن جهة اخرى كان على هذه اللغة المذاعة ان تراعى اصول الالتقاء الاذاعى الامر الذى يقتضى تقدير القيمة الصوتية للالفاظ والتدقيق فى استخدامها وفى معرفة وقعها الحقيقى على الاذن وفى ذلك كله ما يتجه بهذه اللغة المذاعة الى الاقتصاد فى عدد الالفاظ والاقتصاد على القدر المطلوب لتحقيق الفهم والمشاركة ٠

وتاسيسا على هذا الفهم فان الاذاعة قد استطاعت ان تعمم اللغة المشتركة بين عامة المستمعين وان تمنحها قدر كبيرا من المرونة ولعل اهم ما جاءت به الاذاعة على اللغة جاء من ناحية الصوت وابراز الخصائص الصوتية للغة الضاد عن طريق الاذاعة والالتقاء ٠

ولا يخفى اثر الاذاعة فى الارتفاع بالمستوى اللغوى بين طبقات الشعب كافة ٠ ولان كانت الصحافة قد دفعت باللغة المشتركة خطوات واسعة الى الامام على النحو المتقدم ـ فان الاذاعة وهى صحافة مسموعة ستكون عظيمة الأثر فى زيادة الثروة اللغوية بين عامة الشعب وفى توحيد نطق المفردات وفى التقريب بين اللهجات ٠

ليس من المستبعد ان تنجح فى احلال الفصحى المبسطة محل العامية السائدة ومن ثم فان لغة الاذاعة تتميز عن لغة الصحافة فى ان الفاظ الاولى تصبح رموزا صوتية بالنسبة الى ابناء الاذاعة بدلا من ان تتخذ شكل رموز بصرية وعلى ذلك فان لغة الاذاعة اقل التزاما بالشكليات من الكتابة للصحف ذلك ان لغة الاذاعة هى لغة الاتحاد الحقيقى بين لغة الكتابة ولغة الحديث ٠

على ان الاذاعة لا تقوم على اللغات المحلية وانما تقوم ـ فى أغلب الاحيان على اللغات الغالبة الواسعة الانتشار وهى بعينها ـ كما أوضحنا ـ اللغة المشتركة أو اللغة العربية الفصحى ·

ومن البديهى ان المذياع ينتشر بسرعة عظيمة جدا فلن يمضى وقت طويل حتى نرى اجهزة الاذاعة تتغلغل فى الريف كما تغلغلت فى المدن وسيكون لهذا نتيجته المنطقية المعقولة ، وهى محو هذا الفرق بالتدرج ـ القائم بين الفصحى واللهجات العامية ·

٦ ـ الاذاعة فى المنطقة العربية :

يمكن القول مبدئيا ان جميع البلاد العربية تمتلك المرافق الاذاعية اللازمة لتغطية الحاجات الوطنية · وتجرى الاذاعة فى كل منها باللغة العربية ولكن هناك عددا من الاقطار تذيع بعض البرامج بلغات أخرى اما باللغات الاجنبية الرئيسية وخاصة الفرنسية فى بلاد المغرب العربى أو بمختلف اللهجات المحلية مثل القبيلية والبربرية والكردية والتركمانية ·

وقد دخل التليفزيون معظم البلاد العربية ولو ان انتشار الخدمات التليفزيونية ومدى تغطيتها وعدد الاجهزة فيها تختلف اختلافا كبيرا من قطر الى قطر ·

وبينما هناك عدد من البلاد مثل جمهورية مصر العربية بها مرافق تليفزيونية متقدمة من حيث الانتاج ومدى التغطية لا تزال بلاد اخرى تعانى نقصا شديدا فى الناحيتين : الانتاج ومدى تغطية وربما جعلت الظروف الجغرافية والسكانية السائدة فى بعض الاقطار أمر تغطية البلاد بالخدمات التليفزيونية بنسبة ١٠٠٪ أمرا باهظ التكاليف الى درجة التعجيز فى حالة استخدام الوسائل التقليدية الارضية ·

ويدعوا الامر الى الشك فى امكان تحقيق التغطية الكاملة بهذه الوسائل ففى بعض البلاد كالسودان والسعودية · ومن مظاهر التفاوت الكبير بين بلاد المنطقة ما نراه فى الكويت مثلا ، اذ استطاع التليفزيون الكويتى تغطية اجزاء الدولة كلها بجهاز ارسال واحد ·

---

٦) اعتمدنا فى هذا الجزء على تقرير لليونسكو صدر فى باريس مايو ١٩٧١ ·

وفى معظم البلاد تتولى شئون الاذاعة هيئات رسمية توفر للبلاد خدمة تليفزيونية على مستوى وطنى وهناك بعض البلاد التى وضعت لنفسها خططا للتوسع فى الخدمة التليفزيونية تقضى بانشاء قناة اخرى تستخدم احيانا لاغراض تعليمية . ويتم تمويل الخدمات التليفزيونية عن طريق الرسوم التى يدفعها الافراد للترخيص لهم بحيازة الاجهزة والمعونة التى تقدمها الدولة علاوة على ان الهيئات التليفزيونية فى بعض البلاد تقبل الاعلانات وفى لبنان يوجد شكل من اشكال التليفزيون التجارى .

ويجرى التعاون بين هيئات الاذاعة فى المنطقة العربية بواسطة اتحاد اذاعات الدول العربية .

ويضم هذا الاتحاد هيئات الاذاعة فى الدول الاعضاء فى جامعة الدول العربية وقد أنشىء فى نطاق الجامعة ومقره فى القاهرة .

وتنص اتفاقية الاتحاد من بين ما تنص عليه من أهداف على تنمية الطاقات العربية فى الحقل الاذاعى وتبادل الخبرات والمعلومات والمواد مما يعود بالمصلحة على هيئات الاذاعة وتنسيق استخدام الموجات فى المنطقة العربية وتوحيد موقف الدول العربية فى المؤتمرات الدولية التى تعقد لهذا الغرض .

وفى الدورة الثانية للجمعية العمومية المنعقدة فى ١٩٧٠ صدق الاعضاء على الميثاق الاذاعى العربى الذى وضع أسسا للاذاعة فى العالم العربى تتعلق بموضوعات منها تحقيق الاهداف الوطنية والحفاظ على القيم الدينية والاخلاقية والعمل على التنمية التعليمية والثقافية وتوعية الرأى العام ومسئولية الهيئات الاذاعية والاعلانات التجارية .

ومن شواهد الاهتمام ببرنامج التبادل ما جاء فى توصيات لجنة البرامج التابعة للاتحاد فى عام ١٩٦٩ من أن هذا التبادل وسيلة لبلوغ اهداف الاتحاد « ولا سيما ان اللغة العربية الواحدة والثقافية العربية المشتركة تمهدان الطريق لتبادل البرامج بين هيئاتنا الاذاعية » . ومع هذا فتشير المعلومات التى اتيح للبعثة الاطلاع عليها انه لم يحدث تقدم كبير فى مجال تبادل البرامج .

ويمكن البحث عن السبب فى مجال التليفزيون بأن هناك نقصا فى الوصل الداخلى بين البلاد .

كما تجدر الاشارة الى ان عددا من الاذاعات العربية اعضـاء ايضا فى اتحادات اذاعية اخرى كاتحـاد الاذاعات الافريقية واتحـاد الاذاعات الاوربية والمنظمة الدولية للراديو والتليفزيون ٠

٢ ـ الربط القائم والمنتظر فيما بين الاذاعات :

من الناحية العملية لا يوجد ربط دائم فيما بين الشبكات الوطنية القائمة حيث ان انشـاء هذه الشبكات لا يسمح باقامة اكثر من ربط جزئى بينها ٠ ومع هذا فهناك رغبة دافقة فى ايجاد برنامج للتبادل بين البلاد ففى شهر رمضان عام ١٩٧٠ قامت بلاد المغرب الثلاثة ـ المغرب والجزائر وتونس ـ بجهود ضخمة لتبادل البرامج يوميا ولتحقيق هذا الغرض اقيمت مؤقتـا محطة ربط متنقلة تعمل بالمواجات المتناهية الصغر بين المغرب والجزائر ٠ ويبدو أن الأجهزة النهائية اللازمة قد تم الاتفاق على شرائها ٠

وفى اجزاء اخرى من المنطقة يتقدم العمل فى تنفيذ مشروعات اخرى وقد احيطت البعثة علما على وجه الخصوص ان محطات الربط بين جمهورية مصر العربية وليبيا وبين جمهورية مصر العربية والسـودان سوف ينتهى العمل فيها خلال السـنوات الثلاث القادمـة ٠ وعلى أى حال فقد تقرر فى اجتماع الاتحاد العربى للمواصلات السـلكية واللاسـلكية ان الوصل بين جمهورية مصر العربية وليبيا سيتم عن طريق كابل ذى محورين ويحتمل ان يكون خاليا من القدرة التليفزيونية ٠

وترتبط مدينة الكويت بالبصرة فى العراق ولكن البصرة الآن ليست موصلة بالشـبكة العراقية وينتظر حسب الخطة انشاء هذه الوصـلة فى غضون عامين ٠ وهناك ايضا محطة ربط يجرى بناؤها بين الاردن وسوريا ولبنان ٠

وعلى هذا يمكن القول بأنه يوجد أو سوف توجد وصلات جزئية بين مختلف الشبكات وبعض الشـبكات الوطنية يصعب الوصـل بينها كما هو الحال بالنسبة لجمهورية مصر العربية والسودان علاوة على ان عددا من الشبكات الصغيرة (امارات الخليج) لا يمكن وصلها بالشبكات الاخرى الا بصعوبة ٠ ويبدو بصفة عامة ان مشروعات تجهيز شـبكات التليفزيون ووصـلها ببعضـها لا تأخذ فى اعتبارها اكثر مـن احتياجات الخدمـات التليفزيونية الراهنة لاهداف التوسـع فى الخدمـات وخاصـــة للاغراض التعليمية ٠

وهذه الصورة تجعلنا نتفاءل بالنسبة لمستقبل الفصحى .

وليس من شك فى ان السنة العامة ستقومها هذه الاذاعة لانهم سيعملون على محاكاتها راغبين أو كارهين فى نطق الالفاظ كما انهم سيأخذون منها الكثير من الجمل والتعابير وبهذا يتخلصون شيئا فشيئا من خصائص لهجاتهم المحلية .

وتاثير الكلمة المذاعة من هذا الجانب يختلف عن تاثير السينما التى تعتمد على اساليب خاصة فى الكتابة اليها ذلك لان الاخيرة تشبه المسرح من حيث ان الجمهور يحتشد فى صعيد واحد لتلقى الفن والتفاعل معه أى ان العقلية الجماعية تتغلب الى حد ما على العقلية الفردية ويقتضى ذلك وقتا محكما للعروض كما يقتضى اطارا معينا وسياقا زمنيا لا ينبغى تجاوزه الا بالحد المعقول . اما الاذاعة فالمستمعون اليها فرادى ولو اجتمعوا فى اماكن اختاروها ولم تفرض عليهم .

ومعنى هذه الحقيقة ان الفرد تغلب عليه عقليته ولا يذوب تماما فى العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين ولذلك تتسم الكلمة بانها موجهة الى افراد .

انها تختلف عن الخطبة وتختلف عن الحوار فى المسرحية أو الفيلم مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدها واصولها الى اخرى لها شخصيات اخرى ففى هذه المراحل نجد ان الاذاعة تنقل مناهج المسرح والسينما فى الاحاديث المباشرة والحوار ولا تتخلص من منصة الخطيب والمعلم بيد انها تفيد من تجاربها مثلها فى ذلك مثل أوعية الثقافة الاخرى وتتخلص من اسلوب الاوعية التى سبقتها ولا تزال تعاصرها .

وتنشىء بلاغة خاصة بها تلتزم اصولا وقواعد اثمرتها طاقة هذا الوعاء وطبيعة اللغة الانسانية الى جانب الرموز والمؤثرات والزخارف الصوتية الاخرى (٧) .

ومن البديهى ان تزدهر الفنون اللغوية كلها ، بفضل هذا الوسيط الجديد الذى اضفى على اللغة الاعلامية المشتركة بلاغة جديدة عن طريق

---

٧) د . عبد الحميد يونس : مجلة عالم الفكر ـ المجلد الثانى العدد الأول ـ الكويت .

الايحاء الى الذهن ، والاعتماد على قوانين البساطة والوضوح والاقتصاد فى مكونات هذه البلاغة ·

وكل ما احتاجت اليه لتحقيق اغراضها هو الاستعانة بزاوية فى الموقف الغامض والتنبيه الى الحركة والنقلة · ولم يكتف القائمون على الاذاعة من تجاربهم ، ولكنهم طلبوا الاتفاق بمراجعة ما يقدمون للمستمعين وتم لهم ذلك بفضل استغلال اجهزة التسجيل الصوتى التى اتاحت لهم المراجعة والتنقيح قبل العرض ، ولكن الاذاعة تعرضت لما تعرضت لـه الاوعية الثقافية ذوات الانتاج الكبير لتعدد المحطات وطول الساعات والتنوع الواجب فى البرامج والتجديد المستمر فى المادة المذاعة كل اولئك قد جعل البرامج تميل الى الكيف وتترخص فى الارتجال فى بعض الاحيان ·

والى جانب كل هذا فان عنصرا اضافيا جعل عمل الرواية الاذاعى مختلفا عن دور الرواية فى الكلمة المطبوعة ذلك هو عنصر الصوت والموسيقى ·

فهذا عنصر من النزعات الخفية فى النفس واطلق عمليات التصرف واخذ الناس الى اماكن سحرية نائية · وانجذبت الملايين الى مكبر الصوت بفعل الصوت هذا الذى اصبح عاملا مؤثرا (٨) ·

واذا غلت الاذاعة اخذت تفقد قناعها بحدود الرواية والاشكال السردية ارادت ان تصبح فنا استعراضيا عندما جاءت التلفزة اتضح ضيق حدود الاذاعة المسموعة وظهر انها لا يمكن ان تصبح فنا استعراضيا لانها ببساطة لا تعرض مادتها امام العين فكان على الاذاعة ان تصنع البرامج المختلفة ، التى تعتمد على قانون البساطة والاقتصاد فى اللغة المذاعة حتى تستأسر باى قطاع متبق من اهتمام الجماهير ·

وهكذا عادت الاذاعة المسموعة تركز من جديد على عنصر الرواية على اعتبار ان الكلمة المذاعة اساسا وسيلة تعبير قوامها الرواية من ناحية الشكل الفنى على الاقل فالمذيعون يروون نتائج المعركة الانتخابية واصابات المباراة واخبار الساعة كما نجد الرواية (ممثلا فى مقدمى الاغانى والمعلقين ومذيعى الرياضة ومديرى المحادثات مع الشخصيات الهامة

---

٨) 1. Barnaw : op. cit.

والمحاضرين والمحدثين وأصبحت التمثيليات أقل عددا وما بقى منها اتجه الى القصر والبساطة وظل دور الرواية سائدا فيها فى اغلب الاحيان (٩)٠

ولا نستطيع ان نقول ان « التليفزيون » هو خاتمة المطاف بين الوسائل الاعلامية وانه صاحب الكلمة الحاسمة فى لغة الاعلام الجديدة التى استشعرتها الحياة بفضل التقدم الباهر فى الطاقة والحركة وانتاج الاجهزة الاعلامية ٠

والتليفزيون يعتمد على ما يسمى بالشاشة الصغيرة وهو يجمع المسموع الى المنظور ويستغل الصور والصوت وانه يفضل عن الاذاعة من هذه الناحية ويشبه السينما من ناحية المنهج ولكنه يختلف عنها فى ان ما يعرض يقدم الى الناس حيث هم فينتقل اليهم ولا يكلفهم مشقة الانتقال اليه ٠

وهو يوجه الى الافراد فى اطارهم الاجتماعى والقومى ولكنه بحكم ارتكازه عل ىالمنظور فى المقام الاول يقتضى من المتلقين له موقفا سلبيا فهو ليس كالمذياع ينقل اللغة الثقافية حتى للعاملين فى المصانع والمزارع والدكاكين انه يتطلب استغراقا كاملا أو شبه كامل لتتم الافادة من عروضه٠

والتليفزيون على خطره ومكانته قد حول الناس من الحركة الى السكون ٠ وان غشيان المسرح أو السينما انما يكون فى وقت محدد وعادة الذهاب الى دور التمثيل او العرض السينمائى وغيرها لا تتحقق الا فى مواقيت الراحة وليست فى كل يوم ٠

ومع ذلك فهذا الوعاء من اقوى الاجهزة الاعلامية لانه ينتزع الصورة والصوت ويوزعهما على الناس فى بيئة متسعة ولا تزال هناك خطوات فسيحة يخطوها التلفاز حتىويقترب من طاقة الاذاعة المسموعة على طى المكان (١٠) ٠

- فالتليفزيون يعرض على شاشته العالم والاحداث وشتى مظاهر المخاطبة لشتى فئات الناس على اختلاف طبائعهم واتجاهاتهم وذلك عن طريق لغة مشتركة تستفيد من الصورة والحركة فى الاتصال اللغوى

---

٩) نفس المرجع ٠

١٠) عبد الحميد يونس (المرجع السابق) ٠

والاعلامى ذلك ان التليفزيون لم يعد يعتمد على الروايـــة فحســب ، كما تعتمد عليه الاذاعة المسموعة والافلام الناطقة (الجرائد السينمائية وافلام الاعلام) ٠

وانما أصــبح يعتمد كذلك على انــاس يخاطبون الجمهور مباشــرة اشــخاص يقدمون تمثيليات واشــخاص يظهرون كرواة وممثلين فكاهيين يؤدون ادوار فردية وباعة يروجون سلعا ومرشحين للمناصب يدافعون عن ترشيحهم ومحاضرين يرشحون ويفسرون ٠ وكل هؤلاء يلجأون الى اللغة الاعلامية المشتركة التى تعتمد على السرد والرواية للسماح للغة « المرئية » ان جاز هذا التعبير بانشاء علاقة المواجهة الشخصية مع المشاهدين ٠

ولذلك فان هذه اللغة المرئية تتجه الى الهدوء والتبســيط والخلو من التكلف ٠ وتنطوى مثل هذه اللغــة الاعلامية على الفة تصــبغ على السرد أقوى تأثير يمكن ان يبلغه لدى جمهور المشاهدين ٠

وتشترك اللغة المرئية مع لغة الاذاعة المسموعة فى سمات الوضوح والايجاز والتبسيط ٠

ونخلص مما تقدم الى ان اجهزة الاعلام الجديدة قد بعثت مرة اخرى الفلســفة البلاغية القديمة وخاصــة فى ان الفن انما يســتهدف المخاطبين أو المســتقبلين بالدرجــة الاولى اى ان الاثر الفنى والاعلامى يقــوم على مقومات الصــناعة وهى تصميم العمل طبقا لمقال ســابق وثانيا تنفيذ هذا العمل على أساس من قواعد محكمة ، تعنى أولا واخيرا بعلاقة الجزء وعلاقة الجزء بالكل وثالثا افتقار هذا العمل الى آلات وأجهزة لا يمكن ان يتحقق بدونها والمقدم الوحيد الذى يخرج مــن مجــال الصــناعة هو ان البرامج الاعلامية ليست مجرد اعادة لصياغة مادة سابقة ٠

على الرغم من هذا كله يوجد جيل جديد يجمع تجارب الكتاب والسينما والاذاعة والتلفاز فى صعيد واحد هذا الجيل يدرك ان اللغة ليست الا وسيلة لتحويل المسموع الى مرئى وان القلم والقرطاس ليسا وسيلة ابداع ولكنهما آلتان لمجرد التدوين والابداع يتم بهما وبدونهمــا على الســواء كذلك بقية اجهزة التسجيل وأدواته ٠

وفطن هذا الجيل الطامع الى تحقيق لغــة مشــتركة بأســلوب مغاير لأساليب الذين سبقوهم وقد تم لهم ذلك من خلال اســتخدام فنون تحريرية

تستوعب خصائص الكلمة المسموعة والمرئية على نحو ما فعلت الصحافة لتحقيق لغتها المقروءة وجعلها لغة مشتركة ذات خصائص وسمات ·

ومن هذه الفنون التحريرية التى تستخدم فيها اللغة المذاعة (مرئية مسموعة) فى الخبر الذى يعتمد فى صياغته على البساطة فهى تمكن مذيع الانباء من التنقل بسهولة ويسر عبر نشرته ·

اما تنظيم كتابة الخبر فهو شبيه بتنظيم كتابة الاخبار كلها أى ابراز الحقائق الاكثر اهمية فى البداية بحيث يسهل حذف أى مادة فى الدقيقة الاخيرة ·

وتستغرق اذاعة نشرة الاخبار النموذجية عادة فترة خمس دقائق تخصص لأحداث الانباء البارزة وهى تتالف من سبعة الى عشرة أنباء ملخصة رشيقة الصياغة يجدر نشرها فى الصفحة الاولى من الجريدة ·

ويتضمن كل نبأ فيها من خمسين الى خمس وسبعين كلمة – الا المادة الخبرية المبرزةابرازا خاصا فيمكن ان تتالف من ١٥٠ الى ٢٠٠ كلمة · اما الحافز الكامن خلف انتقاء الانباء فهو عنصر التنوع فيتوخى كاتب الانباء أو مذيعها اذا كان هو الذى يعد نشرته بنفسه ان ينتقى لها تشكيلة متنوعة من الانباء المحلية والوطنية والدولية والاقتصادية والاجتماعية والدينية اذا كانت مؤنة ذلك اليوم توفر له ذلك كله ·

· فيكون بذلك قد حاول ان يلبى سلسلة واسعة النطاق من الاذواق ثم يحاول ان يختتم ذلك كله بقصة ذات طابع انسانى يفضل ان تكون من النوع الذى يخلف وراءه اصداء ضحكة ما (١١) ·

وينبغى لكل نبأ ان يحمل تاريخه ومصدره وتقضى العادة المتبعة حاليا بذكر مصدر النبأ فى الجملة الاولى منه بدلا من الاكتفاء بمجرد اعلان اسم المدينة أو البلاد الوارد منها قبل بدايته كما هو الحال بالنسبة الى النبأ المكتوب ولما كان النبأ بحد ذاته يفرض الاهتمام به اهتماما فوريا فان عرضه فى النشرة لا يتطلب اسلوبا خاصا للفت الانتباه اليه والواقع ان ادخال التنميق والدراماتيكية فى صياغة برامج الانباء الطارئة لا يكون الا بمجرد اضفاء المزيد من الحيوية على الحقائق الا لان التنميق والدراماتيكية فى

---

(١١) بوند : نفس المرجع ·

الصياغة هما هدف فى حد ذاتهما وينطبق هذا على كل المواد لا على كتابة الانباء فحسب بل على اذاعتها الفعلية ايضا فالمستمع يشعر بأن الذى يبلغ سمعه هو بطريقة ما عناوين انباء الصحف تتلى عليه تلاوة ولذلك ليس هناك ما يدعو مذيع الانباء الى ان يلوم نفسه اذا هو انتهج اسلوب الكلام البسيط الذى تنطبع به اذاعة الموضوعات الاخرى (١٢) ٠

وينبغى ان يبدوا الخبر من مقدمته حتى خاتمته نغما حيا مؤتلفا متناسبا يتناسب مع النفس الطبيعى وبذلك يخيل الى المستمع ان المذيع يرتجل الاخبار ارتجالا ويتلوها تلاوة سليمة طبيعية قاطعة لا تردد فيها ، كما لو كان ممثلا يؤدى دوره على خشبة المسرح ويقوم الاسلوب الاذاعى على نفس القواعد التى يقوم عليها اسلوب اللغة الاعلامية للحصول على اكبر النتائج باقل الوسائل أى استخدام اقل عدد ممكن من مفردات اللغة للتعبير عن أكبر عدد ممكن من الاشياء مع مراعاة الوضوح والبساطة والاقتصاد والتاثير ٠

وهنا نصدق قول الفيلسوف برجسون : ان فن الكتابة هو ان ينسى الكاتب ان الكلمات عدته ومعنى ذلك ان كل كلمة يجب ان تعبر عن شىء ما، ومعنى ذلك ايضا ان تستبعد الكلمات الغامضة والعبارات العامة التى لا تؤدى الى معنى ٠

ومن الفنون الاذاعية كذلك فن التعليق الذى يقابل فن المقال الافتتاحى فى تحرير الصحف وتدخل فى مادة التعليق الاذاعى كل عناصر المقال الافتتاحى الجيد من انتقاء خبر يشغل بال الرأى العام الى تحليل للنبأ وتفسير معلل للاراء الواردة ٠

وتتوقف قيمة المعلق الاذاعى على معرفته واتساع افاقها وقدر كاف من الاطلاع مع توسع فى الادلة والبراهين لوضع الحدث فى مكانه التسلسلى ويشير الى ما ينطوى عليه من اهمية نسبية تساعد المستمع العادى على تكوين ارائه الخاصة حول موضوع التعليق ٠

وتتضمن تعليقات المعلقين الاذاعيين وبرامج الاخبار الصحفية المتعمقة منذ زمن طويل افتتاحيات كبيرة كما ان التلفاز ما فتىء منذ مدة يتجه نحو المزيد من التعبير عن الرأى ٠

---

١٢) المرجع السابق ٠

ولما كان الدور الذى يلعبه المقال الافتتاحى يزداد اتساعا فى نطاقه فان الدور الذى سيلعبه التلفاز فى المستقبل القريب قد يكون هو المهم فى تعبئة الراى العام ٠

وتشترك الاذاعة المرئية والمسموعة مع الصحافة كذلك فى فن تحريرى آخر هو فن الحديث الذى يقابل فنون « المقال » المختلفة والتى تعتمد على الكلمة المقروءة فى الصحافة ويتميز الحديث الاذاعى بلغة مشتركة أساسها الألفة واليسر والبساطة ينتظمها اسلوب ليس فيه استعلاء ولا هبوط عن مستوى المستمع ولكن لمخاطبة الصديق للصديق لجذب جمهور المستمعين واشعارهم بأنهم شركاء فى حل المشكلات العامة وتوجيه السياسة التى تتبعها الدولة أو يتبعها المجتمع وتتحقق هذه الالفة عن طريق تحقيق اجابات لما يحتمل ان يتجه اليه ذهن المستمع أو المشاهد من تساؤلات ٠

أما اللغة التى تستخدم فى الحديث الاذاعى المسموع والمرئى فهى تلك اللغة المشتركة الاعلامية المفهومة المبسطة ٠

وتعتمد هذه اللغة على الفاظ تتمتع بمزايا « صوتية » تجعلها قريبة من افهام المتعلمين والاميين على حد سواء ٠

كما تتسم هذه اللغة بالموضوعية « التى تنأى بها بعيدا عن الذاتية أو الشخصية من جانب التحدث ٠ وتأسيسا على ذلك فان هذه الفنون التحريرية المذاعة والرئيسية تقوم جميعا على الرمز المشترك سواء كان صورة أو كلمة أو اشارة أو نغمة أو حركة أو غير ذلك فالرموز فى الاذاعة المرئية والمسموعة شأنها فى ذلك شأن وسائل الاعلام الاخرى ــ هى عمودها الفقرى وبدونها لا يمكن ان تعمل ٠

والسؤال الذى تواجهه وسائل الاعلام المختلفة ومن بينها الاذاعة والتلفاز هو : كيف ترسل الرسائل الى الناس بحيث تنتقل المعانى كاملة دقيقة ؟ أو بمعنى أخر كيف تؤدى الرموز اللغوية وغيرها معانيها المختلفة بحيث ينتج عنها الاستجابات المطلوبة ؟

اذا كنا فى دراستنا للغة الصحفية نذهب الى الاستعانة بعلم الدلالة (السيمياء) Sémantique لفهم العلاقة بين الرموز والمعانى والقيم الدلالية للرموز وقدرتها على الابانة أو التمويه والغموض : فان هذا العلم نفسه من أهم العلوم التى تساعد اللغة المذاعة على تحديد خصائص تيسر

لها استجابة لدى جمهور المستقبلين على ان اللغة المذاعة تقتضى أن تدرس كذلك فى ضــوء علم الصوتيــات Phonétique أو النطقيات للبحث فى الاصوات ذات الوظيفة الدلالية كالسين والصاد فى مثل : سبر وصبر ·

وقد اثبت علماء الصوتيات او النطقيات أن الاصوات اللغوية تنقسم قسمين رئيسيين :

الأول ما يمكن ان يسمى بالاصوات الساكنه والثانى باصوات اللين ·

فالاصوات الساكنة اقل وضوحا فى السمع من اصوات اللين ذلك ان اصوات اللين تسمع من مسافة قد تخفى عندها الاصوات الساكنه أو يخطأ فى تمييزها فالفتحة ومثلا وهى صوت لين قصير ، تسمع بوضوح من مسافة ابعد كثيرا مما تسمع عندها الفاء · ولهذا نتخذ الاساس الذى بنيت عليه التفرقة بين الاصوات الساكنة واصوات اللين أساسا صوتيا وهو نسبة وضوح الصــوت فى الســمع · ففى الحديث بين شخصين بعــدت بينهما المسافة قد يخطىء احدهما سماع صوت ساكن ولكن يندرأن يخطىء سماع صوت لين وكذلك الحال فى الحديث بالهاتف ·

وليست كل اصوات اللين ذات نسبة واحدة فى الوضوح السمعى بل منها الاوضحفاصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة اى أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة كما ان الاصوات الساكنة ليست جميعها ذات نســبة واحــدة بل منها الاوضح ايضا فالاصوات المجهورة أوضح من الاصوات المهموسة ·

والوضوح السمعى الذى بنيت عليه التفرقة بين الاصوات الســاكنة واصوات اللين هو تلك الصفة الطبيعية فى الصوت لا المكتسبة من طول او نبرة (١٣) فصوت اللين أوضح بطبعة من الساكن ·

ومن النتــائج التى حققها المحدثون أن الاعــلام الميم والنون اكثر الاصوات الساكنة وضوحا وأقربهما الى طبيعة اصوات اللين · ولذا يميل بعضهم الى تسميتها « اشباه اصوات اللين » ·

---

١٣) ابراهيم انيس الاصوات اللغوية ، الفصل الخاص بمعنى طول الصوت ومعنى النبر ·

ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الاصوات الساكنة واصوات اللين ففيها من صفات الأولى ان مجرى النفس معها تعترض حوائل وفيها أيضا من صفات اصوات اللين انها لا يكاد يسمع لها اى نوع من الحفيف ٠

وأصوات اللين فى اللغة العربية هى ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة وكذلك ما سموه بالالف اللينه والياء اللينه ، وما عدا هذا فاصوات ساكنة (١٤) ٠

واما الاصوات المتقاربة المخارج فهى : (الذال الثاء الضاء ٠ الدال الضاد التاء الطاء اللام النون الراء السين الصاد) ووجه الشبه بين كل هذه الاصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا على انه رغم تقارب مخارجها تفرق بينها صفات صوتية متباينه وقد خصت كتب القراءات النون (بالبحث الخاص وافردت لها فصولا درست فيها احكام النون من اظهار واخفاء وادغام وقلب (١٥)٠

ويعرض للنون من الظواهر اللغوية مالا يشركها فيه غيرها لسرعة تأثرها بما يجاورها من اصوات ولانها بعد اللام اكثر الاصوات الساكنة شيوعا فى اللغة العربية والنون أشد ما تكون تأثرا بما يجاورها من اصوات حين تكون مشكلة بالسكون ٠

اما الجيم العربية الفصيحة ، فليس لدينا من دليل يوضح لنا كيف ينطق بها فصحاء العرب ، لانها تطورت تطورا كبيرا فى اللهجات العربية الحديثة فطورا نسمعها فى السنة القاهريين خالية من التعطيش وهى جيم أقصى الحنك ونجدها وقد بولغ فى تعطيشها كما هو الحال فى سوريا واخرى نجدها صوتا آخر يبعد الى حد كبير عن الصوت الاصلى مثل نطق بعض اهالى الصعيد حين ينطقون بها « ولا » ٠

ويظهر ان الجيم التى نسمعها الان من مجيدى القراءات القرآنية هى أقرب الجميع الى الجيم الاصلية ان لم تكن هى نفسها ومما تفيد فيه اللغة المذاعة فى علم الصوتيات معرفة طول الصوت اللغوى سواء كان صوت لين أو صوتا ساكنا ٠

---

١٤) المرجع السابق ص٣٨ وما بعدها ٠
١٥) المرجع السابق ص٥٩ وما بعدها ٠

ونعنى بطول الصوت الزمن الذى يستغرقة النطق بهذا الصوت مقدرا عادة بجزء من الثانية · ذلك ان لطول الصـوت أهمية خاصة فى النطق باللغة المذاعة نطقا صحيحا فالاسراع بنطق الصوت أو الابطاء به يترك فى لهجة المتكلم من الاثر أجنبيا عن اللغة ينفر منه ابناؤها ·

وليس من الضرورى ان يعرف المذيع مقدار الزمن الذى يستغرقة نطق كل صوت ليصح نطقة بل ان المران السمعى يكفى عادة فى ضبط هذا الطول دون حاجة الى المقاييس الآلية والصوت اللغوى قد يتأثر من حيث طوله بما يجلوه من الاصوات ومما لاحظة العلماء ان صوت اللين يزداد طولا اذا تلاه صوت مجهور ·

وتتطلب اللغة المذاعة تقسيم الكلام المتصل الى مقاطع صوتية عليها تبنى فى بعض الاحيان الاوزان الشعرية ذلك ان الكلام المتصـل يتكون من اصوات لغوية تختلف فى نسبة وضوحها السمعى ·

واللغة العربية حين النطق بها تتميز فيها مجاميع من المقاطع تتكون كل مجموعة من عدة مقاطع ينضم بعضها الى بعض فهى وثيقة الاتصال · وبذلك ينقسم الكلام العربى الى تلك المجاميع من المقاطع ·

وكل مجموعة اصطلح عامة على تسميتها بالكلمة · فالكلمة ليست فى الحقيقة الا جزءا من الكلام تتكون عادة من مقطع واحد أو عدة مقاطع وثيقة الاتصال بعضها ببعض ولا تكاد تنقسم فى اثناء النطق بل تظل مميزة واضحة فى السمع ·

ويساعد بلا شك على تمييز تلك المجاميع ومعانيها المستقلة فى كل لغة الاذن الموسيقية تستطيع ان تقسم الكلام العربى بمجرد سماعة الى المجاميع من المقاطع ولو لم يفهم المعنى وفى الغالب تنطبق تلك المجاميع كما تسمعها الاذن الموسيقية على الكلمات · فاذا سـمع امرؤ ذو اذن موسيقية جمـلة عربية لا يفهم معناها استطاع فى غالب الاحيان أن يقسمها الى مجاميع من المقاطع كل مجموعة هى فى الحقيقة احدى كلمات هذه الجملة ·

١ ـ صوت ساكن + صوت لين قصير ·

٢ ـ صوت ساكن + صوت لين طويل

٣ ـ صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن ·

٤ ـ صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن

٥ ـ صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ·

ساكنان والانواع الثلاثة الأولى هى الشائعة فى اللغة العربية وهى التى تكون الكثرة الغالبة من الكلام العربى ·

على أنه من الممكن الانتفاع بحقائق هذا العلم من الناحية العلمية أى الاهتداء على ضوئه الى ما ينبغى ان تتجه اليه اللغة المذاعة من ناحية النطق شانه فى ذلك شأن علم السيمياء (الدلالة) الذى رأينا آثارة فى تطوير ودراسة لغة الاعلام بوجه عام كذلك فمن الممكن ان يقام على القواعد التى يكشفها علم الصوتيات أو النطقيات بحوث فنيه ترشدنا الى تحقيق لغة مذاعة فعالة ومؤثرة والى وضع قواعد وطرق لكتابتها وفى النهوض باللغة ومحاربة ما يطرأ عليها من لحن أو تحريف وفى توسيع نطاقها وترقية لهجاتها العامية وما الى ذلك من الشئون اللغوية التى ينبغى أن تضمها دراسة الكلمة المذاعة ·

الامر الذى يساعد على علاج عيوب النطق نتيجة للعجز عن اخراجه الحروف من مخارجها الصحيحة كالفأفأة والتأتأة ، أو نتيجة للتعود على نطق كلمات معينة بلهجة المدن كما تساعد دراسات هذا العلم على دراسة التأثير الصوتى للالقاء والتعبير لدى جمهور المستمعين الامر الذى يسعى الى تحقيق خصائص مناسبة ومؤثرة فى الاتصال الاذاعى المسموع والمرئى·

وتحقق هذه البحوث كذلك نتائج لاباس بها فى تصحيح ارسالة اللغة عند قراءة الاخبار وغيرها من المواد الاجتماعية الاذاعية والتلفازية بحيث يراعى فى اللغة تحقيق القواعد الخاصة بمخارج الحروف ونطق الكلمات والوقف والاستطراد والاستفهام والتعجب وما الى ذلك من فنون الالقاء ·

فليس من شك فى ان نبرات صوت المذيع وطريقة الالقاء وحركات وسكنات المتكلم تعطى الالفاظ قوة فى تحقيق المعنى الدلالى دون أن يلقى عليها اظلالا من عنده بحيث يتلو المذيع نشرته تلاوة حية فى جلاء ودقة ووضوح وموضوعية تبرز من حياء صوت المذيع ·

وتأسيسا على ما تقدم نجد انه يجب على اللغة المذاعة (مسموعة ومرئية) ان تتميز بهذه السمات :

أولا : سمة القصر فى الجمل والعبارات فلا ينبغى للمذيع ان يعمد الى الجمل الطويلة أو المتشاركة ولا يصح له ان يعتمد كثيرا على الجمل الاعتراضية وبذلك يسهل على المستمع التقاط الكلمة المذاعة كما يتيسر له الحصول على معناها الاجمالي ومعنى ذلك باختصار ان بناء اللغة المسموعة أو المرئية ينبغى ان يختلف عن بناء اللغة المكتوبة وذلك ان المستمع او المشاهد لا يستطيع ان يقف من الكلام المذاع موقفه من الكلام المكتوب ٠

فهو فى حالة الكلام المكتوب يعدل من سير القراءات قصد التغلب على صعوباتها ٠

ان الايجاز من سمات اللغة الاعلامية لانه منبع الوضوح وقد تنبة لهذه الحقيقة الفليسـوف الفرنسى باسكال منذ ثلاثة قرون مضت حينما اعتـذر لصديق له بسبب خطاب طويل كان قد كتبه اليه فأوضح انه لم يكن لديه وقت كاف ليكتب خطابا قصيرا موجزا (١٦) ٠

ولكن يوجز المحرر فلا بد له من ان ينسق الخبر فى ذهنه قبـل ان يضعة علي الورق : وعادة ما يدور الخبر حول محور اساسى واحـد مهما تكن تفصيلاته معقدة ولا يمكن كتابة الخبر أو المادة المذاعة بايجاز الا اذا كان المحرر قادرا على ادراك هذا المحور الاساسى بشكل واضح ٠ وعندئذ يستطيع ان يصنف التفصيلات ذات الصلة الوثيقة بالموضوعات ويرتبها فى افضل نظام يصور هذه النقطة الاساسية يطرح جانبا التفصيلات التى ليست لها علاقة بالموضوع هذا ما يجب على محور الاخبار فى اية وسيلة اتصال ان يفعلة ٠ اما فيما يتعلق بالخبر التلفازى فهناك قيود الوقت التى تستلزم ان يكون الايجاز عنصرا اكثر اهمية مما هو عليـه فى وسـائل الاتصـال الأخرى ٠

وافضل كتابه غالبا ما تكون نتيجة لاعادة الكتابة حيث نكتشف امكان تحسين بنيان الخبر أو المادة المذاعة فالمراجعة تجعل الخبر اقصر وتكشفة بشكل يبرز معناه بوضوح وجلاء ٠

---

(١٦)
Maury Green : Television News, Anatomy and Process (1969)

ثانيا : تجنب الحشو اللفظى وهى سمة مرتبطة بما تقدم لان الحشو اللفظى من عناصر التشويش فى استقبال الرسالة الاذاعية او التلفازية فالمحرر الذى يعمل فى الصحف المدرك للقيود الدرامية لوسيلة الاتصال التى يعمل بها يلجأ الى نثر بعيد عن الزخرفة والمحسنات معنوية او لفظية فالصورة فى التلفاز مثلا تمثل شهادة صادقة للحقيقة من خلال تقرير مرئى ينأى عن الوصف العاطفى ٠

فالتحرير الجيد يجب ان يعتمد على البساطة ويعطى الاعتبار الملائم للصورة فى التلفاز خصوصا من خلال تحقيق الوضوح والايجاز والدقة ٠

ولذلك يجدر الابتعاد عن الجمل الاعتراضية وكذلك الاعراض فى استخدام اسماء الموصول التى قد تعود على الفاعل وقد تعود على المفعول لان سوء استخدامها يؤدى الى تعويق فى استقبال الرسالة المسموعة او المرئية ويحسن تكرار اسم الشخص المعنى كما يجب تجنب استخدام كلمتين متشابهتين فى النطق ومختلفتين فى المعنى فى جملة واحدة لئلا يساء سمعها بينما التبديل فيها يضمن الوضوح ٠

ثالثا : سمة الدلالة ذلك ان ادراك العلاقات الدلالية للالفاظ يساعد المحرر على جعل معنى خبره او مادته المذاعة واضحا وترتبط هذه السمة ارتباطا وثيقا بسمة الايجاز والتنظيم وبدون تفهم العلاقات الدلالية للالفاظ فان الاحداث تصبح غير ذات معنى فى حين ان المستمع او المشاهد يبحثان عن هذا المعنى ٠

ولما كان العالم يزداد مع الزمن تقيدا والمنازعات المتشابكة تزداد خطورة فان معنى الاحداث يصبح اكثر اهمية مما كان عليه فى اى وقت مضى والمستمع او المشاهد يدرك كلاهما ذلك بالغريزة ان لم يكن بالوعى ٠ ذلك ان العالم الذى يعيش فيه هو ذاته الذى تحدق به المخاطرة (١٧) ٠

وعلى ذلك فان المحرر الذى يعد المادة المذاعة او المشاهدة ينبغى ان يتمتع برؤيا خاصة فى الدلالات والمفاهيم المتعلقة بكافة الشئون الانسانية ٠

رابعا : سمة الايناس عن طريق استعمال العبارات الواضحة الالفاظ المالوفة للمستمعين او المشاهدين وتجنب الالفاظ المبهمة او الغامضة ذلك ان

---

١٧) I bid

لغة الاذاعة والتلفاز لغة منطوقة وليست لغة ادبية وافضل المحررين هم فقط اوليك الذين يستطيعون أن يكتبوا بنفس الاسلوب الذى يتحدثون به فاسلوب التحادث هو الذى يحقق الالفة والايناس فى اللغة المذاعة ·

خامسا : استخدام المجاز فى بعض الاحيان بحيث لا يكون مبهما أو غامضا وأن يكون الهدف منه مزيدا من الوضوح وتمام المعنى ·

واذا كانت لغة الصحافة لا تفضل بالمجاز على الاطلاق فان التلفاز يقتضى فى لغته جملة لامعة مضيئة تخفف من الملل المحتوم الذى تحتوى غالبية الاخبار الهامة (١٨) ·

سادسا : سمة التطابق بين الكلمات والصورة فى التلفاز لان المشاهد « يميل الى تصديق الصورة مما يثق فى الكلمة » (١٩) ·

ويلاحظ الصحفى البريطانى هنرى فيولى ذلك عندما يقول (٢٠) ان معظم التقادير التلفازية تكتفى فقط بوصف الصورة وبهذا فهى لا تقوم باكثر من المصادقة عليها · ولكن الهدف من وراء الكلمات فى اخبار التلفاز لابد وان يكون تحويل الانتباه عن الصورة والقول : ان القصة لم تكن كذلك فقط فهذا لم يكن مجملها كلها ·

ويؤكد فيرلى أن اخبار التلفاز تقفز من حادث الى حادث وبدلا من عالمنا الحقيقى المتميز بالرقابة المألوفة فهى تعطى البديل فى صورة عالم غير حقيقى يموج بالحركة ، ويتخيل فى هذه الأيـام تقريبا أن تعتبر أية مشكلة أو حدث الا بمثابة أزمة ونتيجة لرؤية الاشياء من خلال هذا المنظار فان المشكلات والاحداث تصبح أزمات فى الواقع (٢١) ·

ومن ذلك يبين أن تحرير المادة التلفازية ينبغى أن يضع معنى الحدث فى الاعتبار وان ينقل هذا المعنى باكبر قدر من الوضوح وعندما تشتد الصورة فلابد من استخدام التطابق بين الصورة والالفاظ ·

---

١٨) Ibid

١٩) I bid

٢٠) I kid

٢١) Failie, H : Can you Believe your Eyes (1967)

سابعا : ان التكرار سمات اللغة الاعلامية وهو مع الزم الخصائص فى لغة الاذاعة ذلك انه ليس فى وسع المستمع أن يعود الى مراجعة الكلام كما يستطيع ذلك فى الجريدة كما أن للتكرار فائدة لغوية فى تعميم المفردات وتثبيتها فى اذهان المستمعين ·

على انه فى لغة الاذاعة المرئية والمسموعة يجدر الابتعاد عن الصيغ المستهلكة للعناوين والتى تنجم عن قيود المساحة فى اعمدة الصحف وهى القيود التى تنتفى فى الاذاعة والتلفاز ·

ثامنا : ان التحرير للاذاعة والتلفاز يقتضى فهم الخصائص الصوتية للغة ولمفرداتها بحيث يعاون المقدم على الهواء ، على تحقيق الوضوح والايناس فى ارسالة وفى هذا الخصوص فان لغة المادة الاذاعية المرئية مستمدة الى حد كبير من المادة الاذاعية المسموعة وبالرغم من ان الأساليب تختلف فى الخدمات التحريرية المختلفة الا ان الخصائص الصوتية للغة أمر مشترك بالنسبة لها جميعا ·

فالمادة يجب أن تحرر بوضوح مشكولة الالفاظ الغريبة مصححة بعد الكتابة مع وضع علامات الترقيم بين اجزاء الكلام المكتوب لتمييز بعضه من بعض أو لتوزيع الصوت عند قراءته وكذلك تجنب كتابة الاسماء والالفاظ الاجنبية بالحروف اللاتنية حتى يسهل نطقها نطقا صحيحا ويفضل أن يوضع تحتها خط حتى تسترعى انتباه المذيع الى وجود هذه الكلمة الاجنبية فياخذ عدته للتغلب على ما سوف يوجهة من صعوبة ·

ويستحسن عدم الالتجاء الى اختصار الاسماء أو العبارات فى حروف للدلالة عليها فى النسخة المعدة من النشرة ليقراها المذيع ـ كان تكتب « ج·م·ع » للدلالة على جمهورية مصر العربية وبخاصة ان هذه الاختصارات مازالت غريبة على اللغة العربية وغير معروفة للكثرين ·

كما ينبغى فى التحرير الاذاعى أن يكتب الهجاء الصحيح والهجاء المنطوق ليستفيد بهما المذيع وسيما فى المصطلحات العلمية غير الشائعة ويكتب الهجاء المنطوق مع التاكد على المقاطع كذلك بين قوسين لتمييزها عن بقية النص ·

تاسعا : عند استعمال الارقام فى لغة الاذاعة يجدر ان تحول الى ارقام كاملة حيثما امكن كالاستعاضة عن رقم ١٨٣٥ بيضة مثلا برقم ١٠٠٠ الخ ··

توضح بالحروف وأن الأرقام الاصلية تستخدم للاعداد الاكبر ·

ومع ذلك فان الاعداد الكبيرة جدا تكتب بالكلمات والأرقام معا فعشر الاف تكتب (١٠ الاف) والـ ٥١٤٠٠٠٠٠٠ جنيها تصـبح « ٥١٤ مليون جنيه » ·

ويلجأ الى ذلك فى اللغة المذاعة لتجنب تشتت ذهن المستمع أو المشاهد خلال نطق الأرقام الكبيرة ·

عاشرا : يستحسن استخدام صيغة الفعل المضارع فى لغة الاذاعة المسموعة والمرئية · كما يفضل الفعل المبنى للمعلوم ، على استعمال الفعـل المبنى للمجهول الا عند الضرورة القصوى عنـدما يسـتخدم المذيع بعض الالفاظ التى اشتهرت بالبناء للمجهول كلفظ (عنى بأمره) ·

حادى عشر : اللغـة التقريرية هى اللغـة الاعلاميـة لتحقيق مطلب الوضوح الاعلامى ويعنى ذلك فى اللغة المذاعة أن الافكار تحظى بتأثير عند نقلها صوتيا باستخدام اللغة التقريرية الاكثر مباشرة وذلك ينبغى الابتعاد عن الشرط غير السليم والاطناب واستخدام صيغة المجهول والابتعاد كذلك عن صيغ الفعل المعقدة حيث يمكن استخدام صيغ الفعل البسيط والابتعاد عن الجمل المطولة الثقيلة والنثر المنمق الحافل بالمحسنات البيانية وافتقاد الدقة عند استعمال الكلمات والتاكيد الذى ليس فى محلة ·

وعلى ذلك فأن أسلوب التحرير الاذاعى (مسموعا) (ومرئيا) يعتمد على استخدام اللغة بطريقة فعالة عن طريق البناء الفنى للاشكال والفنون الاذاعية والتلفازية المختلفة ·

ثانى عشر : والى جانب ما تقدم فان لغة الاذاعة المرئية والمسموعة هى فرع من فروع اللغة الاعلامية وفيها ما فى اللغة الاعلامية من خصائص تقوم على التبسيط والنمذجة والتكرار وما يمكن ان نسمية باللغة المشتركة·

ولا شك أن هذه اللغة الاعلامية فى الصحافة والاذاعة والتلفاز التى تتوسل بجميع وسائل التعبير قادرة على الخروج من الحدود الادارية للاقاليم العربية والان تتقارب اللهجات التى يتوزعها لسان قومى وتتقارب فى الوقت

نفسه لهجات اللغة الاعلامية وليس من المستبعد ان تنجح لغة الاعلام فى العربية الفصحى المشتركة محل اللهجات السائده .

ان الصراع بين الفصحى والعامية قد تحسمة ـ على صعيد الاذاعة ـ لغة الاتصال بالجماهير التى تخاطب المتعلم والامى معا وتفى باحتياجات التطور والمعاصرة بحيث تصبح القضية هى نجاح الاتصال بالجماهير .

وفى الواقع ان قضية الفصحى والعامية تجسد اكثر من غيرها قومية الثقافة ومحليتها وان السير نحو الفصحى هو سير نحو قومية الثقافة ووحدتها على حين ان السير نحو العامية هو النقيض المعادى للوحدة القومية .

ونصدر فى ذلك حقيقة تاريخية هى ان وحدة اللغة بفضل القرآن الكريم كانت الحافظة للوجود العربى والشخصية القومية .

وقد جاء فى البرامج التى وافق عليها المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى دورته الاولى (١٩٧٠) ان تقوم المنظمة بعقد مؤتمر سنوى عن دور احدى الوسائل الاتصال الجماهيرى وأثرها فى الثقافة العربية . وقرر المؤتمر العام فى دورته الثانية (ديسمبر/كانون) الاول ١٩٧١ اختيار موضوع (التلفزيون وآثاره الاجتماعية والثقافية والاخلاقية فى الوطن العربى) ليكون موضوع أول حلقة فى هذه البرامج تعقد خلال عام ١٩٧٢ .

ولا شك أن الاذاعة المرئية (التلفزيون) المسموعة (الراديو) بما لهما من خصائص وامكانيات من اهم وسائل الاتصال الجماهيرى فى العصر الحاضر وأكثرها نفاذا الى البنيه . الاجتماعية والثقافية والاخلاقية للمجتمع وأن انتشار الاذاعة فى الوطن العربى يجعل من الضرورى دراسة آثارها فى الجوانب المختلفة للحياة العربية .

والاذاعة بهذه الصفات ـ تقوم بتزويد الجماهير وبزاد ثقافى وفنى واجتماعى وتشترك بصورة واضحة فى تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها ، وفى تغيير العادات السلوكية وتعديل القيم الاخلاقية من خلال تقديم القدرة والانماط الانسانية وفى تكوين الذوق الفنى والحضارى من خلال الاختيار والمفاضلة .

وهكذا تصبح الاذاعة ـ فى البلاد التى تستخدمها ـ من اكثر ادوات التثقيف الاجتماعى فعالية وابعدها اثرا وان البلاد العربية ـ وهى تمر الآن

بمرحلة تتزايد فيها سرعة التغيير الاجتماعى المصاحب للتطور الاقتصادى والسياسى والحضارى ـ تحتاج الى دراسات متعددة حول هذه الاداة التثقيفية المهمة فى المجال الاجتماعى حتى يمكن لها الاستفادة بطاقتها التاثيرية المتزايدة مع انتشارها السريع فى عمليات التنمية الشاملة للمجتمعات العربية هذه التنمية التى تشمل جوانب الحياة الاقتصادية والتربوية والروحية للافراد والأسرة والمجتمع خاصة وان غالبية الاذاعات المرئية فى الوطن العربى تشرف عليها الدولة مما يتيح فرصة التخطيط المتكامل ٠

وخلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة تمت على المستويين الدولى والعربى مجموعة من الاجتماعات للبحث فى طبيعة وسائل الاتصال الجماهيرى وآثارها ومن بينها الاذاعة المرئية (التلفزيون) ولكن هذه الاجتماعات اما انها كانت شاملة تبحث الاطار العام للاذاعة المرئية واما انها تناولت تاثيرها ودورها فى التعليم والتنمية الريفية والتثقيف العمالى ومحو الامية وغير ذلك ٠ ولكن هذه الدراسات والاجتماعات لم تسلط الضوء بالقدر الكافى على آثار الاذاعة المرئية فى المجال الثقافى والاخلاقى الذى يعتبر من اخطر مجالات التاثير فى الحياة الانسانية ٠

كما ان الاذاعة المسموعة المرئية قد ادخلت تعديلات جوهرية على طريقة تلقى الاعمال الفنية الثقافية الأخرى من خلالها مثل : المسرح والموسيقى والسينما والغناء والفنون التشكيلية وهكذا ادخلت تعديلا اساسيا على التذوق الجمالى والفنى فى حياة الانسان المعاصر ٠

بل تعدت ذلك الى استحداث انواع وأشكال فنية لها صفات خاصة من حيث استخدام اللغة والبناء التشكيلى الدرامى ٠٠٠ الى آخر ذلك من العناصر الفنية ٠

الخاتمة

الاعــلام ومستقبل الفصحى

الآن وقد بلغنا نهاية الطريق الطويل الذى سرنا فيه فى هذا البحث من محاولة ايجاد منهج للبحث الاعلامى فى اللغة ، الى دور الوسائل الاعلامية فى تنمية اللغة العربية وتعميمها ، نضع توصيات عما يمكن أن تفعله البلدان العربية بشأن أجهزة الاعلام :

١ – من واجب الدول العربية أن تفحص القيود المادية والقيود الادارية الموضوعة على تداول الاعلام العربى ، بغية التعاون على حلها ومنع استغلالها ، ذلك أن تعميم اللغة المشتركة والتقريب بين اللهجات لن يتم ما لم يتدفق الاعلام من أسفل الى أعلى ومن أعلى الى أسفل فى القناة بين القادة الوطنيين والشعوب العربية

ولذلك فان اتاحة أفضل الفرص وأوسعها أمام تداول الاعلام • والصحف بوجه أخص – فى جميع أقطار الوطن العربى مشرقه ومغربه أمر أساسى فى عمليات التنمية اللغوية •

٢ – تقديرا لدور الاذاعة والتلفزيون فى التأثير اللغوى وتكوين الرأى العام العربى عن طريق ما يقدم من خلالهما من مواد سواء كانت اعلامية أو ثقافية أو فنية ، نظرا لضيق مجال انتشار الكتاب والصحيفة وتفشى الأمية وقلة الفرص المتاحة للتأثر بوسائل التثقيف الأخرى كالمسرح والسينما ينبغى أن تعنى الدول العربية بالاذاعة والتلفاز باعتبارهما جزءا لا ينفصل عن السياسة الاعلامية فى كل قطر عربى بتدعيم القيم العربية القومية وتعميم العربية الفصحى لغة للتعبير من خلال الوسائل الفنية التى تجعل من اللغة اداة ملائمة للعرض الاذاعى •

٣ – من واجب الدول العربية أن تحاول اقامة علاقة تعاون بين ادارات الحكومة المسئولة عن تنمية أجهزتها الاعلامية وتلك المسئولة عن التعليم وغيره من التنميات المتصلة ، ولسنا فى حاجة الى القول بأن تنمية التعليم والقدرة على القراءة والكتابة فى بلد من البلدان مرتبطة ارتباطا وثيقا بتنمية

وسائل الاتصال بحيث يكاد يكون من المستحيل الفصل بين الاثنين . والسبب فى ذلك ليس راجعا الى أن احدهما يساعد الآخر فحسب ، بل ايضا لتاثير التعليم على انماط النـاس من حيث ملمسـهم الاعلامى أو اذاعتهم له » . الاستثمار فى التعليم يساهم أكثر من تلمس الاعلام والبحث عنه ، فى الكتب والمجلات والصحف .

وهكذا يكون التعليم منشطا هائلا لتدفق الاعلام المفيد من والى الفرد.

ولذلك فان الخـدمات الاعلامية العربية مطالبة بتجنيد الكفاءات فى وسائلها المختلفة لخدمة مناهج التعليم المدرسى وتعليم الكبار فى الاقطار العربية المختلفة وبخاصة فيما يتعلق بمحو الأمية .

فالتعليم من أنجح الطرق لتجاوز العامية ، ولذلك يجب أن يلتزم التعليم بالفصحى فى كل مراحل التعليم العام ، والى اتخاذ الوسائل كافة لتعميم التعليم بالعربية فىالجامعات والمعاهد العليا .

٤ ـ ان اللهجات العامية تعرقل شيوع الارسال الاعلامى فى اقطار الوطن العربى وتحد من تاثيره المرجو ، وتبدد الجهد المبذول فيه فلا ينتفع به فى نطاق واسع ، ولذلك فان مجابهة هذه اللهجات فى وسـائل الاعلام بعامة كسب كبير للاعلام العربى بقدر ما هو كسب للغة القومية ووحدة الفكر العربى .

وان صراع الفصحى والعامية قد تحسمه ـ على صعيد الاذاعة ـ لغة الاتصال بالجماهير التى تخاطب المتعلم والأمرها ، وتفى باحتياجات التطور والمعاصرة ، بحيث تصبح القضية هى نجاح الاتصال بالجماهير .

٥ ـ ان أقسام الصحافة ومعاهد الاعلام بالجامعات العربية ، مطالبة بتحقيق هذا المنهج فى اللغة الاعلامية لتعميم الفصحى ودراسة العربية فى ضوء المنهج الاعلامى دراسة تنطلق من محاولة التصور التى اثبتناها فيما سبق ، نحو منهج عام لدراسة اللغة الاعلامية العربية ، وقيامها بوظيفتها ، يرتكز على ثمار علوم اللغة وما توصلت اليـه من نتائج تفيد فى دراسـة تاثير اللغة على الجماهير .

كتب اخرى للمؤلف

---

١ ـ المقاومة فى الادب الجزائرى المعاصر ١٩٧١

٢ ـ طه حسين وزوال المجتمع التقليدى ١٩٧٧

٣ ـ الرؤية الابداعية فى ادب يوسف السباعى ١٩٧٧

٤ ـ محمد حسين هيكل فى ذكراه ١٩٧٨

٥ ـ الاعلام ولغة الحضارة ١٩٧٨

٦ ـ المدخل الى وسائل الاعلام ١٩٨٠

٧ ـ فن التحرير الاعلامى ١٩٨٠

٨ ـ نحو بلاغة جديدة بالاشتراك مع ١٩٨٠
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى)

٩ ـ كيف تكتب بحثا جامعيا (بالاشتراك مع ١٩٨٠
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى)

تحت الطبع :

١ ـ الرؤية الابداعية فى شعر الهمشرى ٠

٢ ـ فن المقال الصحفى ٠

٣ ـ التفسير الاعلامى للادب ٠

٤ ـ نظرية الاعلام فى النقد الادبى ٠

الفهـــرس

	صفحة

surpasses the difficult equation between tradition and modernism, and tries to make the levels of the linguistic expression approximate so that it may not be separated from the traditional language and the language of civilization.

of religion, language, culture and civilization we are of the opinion that the characteristics of the Arabic language made it the most circulated language in the world. Modern linguistics consider it to be the third langaage in modern world, with regards to its circulation and extension.

Therefore the Arabic language of mass communication is the lingua franca. Our language is one of the richest languages in tradition. It is also one of the oldest languages which survived till the presnet time. It included the knowledge of the ancient peoples. Now it has been proved that it can include the fruits of the modern human thinking. It takes even part in the development of the literary and intellectual riches of the modern world.

In the language of mass communication the classical language realizes this approximation between the three levels of the language, i.e. the scientific, literary and practical levels. The classical Arabic language, beyond any doubt, made use of the Arabic development as well as that of mass communication, and gained more influence in mass communication on the local and universal grounds. It is used in international organizations as an official language. This necessitates that the lingua franca in mass communication

In describing the lingua franca we say : First it is subdued to certain rules, which very slowly make it far from development in a long time. For this reason it is superior to the dialects used in daily talks, circulated in homes, streets and markets.

Therefore it is used by those who like to improve their speech and expression, as well as the men engaged in mass communication on a large scale.

Second, it is, as says Henry Sweet, the language which the listener cannot discern to which locality belongs the speaker.

The Arabic lingua franca is renowned first many communative characteristics, among which is the fact that is a language comprehended by the common people. The people's dialects did not prevent them from understanding the simplified texts of the classical language. It is also a democratic language which addresses the old and the young in the same tone and does not confuse the signular pronoun with the plural one. It is a universal language, used by numerous people, since establishment of the Arab State in the later years of the second Hegira Century and the first years of the third Hegira Century, which had the Arabic Character in the fields

difficult language which can only be spoken by few people. Every classical language is not always difficult and every colloquial language is not easy to be understood by the histeners, as says Al Akkad.

Mass communication and the Arabic lingua franca :

Using the classical Arabic language in mass communication is not very difficult. The language of mass communication is that easy simplified language. The mass media are characterized by showing the essentiais of the Arabic language, like elasticity and depths, which made it pulsating with life and the true translation of meanings and thoughts as well as the wide scope of the words and expressions, which the practice, taste and circulation judge whether they are good or not.

Generalizing the classical Arabic language necessitates, in the contemporary stage of mass communication, a constant effort to generalize this classical language and make use of its genuine characteristics. The mass media form the standard of people's activities and their relations. If their content conceals their nature, the "mass medium" itself reacts with the cultural model, within the frame of which it works.

The stage of broadcasting - particularly on the Arabic ground - is connected with the Arabic lingua franca. The nature of modern mass communication supports, to a great extent, this assumption of the proceeding of the Arabic language. People, in the age of radio and television are content only with positively taking part in mass communication. This social requirement imposes upon the mass media, which is a characteristic of our contemporary civilization to have the Arabic classical language as a lingua franca, which expresses this effective role, particularly after using the Arabic artificial satellite.

Mass media address the masses since the beginning. The best linguistic levels for them are those which belong to the comprehensive perceptions and artistic impressions. The classical Arabic language is the means to achieve this, because it is the language of civilization. It is also in our countries because it is based on the restitution of the general Arabic and Islamic characteristics. The lingua franca is the language which goes beyond the borders of the Arab country to all those who speak Arabic.

In the language of mass communication it is necessary to differentiate between the classical language and the

If the printing led to explosions in the society and became individual and divided, and if these explosions were connected with the flourishing of the colloquial languages and the calls for using them, the period of electricity was not a factor of exploding and parting. Therefore we find that radio and television led to reunion. We live in a world which is more approximate to agglomeration and integration, like the electric circuit. The community feeling and the universal feeling flourished in this stage of broadcasting.

For this reason, we see that the calls for using the colloquial language in Egypt and the other Arab countries, when they reached the apex in the later stages of printing- if this arbitary decisive differentiation between the stages can be done - the stage of broadcasting was striking the doors of the world. This meant on the Arabic ground announcing the birth of an "Arabic Village" from the Atlantic Ocean to the Arabian Gulf, if this expression is right. Using the artificial satellites in mass communication, will lead to the revival of the Arabic community feeling , and resistance of the regionalism and the calls for using colloquial language closely connected with it.

as it was the case of the Latin language in Europe. The printing prepared a suitable climate for this call. Therefore we cannot differentiate between the call for using colloquial language and the call for writing the Arabic language with Latin letters when we assume the effect of printing on the general social entity.

The later years of the last century and the first years of the present century witnessed a rise in printing and press in the Arab Countries. This is the stage which witnessed the call of "Spetia" (1980) and Wilcox (1893) in the Review of "Al Azhar" and the Egyptian writers who followed them like Salama Mouss. They predicted that the Arabic language would come to an end as did the Latin language.

Those orientalists, and those who followed them among the Arabs, did not realize that the linguistic development in the Arab Homeland differs from the Latin language in the days of the nationalities in Europe. But those who call for this were confused because the Arabs have to pass by a new stage of the human communicative development, i.e. the stage of "broadcasting" which enabled the man to make the limited moment a universal instant.

We find first that the printing stage culminated in the decomposition of the Islamic World and dividing it into parts. When the Islamic and Arabic Orient knew the printing, press flourished. Nevertheless the regional calls appeared in the later years of the last century and the first years of this contury. We are of the opinion that the callings for using the colloquial language are not only connected with regionalism, but also with this printing stage.

Printing, as says Marshal McLohan created the individualism and nationalism in the 16th Century in Europe. The Gutenberg's invention of the movable type had great effect. Civilization derives its character from the mass medium. The European nationalities, in the stage of printing, were connected with putting an end to the latin language. The colloquial language flourished and turned into independent languages in Europe.

Those who were affected with this vision call for regionalism as those who call for regionalism for political purposes. Those who call for colloquial languages were naturally affected with printing too. They called for using numerous dialects and employing them as official languages in the Arab Countries to put an end to the Arabic language as

<u>Mass Communication and Lingua Franca</u>

The Arabic language like any human language passed by the stages of the human development as H.G. Wells says that language is the main pivot of the whole human history movement. He divided this history into : first the period of speech, second the period of writing, third the period of printing and fourth the period of broadcasting. He took into consideration the assisting factors of this main Pivot, like the invention of steam and electricity, as well as the close relation between printing and mass production. Wells beyond any doubt, was one of the precursors of a new eloquence and art. He realized that human progress goes on with astonshing paces, especially in the field of controlling the immense energy. He expressed the need of the people to a new language for mass communication, which does not represent resurrection of old theories, or display the consequences of natural sciences in the human field, but they are a conditional response of what the language has gained of new energies.

On the basis of this conception we try to know the effect of mass communication on the Arab Homeland, on the one hand, and on the Arabic classical language , on the other.

We are of opinion that this is right when we say that our Arabic language is in need of intellectual and cultural affluence and approximation of intellectual levels. This necessitates employing the Arabic language in the fields of modern civilizations, including different sciences. The mass media are, in the first place, responsible for this because the language which they use with its social practical level is the language of civilization.

ication we will find that it goes deeply into body of civilization. The process of communication is achieved on different levels of language and symbols. Communication is achieved on three levels of linguistic expression :

First : The aesthetic level used in literature.
Second: The theoretic scientific level used in science.
Third : The social functional objective level used by different kinds of mass communication.

These three level exist in every human society. The difference between the sound integrated society and that decomposed ill community is that the linguistic levels are approximately equal in the first while they are remote from each other in the second. The approximation of the linguiste expressions proves the homogeneity of the community, the equilibrium of its various classes, and the vitality of its cutlure, and consequently leads to its integration and soundness of mind. It is an established fact that the periods during which prevails a kind of harmony among the three levels are mainly the most flourished periods. If the linguistic level differs greatly from the other linguistic level there is mental severance in the community, which leads to disorder, weakness, senelity and decomposition.

centuries, between the primitive culture and the contemparery civilization. But new forms and Skeletons, emerged to enlarge these functions and extended them. The "writing" developped to let the community keep its stock of knowledge so that it may not be lost by depending on personal communications or the memories of old folk. The "printing" developped to so that the machine may multiply what is written to man, more cheaply and rapidly than man himself can do.

It is impossible, to imagine a civilized community. It is impossible too to imagine a primitive tribe employing what a modern community employs. Every social stage mass a suitable mass medium. Here we perceive the close relationship between mass communication and the language of civilization through investigating the human history. Mass communication is necessarily an art of civilization. It solves the problem of formulating knowledge in an actual practical way. "Walter Lippmann" the American political commentator says that "The modern community does not lie in the scope of direct vision of any one . It is not always comprehended and if a group of people comprehended it another group will not comprehend it". Thus the language of mass communication becomes a language of civilization, endeavouring to explain and intergrate. If we throw a comprehensive look at mass commun-

of Information , and says : "; Information is the objective change of the thinking of masses, their behaviour, their trends and their inclinations at the same time". Mass communication is an objective expression of the contributor, whether he is a journalist, announcer, or engaged in cinema and television.

Mass communication and the language of civilization :

Mass communication does mean communicating with all the people but according to Reevers and his two colleagues, it includes selection of categories - groups or special masses who can be of great numbers - within the masses. The mass media meet with masses through a process of mutual selection. The mass media tend to select their masses basically through the content. The masses also tend to select the mass media through the content. The masses attracted by a certain mass medium may differ throughly from those attracted by another kind of mass media. Neverthelee it is obvious that they are interlaced, to a great extent.

If the function creates the organ, the functions of mass communication created what we call "genrs of the mass Media ". These functions have not changed, since

to it. Thus the communication circulates and forms the most important characteristics of the reactive society.

Thus the role of the language in the process of mass communication and in editing the message, in particular is clearly shown. This linguistic message is transmitted through mass media to propagate rapidly. This depends naturally on the harmony between the sender and the receiver. If we realize the close relation of mass communication with life we find that the emphasis of mass communication is parallel to the relationship of communications dexterities with life. The recent studies proved that it is possible to help the writer of any mass media to emphasize the most necessary aspects of communication. The efficient writer does not disregard the role played by the language in the process of mass communication and does not neglect exciting the interest of others. Mass communication idiomatically - means providing people with the right news, sound data and established facts, which help them to form a pertinent opinion about a certain fact or a certain problem, in such a way that this opinion expresses what the masses think as well as their trends and inclinations. This means that the only end of mass communication is convincing the others through information, facts, figures, statistics and so on Ottogroth gives a definition

theory to great fields of science.

Words in mass media have two forms of existence :

Compulsory existence and actual existence. Every word, heard or uttered leaves a group of impressions in the mind of both the speaker and listener. The first plays a positive part, particularly in mass media as he begins communication and the second plays a negative part as he receives the message. Schramm says that when we communicate with others we try to have smoothing in common with whom we communicate. In other words we have both a sender and a receiver of a certain message. The sender tries to communicate his information or endeavours to express his feelings, which he transforms into words, heard or written. After sending the message, the sender expects that the receiver has in his mind, the similar image which he -the sender- has in his own mind.

If we analyze the process of mass communication we find that it includes five main elements : The sender who formulates his idea in certain symbols, and sends them to the receiver who deciphers these symbols and explains their meanings. He then responds to them, expressing his impression by sending a new message formulated in symbols, to the first sender, who in turn receives, deciphers and responds

Language in the Process of mass Communication :

If the special meaning prevails over the general meaning of the language, the "informative" expression which is more restricted than the language, requires comprehending the relationship between the language and the mass media. Language is a series of gestures which exist in every community for the sake of this community and thus it is the most important means of mass communication. Therefore we have to know how to deal with an employ it in mass communication, through our understanding of its complex construction. Words, which are the smallest units of language are not mysterious things or riddles but they are incidents in time and space. They have material dimension and symbolizes meanings.

If the conception of mass communication remained unlimited for a long time, a new theory came into being in the last few years. This theory helps us to evaluate objectively the data, included in any message, whether it is a report about a matter, a poem by Al Akkad, a telephone call, a piece of music, weather forecast or a scientific discovery. This theory is called the information theory, which emanated from mere practical problems. Claude shanon, the American Scientist laid the foundation of the theory of probabilities in information. Many Scholars began later to apply this

the spoken word and then the written word, and later on the stage of printing until it witnesses now the stage of broadcasting and the rise of mass media.

On the basis of this conception we put on these pages a questions about the effect of this communicative stage on the Arab Home and on the one hand, and on the classical Arabic language as the channel of the creative writings, on the other.

First, the subject of the relationship between the language and the communicative expression requires a kind of agreement of the basic idioms, among which we first cite the "language", which is considered the most important means of the mass media. It is the "tongue" nevertheless it was considered by ancient peoples as identical to"dialect". The Arab tongue, is the Arabic language in a wider sense. This language was confounded and included different dialects, each of which was known as a certain language, such as the "Modar language" and the "Tameem language. Now we say the English language or the Arabic language. This means the linguistic entity of a certain nation, although the dialects differ in pronunciation and meaning of words.

Mass Communication and the Mother Tongue

The world witnesses today an increasing interest in mass communication and mass media, and a true belief in its mission and objectives. Mass communication in modern world develops in an astonishing manner, as result of the technological progress in the mass media, electronics and printing. The Arab States, at present times, adapt themselves to keep pace with this progress in mass communication by sending forth an Arabic space-communication satellite for broadcasting radio and television programs dealing with cultural and informative subjects.

This astonishing development in mass communication is only an extension to the triumphs achieved by the language to realize mass communication on a large scale. The language became predominant due to its great influence on the thinking of individuals and communities. Therefore we consider that the victory of mass communication over the limitations on broadcasting, imposes upon the mass media in the first place a promotion of the standard of Arabic language, which witnessed as any other language the different stages of the human evolution since the dawn of the human life, as it employed




MASS COMMUNICATION & MOTHERTONGUE

BY

D.. Abdul Aziz Sharaf
prof. (Mass Comm.) Cairo Univ.
Literary Editor, Al Ahram Daily,
Cairo - Egypt.




Dr. Abdul Aziz Sharaf
Prof. (Mass Comm.) Arab Univ.
Literary Editor, Al Ahram Daily
Cairo — Egypt.

صدرت اللائحة الجديدة لكلية الاعلام بجامعة القاهرة ، متض
تعديلات جوهرية . تضيف الى الدراسات الاعلامية ما يثريها . وما يج
تحقق مقومات الاصالة والمعاصرة في آن معا .
ولقد احسن الدكتور سمير حسين صنعا . حينما جعل اللغة ا
وآدابها اساسا للدراسة في كل السنوات والأقسام



عام ١٩٤٥ أعلن الدكتور
ناجي وكيل جماعة ابولو
بعد هجرة أبي شادي الى
، إعادة صياغة ابولو ورابطة
لجديد في جمعية أدبية جديدة
معية الادباء ، وظلت الجمعية
سالة الأدب والشعر في مصر
جماعة أبولو ولرابطة الأدب
حتى توفى الشاعر ابراهيم ناجي
مارس ١٩٥٣ ، فاجتمع أعضاء
لادباء ومن بينهم الدكتور محمد
منعم خفاجي ، مصطفى عبد
السحرتي ، وديع فلسطين
عبد العزيز شرف ، محمد ناجي
، وأعلنوا إعادة تكوين الجمعية
ى باسم رابطة الأدب الحديث
ما قدمته الرابطة من مهرجانات
ة هو مهرجانات الكبير بمناسبة
ثلاثة وخمسين عاما على
، ومرور خمسين عاما على قيام
، ومرور تسعة أعوام على وفاة
الادب العربي د. طه حسين ،
ر اربعة وثمانين عاما على ميلاد
العربية الكبير توفيق الحكيم ،
ر خمسين عاما على وفاة شوقي
الشعراء) وحافظ (شاعر

ر اجل ذلك اجتمع حشد كبير في
لصحفيين في مساء الثلاثاء ٢٦
كتوبر ١٩٨٢ بدعوة من رابطة
الحديث يتقدمهم الاستاذ ثروت
والاستاذ أنيس منصور .
تور سمير حسين ، والدكتور
عبد المنعم خفاجي ، والدكتور
يم صبري ، والدكتور أحمد هيكل
تور كمال بشر ، والدكتور عصمت
اوى ، والدكتور محمد عويس
رق ، جويدة ، وجلال العشري ،
فتتح الحفل د. عبد العزيز شرف
ين العام للرابطة

يسعدني أن أدعى الى مهرجانكم الذي
تقيمه الرابطه احتفالا بعيد انشائها
الذهبي ، وبجماعة ابولو التي رأس
مجلس ادارتها أمير الشعراء احمد
شوقي .